جليسك في رمضان

سنن - آداب - فضائل - مخالفات

تأليف

أبي عبد الرحمن خالد بن حسين بن عبد الرحمن

الجزء الأول

الناشر



دار طويق للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

جليسك في رمضان

سنن - آداب - فضائل - مخالفات

الطَّبْعَةُ الأُولَى
١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م

دار طـويق للنشـر والتوزيـع
ص.ب ١٠٢٤٤٨ الرياض ١١٦٧٥
ت: ٢٤٩١٣٧٤ - ٢٤٨٦٦٧٧ - ٢٤٨٦٦٨٨
بريد الكتروني: E-mail: dartwaiq@zajil.net

مكتب القاهـرة
هاتف : ٤٥٩٤٦٧٩
محمول : ٠١٢٢٩٩٦٤٨٣٦
مساكن كورنيش النيل مدخل (٥) شقة (١)
روض الفرج

إهداء

- **إلى** كل مسلم ومسلمة أرادوا وجه الله والدار الآخرة.
- **إلى** الصائمين بالنهار إيماناً والقائمين بالليل احتساباً في رمضان.
- **إلى** الصائمات القانتات القائمات في جنح الليل يبتهلن إلى رب الأرض والسموات في رمضان.
- **إلى** البطون الجائعة والشفاه الذابلة والقلوب الذاكرة في رمضان.
- **إلى** من سكبوا العبرات، وتعالت منهم الصيحات وارتفعت منهم الآهات في ليالي رمضان.
- **إلى** الذاكرين الله كثيراً والذاكرات في رمضان.
- **إلى** الأخ الحبيب والشيخ الألمعي الأديب، صاحب الإحساس المرهف والقلب الكبير، والوجه الطلق الشيخ أحمد سالم بادويلان - حفظه الله - فهو صاحب فكرة هذا الكتاب. فإليه أهدي هذا الجهد المتواضع.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المؤلف

مقدمـــة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعـد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النساء:١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

وبعد:

فهذا بحث متواضع في موضوع مهم جداً، وقد كتب فيه كثير من أهل العلم، ومساهمة في هذا الباب قمت بجمع مادة هذا البحث وهو عن شهر رمضان المبارك، وسلكت فيه مسلك اليسر والسهولة في سرد الأحكام وما يتعلق بهذا الشهر من سنن وآداب وأخطاء ومخالفات يقع فيها بعض الصائمين.

وكانت مادة هذا الكتاب مستمدة من الوحيين، الكتاب الخالد الذي ﴿ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ٤٢ ﴾ [فصلت:٤٢]. والسُنة الصحيحة(١) الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم الذي من صفاته ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ٤ ﴾ [النجم:٣-٤].

(١) لقد اجتهدت قدر المستطاع أن لا أذكر في هذا البحث من الأحاديث إلا ما صح وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم، وربما ذكرت بعض الأحاديث المنازع فيها بين الصحة والضعف، وهي قليلة، لكن أغلب الأحاديث فهي مما يحتج بها إن شاء الله، والله أعلم.

وأقوال أهل العلم قديماً وحديثاً، مبتدءاً بالصحابة الكرام، ومنتهياً بعلماء عصرنا أمثال الإمام ابن باز رحمه الله ومحدث العصر الألباني رحمه الله وعلامة القصيم ابن عثيمين، وابن جبرين وغيرهم رحم الله من مات وحفظ الله من بقي.

وسميته (**جليسك في رمضان**) وقد بذلت قصارى جهدي أن آتي فيه بأهم الأشياء التي يحتاجها الصائم في صيامه حتى يكون صيامه صحيحاً مقبولاً إن شاء الله، وحتى يكون اسمه موافقاً لمسماه.

وقد جعلت هذا الكتاب من جزئين ويتكون الجزء الأول من الأبواب التالية:

- الباب الأول في : وقفة للمحاسبة.
- الباب الثاني في : رسالة عاجلة إلى من أدرك رمضان.
- الباب الثالث في : أبواب الخير في رمضان.
- الباب الرابع في : فضائل شهر رمضان.
- الباب الخامس في : الصيام أحكام وآداب وفضائل وسنن.

أما الجزء الثاني فيتكون من الأبواب التالية:

- الباب السادس في : صفة صوم النبي صلى الله عليه وسلم في رمضان.
- الباب السابع في : صوم الصالحين من الصحابة والتابعين وغيرهم.
- الباب الثامن في : أخطاء ومخالفات شائعة تتعلق بشهر رمضان.
- الباب التاسع في : فضل العشر الأواخر والاعتكاف.
- الباب العاشر في : فضل ليلة القدر.

- الباب الحادي عشر في : دمعة حارة على رحيل رمضان.
- الباب الثاني عشر في : زكاة الفطر والعيد آداب وأحكام ومخالفات.
- الباب الثالث عشر في : ماذا بعد رمضان؟
- خاتـمة.
- الفهرس.

ويتخلل بين كل باب وباب أو بين فصول الباب الواحد استراحة، نأتي فيها بقصة أو نادرة أو طرفة أو فكاهة أو شيء مما يُستملح، وكان الهدف من ذلك الترويح عن النفس بما هو مباح.

وأخيراً لا يسعني إلا أن أشكر المولى سبحانه جل وعلا بأن منَّ عليَّ ويسر لي الكتابة في هذا الموضوع الطيب المبارك. فأسأله سبحانه وتعالى كما يسر لي الكتابة فيه وجمع مادته على نحو ما تقدم أن يتقبله مني خالصاً لوجهه الكريم، وأن يرفع به الدرجات ويثقل به الموازين إنه ولي ذلك والقادر عليه ومولاه.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

أبو عبد الرحمن خالد بن حسين بن عبد الرحمن

وقفة للمحاسبة

الحمد لله رب العالمين، إله الأولين والآخرين، هو الأول بلا ابتداء والآخر بلا انتهاء، كل شيء هالك إلا وجهه، له الحكم وإليه المرجع والمآب.

وأشهد أن لا إله إلا الله، الواحد الأحد الفرد الصمد، لا رب غيره ولا معبود بحق سواه.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، إمام الهدى ومصباح الدجى صلى الله عليه ما فاحت الأزهار، وما أشرقت الأنوار، وما تعاقب الليل والنهار. وسلم تسليماً كثيراً.

وأرض اللهم عن الصحابة الأخيار السادة الأبرار ومن سار على نهجهم وسلك طريقهم إلى يوم القرار.

أما بعد:

يقول الله جل ذكره: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ۝٩ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ۝١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝١١ ﴾[١].

---

(١) سورة المنافقون آية (٩ إلى ١١).

أخي في الله.. أختي المسلمة. إن من نظر إلى الدنيا بعين البصيرة لا بعين البصر المبهرج أيقن أن نعيمها ابتلاء، وحياتها عناء وعيشتها نكد وصفوها كدر، وأهلها منها على وجل، فالدنيا إما نعمة زائلة أو بلية نازلة أو منية عاجلة أو آجلة.

وأقول: إن الدنيا إذا أقبلت يوماً أدبرت أعواماً، وإذا نعت يوماً أينعت سنيناً وإذا حلت يوماً أوحلت أعواماً، وإذا ضحكت يوماً أضحكت وأبكت دهوراً، وإذا فرَّحت يوماً أحزنت أعواماً. وإذا أسعدت يوماً أشقت سنيناً.

فكثيرها قليل، وعظيمها حقير، وعمرها قصير، وعزيزها ذليل، وطالبها تعيس وذميم.

من اطمئن إليها أقلقته، ومن ركن إليها زلته، ومن وثق بها خانته ومن استعان بها تركته، ومن استنصر بها خذلته، ومن فرح بها أحزنته ومن أراد الوصال هجرته، ومن أراد القرب أبعدته.

نعم: مسكين ابن آدم! رضي بدار حلالها حساب، وحرامها عقاب إن أخذه من حله حوسب عليه، وإن أخذه من حرام عذب به، ومن استغنى فيها فُتن، ومن افتقر فيها حزن، من أحبها أذلته، ومن نظر إليها أعمته، والناس فيها طائفتان:

طائفة فطناء علموا أنها ظل زائل، ونعيم حائل، وأضغاث أحلام، بل فهموا أنها نِعمٌ في طيها نِقمٌ، وعرفوا أن هذه الحياة الدنيا الفانية إنما هي

طريق إلى الحياة الباقيـة، فرضـوا منـها باليسـير، وقنعـوا فيـها بـالقليل، فاستراحت قلوبهم وأبدانهم، وسلم لهم منها دينهم، وكانوا عند الله تعالى من المحمودين، لم تشغلهم دنياهم عن طاعة مولاهم، جعلوا النفس الأخير وما وراءه نصب أعينهم، فلا يصرفهم عن ذلك صارف ولا يشغلهم عنه شاغل، وتدبروا ماذا يكون مصيرهم وفكروا كيف يخرجون من الدنيا وإيمانهم سالم لهم، وما الذي يبقى معهم منها في قبورهم، وما الذي يتركوه لأعدائهم(١). في الدنيا، ومن لا يغنيهم من الله شيئاً يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم، ويبقى عليهم وباله ونكاله وتبعته، أدركوا كل هذا، فتأهبوا للسفر، وأعدوا الجواب للحساب، وقدموا الزاد ليوم المعاد (وخير الزاد التقوى) فطوبى(٢) لهم خافوا فأمنوا، وأحسنوا ففازوا.

وطائفة أخرى جهلاء: عميٌ البصائر منتكسي الفطرة قليلي العقل سقيمي الفهم، محدودي الفكر والنظر، لم ينظروا في أمر الدنيا، ولم يتكشفوا سوء حالها ومآلها، برزت لهم بزينتها ففتنتهم، فإليها أخلدوا،

---

(١) من الأزواج والأولاد: قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ﴾ [سورة التغابن:الآية ١٤].

(٢) قيل إن طوبى: شجرة في الجنة، وقيل هي منزلة في الجنة وقيل غير ذلك من الأقوال والله أعلم بالصواب.

وبها رضوا، ولها اطمأنوا، حتى ألهتهم عن الله تعالى وشغلتهم عن ذكره وطاعته، ﴿ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴾.[1]

نعم: إنهم نسوا الله، أهملوا حقوقه وفرطوا في أداء واجباته، وما قدروه حق قدره ولم يراعوا حدوده ولم يأتمروا بأوامره ولم ينتهوا بنهيه وذلك لانهماكهم في الدنيا وانشغالهم بها فكانت النتيجة ﴿ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾ والجزاء من جنس العمل، جعلهم بسبب انشغالهم بالدنيا وحرصهم وعكوفهم عليها، ناسين لأنفسهم حتى لم يسمعوا ما ينفعها ولم يفعلوا ما يخلصها وسيرون يوم القيامة من الأهوال ما ينسيهم أرواحهم ويجعلهم حيارى ذاهلين ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴾[2] وفي ذلك يقول بعض العارفين: (اجتهادك فيما ضمن لك مع تقصيرك فيما طلب منك، دليل على انطماس البصيرة منك).

نعم: أقاموها فهدمتهم، واعتزوا بها من دون الله فأذلتهم، أكثروا فيها من الآمال، وأحبوا طويل الآجال، ونسوا الموت وما وراءه من أهوال

---

(١) سورة الحشر، آية (١٩).

(٢) سورة الحج، آية (٢).

ومخاوف، فخاب أملهم، وضل سعيهم وخسروا الدنيا ولم يدركوا الآخرة.

ركنوا إلى الدنيا الدنية وتبوؤا الرتب العلية
حتى إذا غروا بها صرعتهم أيد المنية

أخي في الله.. أختي المسلمة: إن مما يروى من وصايا النبي صلى الله عليه وسلم وبليغ عظاته أنه قال: (أيها الناس! أيقنوا من الدنيا بالفناء ومن الآخرة بالبقاء، واعملوا لما بعد الموت، فكأنكم بالدنيا كأن لم تكن، وبالآخرة كأن لم تزل، إن من في الدنيا ضيف، وما في يده عارية، وإن الضيف مرتحل، والعارية مردودة، فرحم الله إمرءاً نظر لنفسه، ومهد لرمسه ما دام سنه مرخي، وحبله على غاربه، ملقى قبل أن ينفد أجله وينقطع عمله، ألا وإن دنياكم سريعة الذهاب وشيكة الانقلاب، فاحذروا حلاوة رضاعها لمرارة فطامها، واهجروا عزيز عاجلها لكريه آجلها، ولا تسعوا في عمران دار قد قضى الله خرابها، ولا تواصلوها، وقد أراد الله منكم اجتنابها، بل اسعوا في عمران آخرتكم، واجتهدوا في تكميلها وتحسينها قبل انتقالكم، فإن قصور الجنة وبساتينها تُعَد وتُهيأ بحسب ما تقدمون من صالح الأعمال والأقوال، ومن فاته منزله في الجنة فليس له إلا النار دار الإهانة والنكال، فإن الناس يوم القيامة يصيرون إلى فريقين، فريق في الجنة وفريق في السعير)أ.هـ.

وروى عنه صلى الله عليه وسلم في موعظة أخرى قوله: (فليأخذ العبد من نفسه لنفسه، ومن دنياه لآخرته، ومن الشبيبة قبل الهرم، ومن الحياة قبل الموت، والذي نفس محمد بيده، ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا دار إلا الجنة أو النار)(١).

أخي في الله.. أختي المسلمة: إن من غفل عن نفسه تصرمت أوقاته واشتدت عليه حسراته، وأي حسرة على العبد أعظم من أن يكون عمره عليه حجة، وتقوده أيامه إلى مزيد من الردى والشقوة، إن الزمان وتقلباته أنصح المؤدبين، وإن الدهر بقوارعه أفصح المتكلمين، فانتبهوا بإيقاظه، واعتبروا بألفاظه، وورد في الأثر: (أربعة من الشقاء: جمود العين، وقسوة القلب، وطول الأمل، والحرص على الدنيا).

أخي في الله: هل تذكرت الموت وسكراته؟! وشدة هوله وكرباته؟!، وشدة نزع الروح منك؟! فإن الموت كما قيل: أشد من ضرب بالسيوف ونشر بالمناشير، وقرض بالمقاريض.

فتفكر يا مغرور في الموت وسكرته، وصعوبة كأسه ومرارته، فيا للموت من وعد ما أصدقه ومن حاكم ما أعدله، فالموت حتم لا محيص عنه، ولا مفر منه، يصل إلينا في بطون الأودية، وعلى رؤوس الجبال،

---

(١) قلت: معظم أسانيد المواعظ التي نُسبت إلى النبي صلى الله عليه وسلم لم تسلم من مقال وفيها نظر إلا النذر القليل منها فانتبه! والكلام في معناه صحيح وإن لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم. والله أعلم.

وفوق الهـواء وتحـت المـاء وبين القـلاع المنيعـة، والحصـون المتينـة: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ (١) ولـو نجا أحد من الموت لبسطه في جسمه، وقوة في بدنه أو وفرة في ماله، أو سعة في سلطانه وملكه وجاهه، لنجا من الموت كثير من الناس، وإلا فأين عاد وثمود وفرعـون ذو الأوتـاد؟! أيـن الأكاسـرة والقيـاصرة؟ أيـن الجبـابرة والصناديد الأبطال؟! نقلوا بعظمة الموت من القصور إلى القبور ومن ضياء المهود إلى ظلمة اللحود ومن ملاعبة الجواري والغلمان إلى مقاساة الهوام والديـدان، ومـن التنعـم بطيـب الطعـام والشـراب إلى التمـرغ في الوحـل والتراب، ومن المضجع الوثير إلى المصرع الوبيل، فانظر: هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزاً؟! فسبحان الذي يحيي ويميت، وهو حي باق لا يموت.

فالموت لا يخشى أحد ولا يبقى على أحد، ولا تأخذه شفقة لأحد، ينتزع الطفـل مـن حضـن أمـه، ويـهجم علـى الشـاب الفـتي، والفـارس القوي، ويداهم الذكي العبقري، ويسطو على صاحب الجاه والسلطان ويأخذ الشيخ الهرم والشيخة الفانية، وصدق الله حيث يقـول: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ (٢). نعـم: (كـل نفس ذائقـة المـوت) لا فـرق بين

---

(١) سورة النساء، آية (٧٨).

(٢) سورة آل عمران، آية (١٨٥).

نفس ونفس، لا فرق بين صغير وكبير، وعظيم وحقير وغني وفقير ورفيع ووضيع ولا رئيس ومرءوس، ولا آمر ومأمور، ولا مالك ومملوك.

يا نفس قد أزف الرحيل — وأظلك الخطب الجليل
فتأهبي يا نفس — لا يلعب بك الأمل الطويل
فلتنزلن بمنزل ينسى — الخليل فيه الخليل
وليركبن عليك فيه من — الثرى ثقل ثقيل
كان الفناء لنا جميعا — فلا يبقى العزيز ولا الذليل

نعم: لا يبقى العزيز ولا الذليل! أين الأكاسرة؟ أين الجبابرة؟ أين القياصرة، أين الفراعنة؟! أين من قال: أنا ربكم الأعلى؟ أين من قال: ما علمت لكم من إله غيري؟! أين الظالمون وأعوانهم؟ أين عاد وثمود؟!

أين الذين دوخوا الدنيا بسطوتهم
وذكرهم في الورى ظلمٌ وطغيان
هل أبقى الموت ذي عز لعزته؟!
أم هل نجا منهم بالسلطان إنسانُ؟!
فلا والذي خلق الأكوان من عدم
الكل يفنى فلا إنس ولا جان

فيا أخي الكريم: كفى بالموت مقرحاً للقلوب، ومبكياً للعيون، ومفرقاً للجماعات، وهادماً للذات، وقاطعاً للأمنيات، فهل تفكرت

يا ابن آدم في يوم مصرعك؟! وانتقالك من موضعك؟! وإذا نُقِلتَ من سعة إلى ضيق، وخانك الصاحب والرفيق، وهجرك الأخ والصديق، وأُخِذْت من فراشك وغطائك إلى الحفر! وغطوك من بعد لين لحافك بتراب ومدر، فيا جامع المال، والمجتهد في البنيان، ليس لك من مال إلا الأكفان، بل هي والله للخراب والذهاب، وجسمك للتراب والمآب فأين الذي جمعته من المال؟ فهل أنقذك من الأهوال؟! كلا بل تركته إلى من لا يحمدك، وقدمْت بأوزارك إلا من لا يعذرك.

يا متعب الجسم كم تسعى لراحتـــه ... أتعبت جسمك فيما فيـــه خســران
أقبل على الروح واستكمل فضائلها ... فأنت بالروح لا بالجســـم إنســان
ويا حريصاً على الأموال يجمعــــها ... أقصر فإن ســـرور المـال أحــزان
والزم يديك بحبـــل الله معتصمـــاً ... فإنه الركـــن إن خــانتك أركــان

فجدير بمن الموت مصرعه، والتراب مضجعه والدود أنيسه، ومنكر ونكير جليسه والقبر مقره، وبطن الأرض مستقره، والقيامة موعده والجنة أو النار مورده أن لا يكون له فكر إلا في ذلك ولا استعداد إلا له، قال الحسن البصري ـ رحمه الله ـ: «فضح الموت الدنيا، فلم يترك لذي لب فرحاً، وما ألزم عبد قلبه ذكر الموت إلا صغرت في عينه الدنيا، وهان عليه كل ما فيها».

ونظر ابن مطيع ـ رحمه الله ـ يوماً إلى داره فأعجبه حُسنها ثم بكى وقال: «والله لولا الموت لكنتُ بك مسروراً، ولولا ما نصير إليه من ضيق القبور لقرت بالدنيا أعيننا».

وقال عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ: «ألا ترون أنكم تجهزون كل يوم غادياً أو رائحاً إلى الله عز وجل، تضعونه في صدع الأرض، قد توسد التراب، وخلف الأحباب وقطع الأسباب».

وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ كثيراً ما يتمثل بهذه الأبيات:

لا شيء مما ترى يبقى بشاشته ... يبقى الإله ويفنى المال والولد
لم تغني عن هرمز يوماً خزائنه ... والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا
ولا سليمان إذ تجرى الرياح له ... والإنس والجن فيما بينها ترد
أين الملوك التي كانت لعزتها ... من كل أوب إليها وافد يفد؟!
حوض هنالك مورود بلا كذب ... لا بد من ورده يوماً كما وردوا

أخي في الله: لو لم يكن بين العبد المسكين كرب ولا هول ولا عذاب سوى سكرات الموت بمجردها لكان جديراً بأن ينغص عليه عيشه ويتكدر عليه سروره، ويفارقه سهوه وغفلته، وحقيقاً بأن يطول فيه فكره، ويعظم له استعداده، ويقف مع نفسه وقفة للمحاسبة الجادة التي تهون عليه شيء من هذا، لا سيما وهو في كل نفس بصدده، فالموت كما قيل: (كرب بيد سواك لا تدري متى يغشاك).

عـن عائشـة رضـي الله عنـها قـالت : أن رسـول الله صلـى الله عليـه وسلم ، كان بين يديه ركوة أو علبة فيها ماء فجعل يدخل يده المباركة فيها ويمسـح بها وجهـه ويقـول : «لا إلـه إلا الله ، إن للمـوت لسـكرات» ثـم نصب صلى الله عليه وسلم يده وجعل يقول : «في الرفيق الأعلى» حتى قُبض صلى الله عليه وسلم ومالت يده[1] .

فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مع علو مكانته وعظيم قـدره وجليل شرفه وسمو منزلته عند الله سبحانه وتقدس ، فهو أحب خلـق الله إلى الله ، وهـو سيد ولـد آدم ولا فخـر ! وهـو إمـام المتقـين ، وخـاتم الأنبيـاء والمرسـلين ، وقـائد الغـر المحجلـين ، وأول شـافع وأول مشـفع يـوم الديــن ، صـاحب الحـوض المـورود ، والمقـام المحمـود ، واللـواء المعقـود ، وصـاحب الشفاعة العظمى يوم العرض على أحكم الحاكمين ، ومع ذلك فقد وقع به من شدة الموت وسكراته وكرباته ما الله به عليم ! فكيف بي وبك أنت أيها المسكين ؟ ! فحري بنا أن نبكي طيلة عمرنا علـى مـا سينزل بنـا عنـد المـوت نسأل الله العافية.

أخي : إن الموت ليس له سن معلوم ، ولا زمـن معلـوم ولا مـرض معلوم ولا علامة مميزة ، وذلك ليكون المرء على أهبة لذلك ومستعداً لـهذا اليوم العصيب. وكان بعض السلف من الصـالحين ينـادي بليـل علـى سـور

---

(١) رواه البخاري وغيره.

المدينة: (الرحيل الرحيل) فلما مات فُقد صوته أمير المدينة، فسأل عنه فقيل: إنه قد مات. فقال منشداً:

ما زال يلهج بالرحيل وذكره حتى أناخ برحله الجمال
فأصابه متيقظاً متشمراً ذا أهبة لم تلهه الآمال

وكان يزيد الرقاشي ـ رحمه الله ـ يقول لنفسه: «ويحك يا يزيد، من ذا يصلي عنك بعد الموت؟ من ذا يصوم عنك بعد الموت؟ من ذا يترضى عنك ربك بعد الموت؟ ثم يقول: أيها الناس ألا تبكون وتنوحون على أنفسكم باقي حياتكم؟ مَنْ الموت طالبه، والقبر بيته، والتراب فراشه، والدود أنيسه، وهو مع هذا ينتظر الفزع الأكبر، كيف يكون حاله؟ ثم يبكي حتى يسقط مغشياً عليه».

أخي المسلم المبارك.. أختي المسلمة: هل تذكرت القبر وظلمته، وضيقه ووحشته، هل تذكرت ذلك المكان الضيق، الذي يضم بين جوانبه جثث الموتى من عظيم وحقير، وحكيم وسفيه، وصالح وطالح ورئيس ومرؤوس و... والقبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار، وإما دار كرامة وسعادة أو دار إهانة وشقاوة، فوا عجباً لأهل المعاصي والذنوب كيف هم مصرون على المعاصي ولا يقلعون؟!، وهم يعلمون أنهم إلى القبور صائرون! ثم وا عجباً لأهل الغفلة والأعراض كيف لا

ينتبهون من غفلتهم ويستيقظون من سباتهم وهم يعلمون أنهم غداً في بطون اللحود مقيمون؟!.

أخي: هل تذكرت أول ليلة في القبر؟! حيث لا أنيس ولا جليس ولا صديق، ولا رفيق، ولا زوجة، ولا أطفال، ولا أقارب ولا أعوان، ولا خلان ولا أحوال، ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ۝﴾[1].

فارقت موضع مرقدي يوماً ففارقني السكون
القبر أول ليلة بالله قل لي ما يكون

لما رجع علي ـ رضي الله عنه ـ من صفين وأشرف على القبور قال: «يا أهل الديار الموحشة، والمحال المقفرة، والقبور المظلمة، يا أهل التربة، يا أهل الغربة، يا أهل الوحشة، أنتم لنا فرط سابق، ونحن لكم تبع لاحق، أما الدور فقد سُكنت، وأما الأزواج فقد نُكِحتْ، وأما الأموال فقد قُسِّمتْ، هذا خبر ما عندنا، فما خبر ما عندكم؟!» ثم التفت إلى أصحابه فقال: «أما لو أذن لهم في الكلام لأخبروكم أن خير الزاد التقوى».

قال عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله تعالى ـ لبعض جلسائه: (.. يا فلان! لقد أرقت الليلة أتفكر في القبر وساكنه، إنك لو رأيت الميت بعد

(١) سورة الأنعام، آية (٦٢).

ثلاثة في قبره لاستوحشت من قربه بعد طول الأنس منك به، ولرأيت بيتاً تجول فيه الهوام ويجري فيه الصديد، وتخترقه الديدان مع تغير الريح، ويلى الأكفان بعد حسن الهيئة، وطيب الريح ونقاء الثوب).

فيا أخي الحبيب... تخيل نفسك بعد ثلاثة أيام وأنت في قبرك، وقد جُرِّدت من الثياب، وتوسدت التراب، وفارقت الأحباب، وتركت الأصحاب ولم يكن معك جليس ولا أنيس إلا عملك الذي قدمته في الدنيا، فماذا تحب أن تقدم لنفسك وأنت في زمن الإمهال حتى تجده في انتظارك يوم انتقالك إلى قبرك! ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِالعباد ﴿٣٠﴾ ﴾[1].

والله لو عاش الفتى في عمره ... ألفا من الأعوام مالك أمره

متنعما فيها بكل لذيذة ... متلذذاً فيها بسكنى قصره

لا يعتريه الهم طول حياته ... كلا ولا ترد الهموم بصدره

ما كان ذلك كله في أن يفي ... فيها بأول ليلة في قبره

وعن الفضيل بن عياض ـ رحمه الله تعالى ـ قال: رأيت رجلاً يبكي قلت: وما يبكيك؟ قال: أبكاني كلامه، فقلت: وما هو؟ قال: كنا وقوفاً في المقابر، فأنشد:

---

(١) سورة آل عمران، آية (٣٠).

أتيــــت القبــــور فســاءلتها أيـــــن الـــمعظم والمحتقـــر؟!
وأيـــــن الــمـــذل بسلطانه وأين القــوي علـــى مـــا قـــدر؟!
تفانوا جميعاً فما مخـــبـــر وماتـــوا جميعـــاً ومـــات الخـبر
فيا ســائلي عـــن أنـــاس مضـــوا أما لـــك فيمـــا مضـــى معتـــبر؟!
تـــروح وتغـــدو بـــذاك الـــثرى فتمحـــى محاســـن تلـــك الصـــور

أخي في الله: هل تذكرت النفخ في الصور؟! والبعث يوم النشور؟! وتطاير الصحف! والعرض على الجبار ـ جل جلاله ـ والسؤال عن القليل والكثير والصغير والكبير، والفتيـل والقطمـير! ونصـب الموازيـن لمعرفـة المقادير! ثـم جـواز الصراط، ثـم انتظـار النـداء عنـد فصـل القضـاء! إمـا بالسعادة وإما بالشقاوة!.

أخي: فمثل نفسك وقد بعثت من قبرك مبهوتاً من شـدة الصاعقة شاخص العين نحو النداء، وقد ثار الخلق ثورة واحدة من القبور مفزوعين من شدة النفخ، ووقفوا في ذل وانكسار منتظرين بما يقضي عليهم، فكيف حالك وحـال قلبك؟! فـالقلوب منفطـرة والأبصـار شـاخصة والأعنـاق منكسـرة، فتأمل يـا مسـكين في طـول هـذا اليـوم، وشـدة الانتظـار فيـه، والخجل والحياء من الافتضاح عند العرض على الجبار جل جلاله ثم انظر كيف يساقون بعد البعث والنشور حفاة عراة غرلا إلى أرض المحشر، أرض بيضاء قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمتا. قـال رسـول الله صلى الله

عليه وسلم: «يحشر الناس يوم القيامـة علـى أرض بيضـاء عفـراء كقـرص النقى ليس فيها معلم لأحد»[١] .

قـــال تعـــالى: ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ ﴾[٢]قـال علـي بـن أبـي طـالب ـ رضي الله عنه ـ: (ما يحشرون والله على أرجلهم ـ أي المؤمنين ـ ولكن على نوق رحالها الذهب، ونجائب سرجها يواقيت، إن هموا بها سارت وإن هموا بها طارت)أ.هـ.

أما المجرمين فإنهم يساقون عطاشا قد تقطعت أعناقـهم مـن العطش ولا يـردون إلى ماء بل إلى جهـنم وجحيمـها وحميمـها، قـال تعــالى: ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ﴾[٣]، فشتان شتان بين الفريقـين، وفرقان ما بين الطريقـين، أولئك يغـدون ركبانـا إلى جنات النعيـم ورحمـة الرحمن الرحيم، وهؤلاء يسحبون على وجوههم سحبا إلى نار الجحيـم، ونكالها الأليم، وعذابها المقيم.

هؤلاء في النور ينظـرون، وأولئك في ظلمـات لا يبصـرون! هـؤلاء إلى الرحمن يفيـدون، وأولئك إلى النـار يـردون، هـؤلاء حلـوا أسـاور مـن

---

(١) متفق عليه.

(٢) سورة مريم، الآيتان: ٨٥، ٨٦.

(٣) سورة الإسراء، آية: (٩٧).

فضة، وسقاهم ربهم شرابا طهورا، وأولئك غلوا بالسلاسل وعلتهم الزبانية بالمقامع يضربون بطونا منهم وظهورا، وهؤلاء عليهم حلل من سندس واستبرق وسائر الألوان، وأولئك مقرنين في الأصفاد سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار، هؤلاء يقول لهم ربهم سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار، وأولئك يقول لهم اخسأوا فيها ولا تكلمون، وما هم بخارجين من النار.

فحينئذ ظهر الفرقان، وافترق الطريقان وامتاز الفريقان، وصار الغيب شهادة والسر علانية، والمستور مكشوفا، والمخبأ ظاهرا، فريق في الجنة وفريق في السعير، يا أهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود بلا موت.

فيا أخي المسلم! يا عبد الله! ألم يأن لك أن تدرك حقيقة هذه الدار! أما علمت أن حياتها عناء، ونعيمها ابتلاء، جديدها يبلى، وملكها يفنى ودها منقطع، وخيرها ينتزع، المتعلقون بها على وجل، إما في نعم زائلة أو بلايا نازلة، أو منايا قاضية ﴿ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دار ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ ﴾[1].

---

(١) سورة غافر، آية (٣٩).

أخي الحبيب:

إن العمر قصير، والسفر طويل، والزاد قليل والخطر محدق وكبير، والمرء بين حالين: حال قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه، وآجل قد بقى لا يدري ما الله قاض فيه.

وإذا كان الأمر كذلك أخي الحبيب، فعلى صاحب البصر النافذ أن يتزود من نفسه لنفسه، ومن حياته لموته، ومن شبابه لهرمه، ومن صحته لمرضه ومن فراغه لشغله، ومن غناه لفقره، ومن قوته لضعفه، فما بعد الموت من مستعتب، ولا بعد الدنيا سوى الجنة أو النار، ومن أصلح ما بينه وبين ربه كفاه ما بينه وبين الناس، ومن صدق في سريرته حسنت علانيته، ومن عمل لآخرته كفاه الله أمر دنياه، فلا بد من وقفة جادة للمحاسبة، والمحاسبة الصادقة ما أورثت عملا صادقا ينجيك من هول المطلع.

فعليك يا عبد الله أن تستدرك ما فات بما بقي، فتعيش ساعتك ويومك، ولا تشتغل بالندم والتحسر من غير عمل، واعلم أن من أصلح ما بقي غفر له ما مضى ومن أساء فيما بقي أخذ بما مضى وما بقي، والموت يأتيك بغتة، فأعط كل لحظة وكل نفس قيمته، فالأيام مطايا، والأنفاس خطوات والصالحات هي رؤوس الأموال، والربح جنات عدن أعدت للمتقين، والخسارة نار تلظى، لا يصلاها إلا الأشقى، وأنت حسيب نفسك.

فيا أخي الحبيب: هل خلوت بنفسك يوماً فحاسبتها عما بدر منها من الأقوال والأفعال؟! وهل حاولت يوماً أن تعد سيئاتك وزلاتك، ومعاصيك كما تعد حسناتك؟! بل هل تأملت يوماً طاعتك التي تفتخر بها ويذكرها، فوجدت أن كثيراً منها مشوباً بالرياء والسمعة وحظوظ النفس؟ فكيف تصبر على هذه الحال، وطريقك محفوف بالمكاره والأخطار؟ وكيف القدوم على الله وأنت محمل بالأثقال والأوزار؟ قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[1]. وقال صلى الله عليه وسلم: «لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة حتى يُسأل عن خمس: عن عمره فيما أفناه وعن شبابه فيما أبلاه، وماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وماذا عمل فيما علم»[2].

وقال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا» وفي رواية «وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، فإنه أهون عليكم في الحساب غداً أن تحاسبوا أنفسكم اليوم، وتزينوا للعرض الأكبر»، ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [سورة الحاقة، آية: ١٨][3].

---

(١) سورة الحشر، آية (١٨).

(٢) رواه الترمذي وحسنه الألباني في صحيح الجامع.

(٣) رواه الترمذي في صفة القيامة وقال: حديث حسن.

فحري بك - يا عبد الله - أن تقف مع نفسك هذه الوقفة وتحاسب نفسك هذه المحاسبة، فما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار.

ومثل طالب الدنيا كشارب ماء البحر كلما زاد شرباً منه كلما زاد عطشاً حتى يقتله، ولو فكر الطامع في عاقبة الدنيا لقنع، ولو تذكر الجائع فضول مآلها لشبع، فأنت من الشباب إلى الهرم ومن الصحة إلى السقم، ومن الوجود إلى العدم، وكان ميمون بن مهران - رحمه الله يقول: يا معشر الشيوخ ما ينتظر من الزرع إذا ابيض؟! قالوا: الحصاد، فنظر إلى الشباب فقال: إن الزرع قد تدركه الآفة قبل أن يُستحصد، وقبيح بالشباب تأخير التوبة، وأقبح منه تأخير الشيوخ، فخذ من صحتك لمرضك، ومن فراغك لشغلك، ومن حياتك لموتك، وكن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وقل لنفسك:

ألا يا نفس ويحك ساعديني ... بسعي منك في ظلم الليالي

لعلك في القيامة أن تفوزي ... بطيب العيش في تلك العلالي



أقوال في محاسبة النفس

● كتب عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - إلى بعض عماله يقول له : «حاسب نفسك في الرخاء قبل حساب الشدة ، فإن من حاسب نفسه في الرخاء قبل حساب الشدة عاد أمره إلى الرضا والغبطة ، ومن ألهته حياته وشغلته أهواؤه عاد أمره إلى الندامة والخسارة».

● وقال الحسن البصري - رحمه الله - «لا تلقى المؤمن إلا يحاسب نفسه ماذا أردت أن تعملين؟ وماذا أردت أن تأكلين؟ وماذا أردت أن تشربين؟ والفاجر يمضي قدماً لا يحاسب نفسه».

● وقال أيضاً : «المؤمن قوام على نفسه ، يحاسب نفسه لله ، وإنما خف الحساب يوم القيامة على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا ، وإنما شق الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة. إن المؤمنين قوم أوقفهم القرآن وحال بينهم وبين هلكتهم ، إن المؤمن أسير في الدنيا يسعى في فكاك رقبته ، لا يأمن شيئاً حتى يلقى الله يعلم أنه مأخوذ عليه في سمعه وفي بصره وفي لسانه وفي جوارحه ، مأخوذ عليه في ذلك كله».

● وقال قتادة ـ رحمه الله ـ في قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾[1] أضاع نفسه وغبن، مع ذلك تراه حافظاً لماله مضيعاً لدينه.

● وقال ميمون بن مهران ـ رحمه الله ـ «لا يكون العبد تقياً حتى يكون لنفسه أشد محاسبة من الشريك لشريكه، ولهذا قيل: النفس كالشريك الخوان إن لم تحاسبه ذهب بمالك».

● كان الأحنف بن قيس ـ رضي الله عنه ـ يجيء إلى المصباح فيضع إصبعه فيه ويقول: «حس يا حنيف، ما حملك على ما صنعت يوم كذا؟ ما حملك على ما صنعت يوم كذا؟».

● وقال ابن أبي مليكة ـ رحمه الله ـ «أدركت ثلاثين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف النفاق على نفسه، ما منهم من أحد يقول إنه على إيمان جبريل ومكائيل».

● وقال مالك بن دينار ـ رحمه الله ـ «رحم الله عبداً قال لنفسه: ألست صاحبه كذا؟ ألست صاحبة كذا؟ ثم ذمها، ثم خطمها، ثم ألزمها كتاب الله ـ عز وجل ـ فكان لها قائداً».

● وذكر الإمام أحمد عن وهب قال: مكتوب في حكمه آل داود: «حق على العاقل ألا يغفل عن أربع ساعات: ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يخلو فيها مع إخوانه الذين يخبرونه بعيوبه ويصدقونه عن نفسه، وساعة يخلى فيها بين نفسه وبين لذاتها فيما يحل

---

(١) سورة الكهف، آية: (٢٨).

ويجمل، فإن في هذه الساعة عوناً على تلك الساعات واجماماً للقلوب».

فانظر - يا رعاك الله - كيف حال القوم من العمل والاجتهاد وشدة المحاسبة لأنفسهم! وانظر إلى حالنا!!! ومعرفة الحال تغنيك عن الكلام! أفلا نرعوي ونقتدي بهم؟!!

أقسام محاسبة النفس

ومحاسبة النفس قسمان قسم قبل العمل وقسم بعده.

أما الأول: محاسبة النفس قبل العمل فهو أن يقف العبد عند أول همِّه وإرادته، ولا يبادر بالعمل حتى يتبين له رجحانه على تركه.

قال الحسن - رحمه الله - «رحم الله عبداً وقف عند همه، فإن كان لله مضى وإن كان لغيره توقف».

القسم الثاني: محاسبة النفس بعد العمل.

وهو ثلاثة أنواع:

أحدهما: محاسبة النفس على طاعة قصَّرت فيها في حق الله تعالى، فلم توقعها على الوجه الذي ينبغي.

وحق الله في الطاعة ستة أمور هي:

١- الإخلاص في العمل. ٢- النصيحة لله فيه.

٣- متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم.

٤- شهود مشهد الإحسان فيه.

٥- شهود مِنَّة الله عليه فيه. ٦- شهود تقصيره فيه.

فيحاسب العبد نفسه هل وفىّ هذه المقامات حقها؟

وهل أتى بها جميعاً في هذه الطاعة؟

الثاني: أن يحاسب نفسه على كل عمل كان تركه خيراً من فعله.

الثالث: أن يحاسب نفسه على أمر مباح أو معتاد لِمَ فعله؟ وهل أراد به الله والدار الآخرة؟ فيكون رابحاً، أو أراد به الدنيا وعاجلها؟ فيخسر ذلك الربح ويفوته الظفر به.

كيفية محاسبة النفس

أخي الحبيب.. فإذا علم ذلك فكيف تكون محاسبة النفس؟

قال الإمام ابن القيم ـ رحمه الله أن محاسبة النفس تكون على النحو التالي:

أولاً: البدء بالفرائض، فإذا رأى فيها نقصاً تداركه.

ثانياً: ثم المناهي، فإذا عرف أنه ارتكب منها شيئاً تداركه بالتوبة والاستغفار والحسنات الماحية.

ثالثاً: محاسبة النفس على الغفلة ويتدارك ذلك بالذكر والإقبال على الله.

رابعاً: محاسبة النفس على حركات الجوارح، كلام اللسان، ومشي الرجلين وبطش اليدين، ونظر العينين، وسماع الأذنين، ماذا أردت بهذا؟ ولمن فعلت؟ وعلى أي وجه فعلته؟!.

الأسباب المعينة على محاسبة النفس

أخي الحبيب: اعلم رحمني الله وإياك أن محاسبة النفس أمر عسير عليها وتوجد معوقات كثيرة قد تحول أحياناً كثيرة عن محاسبة النفس، ولكن هناك أمور تعين العبد على هذه المحاسبة وتقوي بواعثها في النفس ومن أبرزها وأهمها:

١- استشعار رقابة الله على العبد واطلاعه على خطاياه، فإذا علم العبد ذلك استيقظ من غفلته وقام من رقاده، وقويت إرادته على محاسبة نفسه ومجاهدتها.

٢- معرفة العبد أنه كلما اجتهد في محاسبة نفسه اليوم استراح من ذلك غداً، وكلما أهملها اليوم اشتد عليه الحساب غداً.

٣- بذكر الحساب الأكبر والسؤال بين يدي الجبار جل جلاله يوم القيامة فإذا علم العبد أنه مسؤول بين يدي الله فيجب أن يعد لكل سؤال جواب ومن هنا. كان العبد أشد محاسبة لنفسه.

٤- معرفة العبد ربح محاسبة النفس، ومراقبتها وهي سكنى الفردوس الأعلى والنظر إلى وجه الرب سبحانه ومجاورة الأنبياء والصالحين وأهل الفضل وأن عدم المحاسبة تفقده هذا كله وتفوته عليه وليس بعد ذلك خسارة.

٥- النظر فيما يؤول إليه من ترك محاسبة النفس ومراقبتها من الهلاك والدمار، ودخول النار والحجاب عن رؤية الرب سبحانه ومجاورة أهل الكفر والضلال والخبث ـ عياذاً بالله.

٦- صحبة الأخيار الذين يحاسبون أنفسهم ويطلعونه على عيوب نفسه وترك صحبة من عداهم.

٧- النظر في سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم وصحابته ومعرفة أخبار وسير أهل المحاسبة والمراقبة من سلفنا الصالح.

٨- زيارة القبور والتأمل في أحوال الموتى الذين لا يستطيعون محاسبة أنفسهم أو تدارك ما فاتهم.

٩- حضور مجالس العلم والوعظ والتذكير، فإنها تدعو إلى محاسبة النفس.

١٠- قيام الليل، وقراءة القرآن بتدبر وخشوع وحضور قلب، والتقرب إلى الله تعالى بأنواع الطاعات.

١١- البعد عن أماكن اللهو والغفلة والمجون والعربدة فإنها تنسي الإنسان محاسبة نفسه.

١٢- ذكر الله تعالى ودعاؤه بأن يجعلك من أهل المحاسبة والمراقبة.

١٣- سوء الظن بالنفس، فإن من حسن ظنه بنفسه نسي عن محاسبتها أو غفل عن ذلك، وربما إذا رأى العبد بسبب حسن ظنه بنفسه أن عيوبه ومساوءه كمالاً وهذا أدعى لعدم المحاسبة(١).

ثمرات محاسبة النفس

أخي في الله: إن من التزم بما سبق فإنه وبفضل الله لا يعدم بأن يجني بعض ثمار تلك المحاسبة سواء في الدنيا أو في الآخرة، وفوائد محاسبة النفس كثيرة جداً ومنها على سبيل المثال لا الحصر.

١- الاطلاع على عيوب النفس وآفاتها، ومن لم يطلع على عيوب نفسه لم يمكن إزالتها.

٢- التوبة والندم وتدارك ما فات في زمن الإمكان.

٣- معرفة حق الله تعالى، فإن أصل محاسبة النفس هو محاسبتها على تفريطها في حق الله تعالى.

٤- انكسار العبد وزلته بين يدي ربه تبارك وتعالى.

---

(١) انظر كتابنا: (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا) ص: (١٥، ١٦).

٥- معرفة كرم الله تعالى وعفوه ورحمته بعباده في أنه لم يُعجل عقوبتهم مع ما هم عليه من المعاصي والمخالفات.

٦- مقت النفس والإزراء عليها، والتخلص من العجب والرياء والسمعة.

٧- الاجتهاد في الطاعة وترك العصيان لتسهل عليه المحاسبة فيما بعد.

٨- رد الحقوق إلى أهلها وسل السخائم، وحسن الخلق، وهذه من أعظم ثمرات محاسبة النفس(١).

أخي الكريم: فحق على الحازم العاقل المؤمن بالله واليوم الآخر أن لا يغفل عن محاسبة نفسه والتضييق عليها في حركاتها، وسكناتها وخطراتها وخطواتها فكل نفس من أنفاس العمر جوهرة نفيسة يمكن أن يشترى بها كنز من الكنوز لا يتناهى نعيمه أبد الآباد، وإضاعة هذه الأنفاس أو شراء صاحبها ما يجلب هلاكه خسران عظيم، لا يسمح بمثله إلا جاهل بل هو من أجهل الناس وأحمقهم وأقلهم عقلاً وفهماً، وإنما يظهر له حقيقة هذا الخسران يوم التغابن ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِالعِبَاد ﴾ (٣٠)(٢)

هذا وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

(١) انظر المصدر السابق. والمغني عن مجالس السوء ج (٤٩/٣).

(٢) سورة آل عمران آية (٣٠).

استراحة

١- إلطموا كما أنتم

ضاع لرجل ولدٌ، فجاؤوا بالنوائح ولطموا عليه، وبقوا على ذلك أياماً، فصعد أبوه يوماً الغرفة، فرآه جالساً في زاوية من زواياها، فقال يا بني أنت بالحياة! أما ترى ما نحن فيه؟!

قال: قد علمت ولكن هاهنا بيض قد قعدت مثل القِرْقة[١] عليه، لا يمكنني أن أبرح[٢]، وأريد فُريخات أنا أحبهم. فاطلع أبوه إلى أهله.

فقال: قد وجدت ابني حياً، ولكن لا تقطعوا اللطم عليه، الطموا كما أنتم.

٢- لست من زينة الحياة الدنيا

قيل: نظر أعرابي إلى ولد له قبيح المنظر فقال له: يا بني إنك لست من زينة الحياة الدنيا.

---

(١) القرقة: الدجاجة التي تقعد على بيضها.

(٢) أبرح: أترك المكان.

٣- من كنت أنت ولده فهو بلا ولد

قال رجل لولده وهو في المكتب: في أي سورة أنت؟ قال: لا أقسم بهذا البلد، ووالدي بلا ولد، فقال: لعمري من كنت أنت ولده فهو بلا ولد.

٤- في عرض مصيبتي فيك

أرسل رجل ولده يشتري له رشاء[1] للبئر طوله عشرون ذراعاً، فوصل الولد إلى نصف الطريق ثم رجع فقال: يا أبتِ عشرون في عرض كم؟ قال الوالد: في عرض مصيبتي فيك.



(١) أي حبل.

رسالة عاجلة
إلى
من أدرك رمضان

الحمد لله الذي جعل شهر رمضان سيد الشهور، وضاعف فيه الحسنات والأجور وأحمده وأشكره فهو الغفور الشكور، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة أدخرها ليوم النشور، أرجو برها وذخرها والفوز بها بدار القرار والسرور، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أشرف آمر ومأمور، اللهم صلي عليه وعلى آله وصحبه ومن اقتفى أثرهم وحذى حذوهم وسار على دربهم ونسج على منوالهم إلى يوم البعث والنشور.

أخي المسلم يا من أدرك رمضان:

ما هي إلا أيام قلائل حتى تكتمل دورة الفلك، ويشرق على الدنيا كلها هلال شهر رمضان المبارك، الذي تهفوا إليه قلوب المؤمنين وتتشوق إليه نفوسهم، وتتطلع شوقا إلى بلوغه لتنتظم في جامعته الكبرى، التي تفتح أبوابها كل عام لتستقبل أفواج الصائمين من كل أنحاء المعمورة.

أخي : سنستقبل رمضان بعد أيام ليعيد للقلوب صفاءها، وللنفوس إشراقها، وللضمائر نقاءها، بعدما تكدرت بفتن الحياة، وزحام الدنيا، وتلوثت بالنزوات العابرة، والشهوات العارمة، فجاء رمضان ليبعثها من رقاد ويوقظها من سبات.

عجبا!!! كنا بالأمس القريب نودع شهر رمضان الماضي وكأن صفحاته قد طويت قبل قليل، واليوم نستقبله أنا وأنت والأمة الإسلامية كلها بعد مرور عام!.

عام مضى ذهبت لذته، وبقيت تبعته، نُسيت أفراحه وأتراحه وبقيت حسناته وسيئاته.

نعم أخي المسلم: إن الحياة ستنقضي بأفراحها وأحزانها، وتنتهي الأعمار على طولها وقصرها، فالدنيا مهما عظمت فهي حقيرة ومهما طالت فهي قصيرة والليل مهما طال لابد من طلوع الفجر، والعمر مهما طال لابد من دخول القبر!

وعندئذ يعود الناس - وأنت منهم - إلى ربهم بعدما أمضوا فترة الامتحان على ظهر هذه الأرض: ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تعودون ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ﴾[1].

ثم تصبح الدنيا ذكريات، وهنا من ينتظر رمضان على أمل، وهو لا يدري فقد يباغته الأجل قبل أن يدرك هذا الأمل! ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾ ﴾[2].

فيا أخي الحبيب: اتقي الله جل وعلا في جميع الأوقات، واغتنم لحظات العمر ومواسم الخير في التوبة إلى الله تعالى من جميع الخطيئات،

---

(١) سورة الأعراف، آية: (٢٩ - ٣٠).

(٢) سورة لقمان، آية (٣٤).

وسارع إلى جليل القربات، فإن مواسم الخير تمر مر السحاب، وإن العمر إلى نفاذ والعمل الصالح إلى انقطاع، والإنسان ظلوم تقوده الشهوة العارضة إلى الخطيئة، ويشغله المتاع ومحبة الأهل والأولاد عن الطاعة. ويلهيه الأمل المديد عن التوبة حتى يفجأه الموت، وهو على غير استعداد وينقله المنون إلى لحده دون كفاية من مهاد، فيكون عرضة للعذاب من خلل العمل، أو ينفذ إليه لهب النار لخرقه جنة التقوى بالمعاصي.

فيا أخي: كن على حذر أن يأتيك الموت وأنت على غير استعداد فتزود بالطاعات واغتنم مواسم الخيرات وخذ من التقوى زاد ليوم المعاد فإن خير الزاد التقوى.

أخي المسلم يا من أدرك رمضان: إن الله تعالى امتن علينا بشهر عظيم ووافد كريم. كله خير وأفضال، وفرصة للتنافس فيه بصالح الأعمال، قد أظلنا زمانه، وأدركنا أوانه، وإن بلوغ هذا الشهر أمنية عظيمة ونعمة جليلة ومنة من الله جسيمة لمن قدر الله له ذلك. إن بلوغ رمضان أمنية غالية كان يتمناها النبي صلى الله عليه وسلم ويسأل ربه أن يبلغه إياها، فقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول: «اللهم بارك لنا في رجب وشعبان وبلغنا رمضان».

ذلك الشهر الذي هو من أفضل الشهور على الإطلاق، ذلك الشهر الذي خصه الله بفضائل كثيرة لا تعد ولا تحصى، أهمها أنه شهر تتنزل فيه الرحمات، وتغفر فيه الذنوب والسيئات، وتفتح فيه أبواب الجنان،

وتغلق فيه أبواب النيران، وتصفد فيه مردة الشياطين، فيه ليلة هي خير من ألف شهر، شهر تضاعف فيه الحسنات ويستجيب الله فيه الدعوات وتقال فيه العثرات، فماذا أعددت لهذا الشهر الكريم؟! فاحمد الله حمدا يليق بمنه وفضله أن بلغك هذا الشهر الطيب المبارك.

فاللهم سلمنا إلى رمضان وسلم رمضان لنا، وتسلمه منا متقبلا يا صاحب الفضل والإحسان.

أخي المسلم يا من أدرك رمضان: أبشر نفسي وإياك وأبشر كل مسلم على وجه هذه البسيطة بأشرف الشهور وأزكاها عند الله، والذي أتى بعد طول غياب، ووفد إلينا بعد فراق.

أبشرك أخي كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يبشر أصحابه بحلول شهر رمضان فيقول: «أتاكم رمضان، شهر مبارك فرض الله عز وجل عليكم صيامه تفتح فيه أبواب السماء، وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه مردة الشياطين، فيه ليلة خير من ألف شهر، من حرم خيرها فقد حرم»[(١)].

نعم إنها بشرى عظيمة، كيف لا يبشر المؤمن بشهر يفتح الله فيه أبواب الجنة؟! كيف لا يبشر المذنب بشهر يغلق الله فيه أبواب النار؟ كيف لا يبشر العاقل بوقت يغل الله فيه مردة الشياطين؟ كيف لا يبشر العابد

(١) صحيح رواه النسائي والبيهقي.

بليلة هي خير من ألف شهر؟! شهر لا تحصى فضائله ولا تعد فوائده، فكيف لا يبشر به؟!.

أخي يا من أدرك رمضان : ها هو الشهر الكريم سيحل عما قريب بساحتك، ويملأ عليك الدنيا بهجة وسرورا وبركة وخيرا وضياء ونورا، فهذا هو حاله معك وتلك هي بعض مراسيم استقباله لك فما هو حالك أنت أخي معه؟! وما هي استعداداتك ومراسيل استقبالك لهذا الشهر؟!.

أخي يا من أدركت رمضان: احمد الله تعالى بأن أفسح لك في أجلك ومد في عمرك حتى أدركت رمضان، واحمده بأن أدام عليك نعمة الصحة والعافية في بدنك حتى أدركت هذا الشهر.

أخي: أين من كان معك في رمضان الماضي؟! أما أفنته المنون القواضي، أين من كان يصلي معك التراويح معك في الظلم؟! سافر عن داره منذ زمان ولم يعد؟! أين من صبر على الجوع والظمأ معك؟ أين من كانت ترتفع أصواتهم بالدعاء في ليالي رمضان؟! أين.. أين.. أين...؟!.

إذا فحق لك بأن يفرح قلبك وينشرح صدرك وتزكو نفسك بقدوم هذا الضيف الكريم.

أخي أدعوك بهذه المناسبة بأن تفتح صفحة جديدة بيضاء مع ربك وإلهك، وأن تسدل الستار على ماض نسيته أنت وأحصاه الله، وبأن تتوب إلى التواب الرحيم من كل ذنب وتقصير وخطيئة، وأن لا تدع هذه الفرصة تفوتك كما فاتتك في السنوات الماضية، فهذا موسم خصب من

مواسم العمل الصالح، والتنافس في الخيرات والإكثار من النوافل وغيرها من القربات التي تقربك من المولى جل جلاله، ثم إلى متى الغفلة والتسويف، وطول الأمل واتباع النفس والهوى والشيطان؟!!

ما أجمل رمضان عندما يكون بداية للتوبة والانابة، وميدانا للتنافس في الطاعات، ذلك الشهر الذي تحط فيه الخطايا وترفع فيه الدرجات وتعتق فيه الرقاب من النيران، وتضاعف فيه الحسنات.

فكم من التائبين المنيبين إلى الله في رمضان؟! وكم من المستغفرين من ذنوبهم في رمضان!! وكم من المشمرين للطاعة في رمضان!! وكم من المستيقظين من سبات نومهم لنور الهداية في رمضان!! وكم من المقلعين عن الذنوب في رمضان!! وكم من النادمين على فعل المعاصي والمودعين لها في رمضان!!

ولذا أدعوك أخي لتنضم إلى قوافل التائبين القاصدة باب من هو غني عن خلقه جميعا، سبحانه، ومتوجهين إلى باب من لا تضره معصية ولا تنفعه طاعة، وميمين وجوههم إلى باب غافر الذنب وقابل التوب، قبل أن يقفل هذا الباب بطلوع الشمس إلى مغربها، أو بلوغ الروح الحلقوم وعندئذ، لا ينفع الندم ولا يفيد التحسر، فطوبى لمن أجاب فاصاب، وويل لمن طرد عن الباب فما أجاب.

أخي المسلم يا من أدركت رمضان: إن اغتنام مواسم الخير بالجد في العمل الصالح والتوبة إلى الله تعالى مما سلف من القبائح ما يعوض الله به

العاملين عما مضى من نقص في العمل، ويصرف به عقوبة ما اقترف المرء من الذلل ويتجدد به النشاط في الخير، ويزيل به مظهر السآمة والملل، فيتبارى المتنافسون في مضمار السباق مقبلين على الله تعالى من شتى الآفاق ينشدون مغفرة الخطايا والزلات، ويطمعون في جنة عرضها الأرض والسموات عسى أن يكونوا ممن ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ۝ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ۝ ﴾ (١).

إن من أعظم نعم الله عليك أنت أخي أن مد في عمرك، وجعلك تدرك هذا الشهر العظيم، فكم غيب الموت من صاحب، ووارى الثرى من حبيب فإن طول العمر والبقاء على قيد الحياة فرصة للتزود من الطاعات، والتقرب إلى الله عز وجل بالعمل الصالح، فرأس مال المسلم هو عمره لذا فأحرص على أوقاتك وساعاتك حتى لا تضيع سدى، وتذكر من صام معك العام الماضي، وصلى العيد!! ثم أين هو الآن بعد أن غيبه الموت؟! وتخيل أنه خرج إلى الدنيا اليوم فماذا يصنع؟! هل سيسارع إلى النزهة والرحلات؟! أم إلى الانغماس في الملذات والشهوات؟!! أم إلى فعل المحرمات وارتكاب المعاصي والمنهيات؟! كلا - والله - بل سيبحث عن حسنة واحدة، فإن دقيق الحساب شديد، والميزان

---

(١) سورة التوبة، آية (٢١، ٢٢).

دقيق ومحصى فيه مثقال الذر من الأعمال ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝ ﴾[1] .

فاجعل أخي الكريم في رمضان نصيبا من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اغتنم شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل مرضك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك» واحرص أن تكون من خيار الناس كما أخبر بذلك الرسول صلى الله عليه وسلم، فعن أبي بكرة - رضي الله عنه - أن رجلا قال: يا رسول الله! أي الناس خير؟ قال صلى الله عليه وسلم: «من طال عمره وحسن عمله» قال: فأي الناس شر؟ قال: «من طال عمره وساء عمله»[2] .

فرحم الله عبدا سارع إلى طاعة مولاه، وأطرح شهوته وهواه فكان له من الأجر العظيم والنعيم المقيم ما تقر به عيناه ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بالعباد ۝ ﴾[3] .

أخي المسلم يا من أدركت رمضان: هل من وقفة صادقة للمحاسبة؟! هل من وقفة جادة للتأمل؟! لعلك أخي تستبين منعطفا

---

(١) سورة الزلزلة، آية (٧ ، ٨).

(٢) صحيح: رواه مسلم.

(٣) سورة آل عمران آية (٣٠).

تستقيم بـه علـى طريـق الجـادة ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾ [١] .

إن شهر رمضان هو شهر مغفرة الذنوب ، وستر العيوب ، ومضاعفة الأجور ، شهر تعتق فيه الرقاب من النيران ، وتفتح فيه أبواب الجنان ، شهر تتنزل فيه الرحمات ، وتتضاعف فيه الحسنات ، شهر كله خير وأفضال ، وفرصة للتنافس فيه بصالح الأقوال والأفعال والأعمال ، شهر قد أظلنا زمانه ، وأدركنا أوانه ، قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم ملفتا الأنظار إلى فضله ، ويحث المخاطبين واللاحقين إلى اغتنام وقته فقال : «أتاكم رمضان شهر بركة يغشاكم الله فيه برحمته ويحط الخطايا ويستجيب فيه الدعاء ينظر الله إلى تنافسكم فيه ، ويباهي بكم ملائكته ، فأروا الله من أنفسكم خيرا ، فإن الشقي من حرم فيه رحمة الله عز وجل» [٢] .

فشهر هذا فضله ، وشرفه ، وقدره ، وتلك منزلته وعلو مكانته عند الله فقل لي بالله عليك كيف يستقبل هذا الوافد الكريم ، وهذا الشهر العظيم ؟ ! .

أخي يا من أدركت رمضان : يستقبل شهر رمضان بتهيئة القلب وإصلاحه ، فإن أعظم مطلب في هذا الشهر هو إصلاح القلوب ، فالقلب الذي مازال مقيما على المعصية يفوته خيرا عظيما ، فرمضان شهر القرآن ،

---

(١) سورة البقرة آية (١٨٥).

(٢) قال الهيثمي رواه الطبراني في الكبير.

والقلوب هي أوعية القرآن، ومستقر الإيمان، فكيف بوعاء لوث بالآثام كيف يتأثر بالقرآن؟!.

وهذا هو التفسير ـ الحقيقي ـ لحالنا، وحال أناس ينتظمون في الصلاة وسرعان ما يتسرب إليهم الملل، وتتملكهم السآمة وآيات الله ـ التي لو أنزلت على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله ـ تطرق أسماعهم، وذلك لأن القلوب القاسية لم تتطهر لاستقبال كلام الرحمن. قال الحسن البصري ـ رحمه الله ـ: «لو طهرت قلوبكم ما شبعتم من كلام ربكم».

فيا أخي المسلم يا من أدركت رمضان: قدم بين يدي رمضان توبة صادقة تصلح القلب وترضي الرب، وتجلب الرحمات وتزيد الخيرات، وتمحو بها الخطايا، وتستبدل بها السيئات بالحسنات.

يستقبل شهر رمضان بتهيئة وتزكية النفوس وتصفيتها وتنقيتها من الضغائن والأحقاد التي خلخلت العرى، وأنهكت القوى، ومزقت المسلمين شر ممزق، فالذي يطل عليه رمضان وينزل بساحته وهو عاق لوالديه قاطع لأرحامه، هاجر لإخوانه، أفعاله قطيعة، ودوره في المجتمع النميمة، أقواله سباب وفسق وزور وبهتان، فهيهات.. هيهات أن يستفيد من رمضان، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه»[1] . وقال بعض السلف: أهون الصيام ترك الطعام والشراب. قلت: ومراده ـ رحمه الله ـ

---

(١) رواه البخاري.

أن الصيام ليس ترك الطعام والشراب فحسب فهذا يقدر عليه أي أحد حتى الحيوان، ولكن الصيام الحقيقي أن تصوم الجوارح عن كل ما حرم الله، من غيبة ونميمة وسب وأذى، وسرقة وخيانة وغيرها.

وكان السلف ـ رحمهم الله ـ إذا صاموا جلسوا في المساجد وقالوا: نحفظ صومنا ولا نغتاب أحدا.

يستقبل شهر رمضان بتطهير المال من الحرام، فالمال الحرام سبب كل بلاء في الدنيا ويوم الجزاء، فلا يستجاب معه دعاء، ولا تفتح له أبواب السماء، فما أفظعها من حسرة وندامة أن تلهج الألسن بالدعاء ولا استجابة، وربنا الرحمن يقول: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِي وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾[1]. فبادر رعاك الله: وانظر في نفسك وابحث في بيتك، وأدخل يدك في جيبك، وتتطهر من كل مال حرام ليس من مالك، حتى تقف بين يدي الله بقلب خاشع، ومال طاهر، ودعاء صادق، يصعد في الفضاء وتفتح له أبواب السماء.

أخرج مسلم ـ رحمه الله ـ في صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر»[2].

---

(١) سورة البقرة، آية: (١٨٦).

(٢) رواه مسلم.

يستقبل رمضان على أنه مدرسة لتقوية الإيمان وتهذيب الخلق وتصفية القلب، وتزكية النفس وتقوية الإرادة.

ولكن يا أخي الحبيب ـ وللأسف ـ يأتي رمضان وفي الزمن تعساء يستقبلونه على أنه شهر جوع نهاري وشبع ليلي، نوم في الفرش في النهار إلى ما بعد العصر، وسمر في الليل ممتد إلى طلوع الفجر، ليس رمضان عندهم إلا موسم للموائد الزاخرة بألوان الطعام والشراب، ذو العمل منهم يتبرم من عمله، وصاحب التعامل يسيء في تعامله، وذو الوظيفة ثقلت عليه وظيفته.

وجوههم عابسة، وصدورهم ضيقة، وألسنتهم سليطة، وغيظهم حانق، لا يرون في رمضان إلا جوعا لا تتحمله أمعاءهم وعطشا لا تقوى عليه عروقهم، فيا خسارة من كان هذا دأبه، ويا حسرة من هـذا شأنه، فو الله لقد حرم الخير الكثير، وفاته الفضل الكبير، حرم لذة الصبر في نهار رمضان، وفقد لذة المناجاة في ساعات الليل الغالية، فلم تفتح له أبواب الجنان، ولم تغلق عنه أبواب النيران، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم!.

ويقابل هؤلاء التعساء قوم رضي الله عنهم ورضوا عنه يستقبلون شهرهم ليجددوا فيه صلتهم مع ربهم فيجدون في نهاره لذة الصابرين، ويعيشون فيه عيش الأبطال المجاهدين، ويقطعون ليلهم بلذيذ المناجاة وصادق الابتهالات، إيثار جميل، وصبر كريم، وتهذيب في الخلق نبيل،

لا يقابلون الإساءة بالإساءة، ولا يردون البذاءة بالبذاءة، «وإن سابه أحد أو قاتله قال: إني صائم إني صائم»[(١)].

فهؤلاء أخي هم الذين تفتح لهم أبواب الجنان في رمضان، وتغلق عنهم أبواب النيران، وتتلقاهم الملائكة ليلة القدر بالبشر والسلام، هؤلاء هم الذين ينسلخ عنهم رمضان مغفورا لهم ذنوبهم، مكفرة عنهم سيئاتهم، مجلوة قلوبهم طيبة نفوسهم، مجددة بقوة الإيمان عزائمهم، قد مسح الصيام عن جبينهم وعثاء الحياة، وأزال عن أجسامهم غبار المادة، وأبعد عن بطونهم ضرر التخمة، وغذي إيمانهم بالقوة والنور.

أخي المسلم المبارك يا من أدرك رمضان: ينقسم الناس في استقبال رمضان والاستعداد له إلى فريقين، فانظر إلى نفسك من أي الفريقين أنت!

هناك فريق اقتدى بأولئك السلف الصالح، فاتخذوا رمضان موسما لطاعة الله، ومضاعفة الأجور، والازدياد من الخير، صاموا نهاره فأحسنوا الصيام، وقاموا ليله فأحسنوا القيام، وبين هذا وذاك تلاوة للقرآن، وذكر واستغفار، وندم وبكاء، خوف ورجاء، أولئك هم الذين انتفعوا برمضان حق الانتفاع.

وصنف آخر لم يكن لهم أسوة ولا قدوة إلا النفس والهوى، والرغبات التي لا تنتهي والنزوات التي لا تنقضي والشهوات التي لا تقف عند حد.

---

(١) جزء من حديث رواه البخاري ومسلم.

فهؤلاء لم ينتفعوا برمضان ولم يستفيدوا بما فيه من صيام وقيام! لماذا؟!! لأن الله جعل الصيام للقلب والروح فجعلوه للبطن والمعدة، جعله لله للحلم والصبر، فجعلوه للغضب والبطش، جعله الله للسكينة والوقار، فجعلوه شهر السباب والشجار، جعله الله ليغيروا فيه من صفات أنفسهم، فما غيروا إلا مواعيد أكلهم وشربهم وشهواتهم.

جعله الله تهذيبا للغني الطاعم، ومواساة للبائس المحروم الجائع فجعلوه معرضا لفنون الأطعمة والأشربة، يزداد الغني فيه تخمة، والفقير فيه حسرة.

فقل لي يا أخي بالله عليك أي الفريقين أولى بالفوز والفلاح؟! وأحق بأن تفتح له أبواب الجنان وتسد عنه أبواب النيران؟! أي الفرقين قد صفدت سياطينه؟! ومن منهم أحق بنفحات الرحمن؟! ومن الأحرى بموافقة ليلة القدر؟! ومن منهم أولى بأن تغفر ذنوبه وتعتق رقبته من النار، ويدرك رحمته ربه العزيز الغفار؟!

جاء أبو أمامة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: مرني بأمر ينفعني الله به فقال: «عليك بالصيام فإنه لا مثل له»[(١)].

وثبت عن المصطفى صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه قال: «من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه»[(٢)]. وعند

---

(١) رواه النسائي في فضل الصيام رقم (٢٢٢١).

(٢) رواه البخاري ومسلم.

البخاري قوله صلى الله عليه وسلم: «من صام يوما في سبيل الله باعد الله وجهه عن النار سبعين خريفا»[1].

الله أكبر يا عبد الله! ما أوسع رحمتك يا رب، صيام يوم واحد يباعد وجه صاحبه عن النار سبعين خريفا، فما بالك بصيام شهر كامل ألا وهو شهر رمضان!!.

أخي الحبيب: معذرة للإطالة فأنا أحب لك الخير كما أحبه لنفسي، وأذن لي أن في نهاية رسالتي إليك أن أهاتف سمعك بهذا السؤال فأقول: من أي الفريقين أنت؟! وما هي استعداداتك لهذا الشهر الكريم؟! وكيف تستقبل هذا الضيف العزيز؟!

نعم أخي: فإني أراك تجيب وتقول بلسان الحال والمقال أنا من الذين يستقبلون هذا الضيف العزيز والوافد الكريم بقلب صافي ونفس طيبة زكية، ويسوقني الشوق إلى لقاءه.

نعم أخي: إني لأظنك من هذا الصنف الذين يسارعون في الخيرات ويلهثون بالدعوات يرجون رحمة الله ويخافون عقابه، فهم للخير مقدمون وعن الشر محجمون، ومن عذاب ربهم مشفقون ولنعيم الله طامعون ومتطلعون، أحسبك كذلك ولا أزكي أحدا على الله، والله حسيبك.

اللهم بلغنا رمضان، ووفقنا لصيامه وقيامه، واقبلنا فيه وتقبله منا، اللهم زدنا ولا تنقصنا، واعطنا ولا تحرمنا، وأكرمنا ولا تهنا، وآثرنا

---

(١) رواه البخاري.

ولا تؤثر علينا، وأرضنا وأرضى عنا، وعافنا وأعفو عنا، ولغيرك لا تكلنا، واجعلنا مجتمعين غير متفرقين، مغفورا لنا إن كنا مذنبين، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، وكفر عنا سيئاتنا وأجزل حسناتنا، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.



استراحة

- سمعت امرأة في الحديث أن صوم عاشوراء كفارة سنة، فصامت إلى الظهر، ثم أفطرت. وقالت يكفيني كفارة ستة أشهر منها شهر رمضان.
- قيل لطفيلي أي سورة تعجبك في القرآن قال (المائدة) قيل فأي آية قال: (ذرهم يأكلوا ويتمتعوا) قيل ثم ماذا؟ قال: (آتنا غداءنا) قيل ثم ماذا؟ قال: (ادخلوها بسلام آمنين) قيل ثم ماذا؟ قال: (وما هم منها بمخرجين).
- وقال عثمان بن دراج الطفيلي مرت بي جنازة يوما ومعي ابني ومع الجنازة امرأة تبكي، وتقول الآن يذهبون بك إلى بيت لا فراش فيه ولا غطاء ولا وطاء، ولا خبز ولا ماء، فقال ابني يا أبت إلى بيتنا والله يذهبون!!.
- وحكى عن هارون الرشيد ـ رحمه الله ـ أنه أرق ذات ليلة أرقا شديدا، فقال لوزيره أعفر بن يحيى البرمكي، إني أرقت في هذه الليلة وضاق صدري، ولم أعرف ما أصنع، وكان خادمه مسرور واقفا أمامه فضحك، فقال له ما يضحكك؟! استهزاء بي! أم استخفافا؟! قال

وقرابتك من سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ما فعلت ذلك عمدا[1] ولكن خرجت بالأمس أتمشى بظاهر القصر إلى جانب الدجلة فوجدت الناس مجتمعين، فوقفت فرأيت رجلا واقفا يضحك الناس يقال له ابن المغازلي، فتفكرت الآن في شيء من حديثه وكلامه فضحكت، والعفو يا أمير المؤمنين. فقال له الرشيد ائتني به الساعة، فخرج مسرور مسرعا إلى أن جاء إلى ابن المغازلي، فقال له أجب أمير المؤمنين، فقال سمعا وطاعة، فقال له بشرط إنه إذا انعم عليك بشيء يكون لك منه الربع والبقية لي، فقال له بل اجعل لي النصف، ولك النصف، فأبى فقال الثلث ولك الثلثان فأجابه إلى ذلك بعد جهد عظيم، فلما دخل على الرشيد سلم فأبلغ، وترحم فأحسن ووقف بين يديه فقال له الرشيد إن أنت أضحكتني أعطيتك خمسمائة دينار، وإن لم تضحكني أضربك بهذا الجراب ثلاث ضربات.

فقال ابن المغازلي في نفسه وما عسى أن تكون ثلاث ضربات بهذا الجراب وظن في نفسه أن الجراب فارغ، فوقف يتكلم ويتمسخر وفعل أفعالا عجيبة تضحك الجلمود، فلم يضحك الرشيد ولم يبتسم، فتعجب ابن المغازلي، وضجر وخاف، فقال له الرشيد، الآن استحقيت الضرب ثم أخذ الجراب ولفه، وكان فيه أربع زلطات كل واحدة وزنها رطلان فضربه فلما وقعت الضربة في رقبته صرخ صرخة عظيمة، وافتكر الشرط

---

(١) لا يجوز الحلف بغير الله لأن ذلك شرك وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك كما ثبت عنه في الحديث.

الذي شرطه عليه مسرور، فقال العفو يا أمير المؤمنين اسمع مني كلمتين. قال: قل ما بدا لك، قال: إن مسرورا شرط علي شرطا واتفقت أنا وإياه على مصلحة، وهو أن ما حصل لي من الصداقات يكون له فيه الثلثان، ولي فيه الثلث، وقد أجابني إلى ذلك بعد جهد عظيم، وقد شرط على أمير المؤمنين ثلاث ضربات، فنصيبي منها واحدة، ونصيبه اثنتان، وقد أخذت نصيبي، وبقي نصيبه، قال: فضحك الرشيد، ودعا مسرورا فضربه، وقال يا أمير المؤمنين قد وهبت له ما بقي فضحك الرشيد وأمر لهما بألف دينار فأخذ كل واحد منهما خمسمائة ورجع ابن المغازلي شاكرا ومسرورا.



أبواب الخير في رمضان

الحمد لله رب البريات، عالم الخفيات المطلع على الضمائر والنيات، أحمده سبحانه على ما خصنا به من جلائل النعم، وأشكره على ما حبانا به من ألوان الجود والكرم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله اللهم صلي وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد:

فإن شهر رمضان شهر خير وبر وإحسان، الأعمال فيه مضاعفة وسبل الخير فيه كثيرة، فالنفوس تنشط في هذا الشهر عن غيره من الشهور. لذلك رأيت أخي الحبيب أن أجمع لك باقة عطرة من الأحاديث والآثار الصحيحة في مختلف أبواب البر والخير مع التركيز على ما يتأكد منها في هذا الشهر الفضيل. بالإضافة إلى التنبيه على ضرورة المحافظة على فرائض العبادات ونوافلها، ولقد تحريت أن أذكر الأمر والدليل عليه إما من الكتاب أو السنة الصحيحة الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم مع الاختصار الشديد حتى نستوعب أكبر عدد ممكن من الفوائد والله الهادي إلى سواء السبيل.

١- **الإخـــلاص:** قال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝ ﴾[1].

٢- **تجديد التوبة لله تعالى:** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه»[2]. وقال: «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر»[3].

٣- **الدعاء عند رؤية الهلال:** كان النبي ﷺ إذا رأى الهلال يقول: «اللهم أهله علينا باليمن والإيمان، والسلامة والإسلام، ربي وربك الله»[4].

٤- **صيام رمضان إيمانا واحتسابا:** قال رسول الله ﷺ: «من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه»[5].

٥- **صيام ست من شوال:** قال رسول الله ﷺ: «من صام رمضان واتبعه ستا من شوال كان كصوم الدهر»[6].

٦- **قيام رمضان إيمانا واحتسابا:** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه»[7].

---

(١) سورة البينة، آية (٥).

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه الترمذي.

(٤) رواه أحمد والترمذي.

(٥) رواه البخاري ومسلم.

(٦) رواه مسلم.

(٧) رواه البخاري ومسلم.

٧- قيام ليلة القدر إيمانا واحتسابا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه»(١).

٨- الاجتهاد في العشر الأواخر: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل العشر الأواخر أحيا ليله وأيقظ أهله، وشد مئزره»(٢).

٩- العمرة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «العمرة في رمضان تعدل حجة أو حجة معي»(٣).

١٠- الاعتكاف: «كان صلى الله عليه وسلم يعتكف في العشر الأواخر من رمضان»(٤).

١١- تفطير الصائم: قال صلى الله عليه وسلم: «من فطر صائما كان له مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيئا»(٥).

١٢- تعلم القرآن وتعليمه: قال صلى الله عليه وسلم: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»(٦).

١٣- ذكر الله تعالى والإكثار منه: قال صلى الله عليه وسلم: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

(٤) رواه البخاري.

(٥) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

(٦) رواه البخاري.

فتضربوا أعناقهم، ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى. قال: ذكر الله تعالى»[١].

١٤- قراءة القرآن وتلاوته: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه»[٢].

١٥- الاستغفار: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا، ورزقه من حيث لا يحتسب»[٣].

١٦- المحافظة على الصلوات الخمس: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من امرىء مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلا كانت له كفارة لما قبلها من الذنوب، ما لم تؤت كبيرة، وذلك الدهر كله»[٤].

١٧- المحافظة على الصلاة في وقتها: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي العمل أفضل؟! قال: «الصلاة لوقتها»[٥].

١٨- المحافظة على صلاة الفجر والعصر: قال صلى الله عليه وسلم: «من صلى البردين دخل الجنة»[٦].

---

(١) رواه الترمذي.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه أبو داود والنسائي.

(٤) رواه مسلم.

(٥) رواه البخاري ومسلم.

(٦) رواه البخاري.

١٩- المحافظة على صلاة الجمعة: قال رسـول الله صلـى الله عليه وسلم: «الصلـوات الخمـس، والجمعـة إلى الجمعـة، ورمضـان إلى رمضـان مكفرات ما بينهم إذا اجتنبت الكبائر»(١).

٢٠- تحري ساعة الإجابة يوم الجمعـــة: قـال رسـول الله صلـى الله عليـه وسلم: «فيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهـو قـائم يصلـي يسـأل الله شيئا إلا أعطاه إياه»(٢).

٢١- كثرة الذهاب إلى المساجد: قال رسول الله صلى الله عليـه وسـلم: «من غدا إلى مسجد أو راح أعد الله له نزلا في الجنة كلما غدا أو راح»(٣).

٢٢- اسباغ الوضوء: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره»(٤).

٢٣- الشهادة بعد الوضوء: قال رسول الله صلى الله عليـه وسـلم: «من توضأ فأحسـن الوضـوء، ثم قال: أشـهـد أن لا إله إلا الله وحده لا

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

(٤) رواه ومسلم.

شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم اجعلني من المتطهرين، فتحت له أبواب الجنة، يدخل من أيها شاء»[(١)].

٢٤- **المحافظة علـى الوضـوء:** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «استقيموا ولن تحصوا واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة، ولن يحافظ على الوضوء إلا مؤمن»[(٢)].

٢٥- **استعمال السواك:** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة»[(٣)].

٢٦- **الصلاة في المسجد الحرام:** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة في هذا»[(٤)].

٢٧- **الصلاة في المسجد النبوي:** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام»[(٥)].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه ابن ماجة.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

(٤) رواه أحمد وابن خزيمة.

(٥) رواه مسلم.

٢٨- **الصلاة في مسجد قباء:** قال صلى الله عليه وسلم: «من صلى فيه كان كعدل عمرة»[١].

٢٩- **المحافظة على صلاة الجماعة:** قال صلى الله عليه وسلم: «صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفز بسبع وعشرين درجة»[٢].

٣٠- **الحرص على صلاة الضحى:** قال صلى الله عليه وسلم: «يصبح على كل سلامي من أحدكم صدقة، فكل تسبيحة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة، ويجزيء من ذلك كله ركعتان يركعهما في الضحى»[٣].

٣١- **المداومة على السنن الرواتب:** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من عبد يصلي لله تعالى كل يوم اثنتي عشرة ركعة تطوعاً غير الفريضة، إلا بنى الله له بيتاً في الجنة»[٤].

٣٢- **صلاة التطوع في البيت:** قال صلى الله عليه وسلم: «اجعلوا في بيوتكم من صلاتكم ولا تتخذوها قبوراً».

٣٣- **كثرة السجود:** قال صلى الله عليه وسلم: «أقرب ما يكون العبد إلى ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء»[٥].

---

(١) رواه ابن حبان.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه مسلم.

(٥) رواه البخاري.

٣٤- الجلوس في المصلى بعد صلاة الصبح للذكـر: قال صلى الله عليه وسلم: من صلى الفجر في جماعة ثـم قعـد يذكـر الله حتـى تطلـع الشمس، ثم صلى ركعتين، كانت لـه كأجر حجة وعمرة قال صلى الله عليه وسلم «تامة تامة تامة»(١).

٣٥- صلاة المرأة في بيتها: قال صلى الله عليه وسلم: «لا تمنعوا نساءكم المساجد، وبيوتهن خير لهن»(٢).

٣٦- الحرص على صلاة العيدين في المصلـى: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج في يوم الفطر والأضحى إلى المصلى»(٣).

٣٧- تعويد الأولاد على الصـــلاة: قال صلى الله عليه وسلم: «مروا أبناءكم بالصلاة، وهم أبناء سبع سنين واضربوهـم عليها لعشر، وفرقوا بينهم في المضاجع»(٤).

٣٨- تعويد الأولاد الصيام: عن الرُبيِّع بنت معوذ قالت: «فكنا نصومه بعد، ونصوِّم صبياننا، ونجعل لهم اللعبة من العهن»(٥).

٣٩- ذكر الله عقب صلاة الفريضـة: قال صلى الله عليه وسلم: «من سبح دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين وحمد الله ثلاثاً وثلاثين، وكبر الله

---

(١) رواه الترمذي وحسنه.

(٢) رواه أبو داود.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه أبو داود.

(٥) رواه البخاري.

ثلاثاً وثلاثين، فتلك تسعة وتسعون ثم قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، غفرت له خطاياه، وإن كانت مثل زيد البحر»[١] .

٤٠- المحافظة على صلاة التراويح: قال صلى الله عليه وسلم: «أفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل»[٢] .

٤١- تعجيل الفطر: قال صلى الله عليه وسلم: «لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر»[٣] .

٤٢- الإفطار قبل الصلاة: «كان النبي صلى الله عليه وسلم يفطر قبل أن يصلي»[٤] .

٤٣- الإفطار على تمر إن وجد: قال صلى الله عليه وسلم: «من وجد التمر فليفطر عليه ومن لم يجد التمر فليفطر على الماء فإن الماء طهور»[٥] .

٤٤- المحافظة على دعاء الإفطار: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أفطر يقول: «ذهب الظمأ، وابتلت العروق، وثبت الأجر إن شاء الله تعالى»[٦] .

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه البخاري.

(٤) رواه أحمد.

(٥) رواه أحمد وأبو داود والترمذي.

(٦) رواه أبو داود والدارقطني والحاكم.

٤٥- الدعاء عند الإفطار: قال صلى الله عليه وسلم: «إن للصائم عند فطره دعوة لا ترد»[١].

٤٦- الدعاء مطلقاً والإكثار منه: قال صلى الله عليه وسلم: «إن الله يقول: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا دعاني»[٢].

٤٧- المواظبة على السحور: قال صلى الله عليه وسلم: «تسحروا فإن في السحور بركة»[٣].

٤٨- حمد الله تعالى بعد الأكل والشرب: قال صلى الله عليه وسلم: «إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها أو يشرب الشربة فيحمده عليها»[٤].

٤٩- تفطير الصائمين: قال صلى الله عليه وسلم: «من فطّر صائماً كان له مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيء»[٥].

٥٠- الاجتهاد في العشر الأواخر: «كان النبي صلى الله عليه وسلم يجتهد في العشر الأواخر مما لا يجتهد في غيره»[٦].

٥١- الاعتكاف: «كان النبي صلى الله عليه وسلم يعتكف العشر الأواخر في رمضان حتى توفاه الله عز وجل ثم اعتكف أزواجه من بعده»[٧].

---

(١) رواه ابن ماجة.
(٢) رواه البخاري ومسلم.
(٣) رواه البخاري ومسلم.
(٤) رواه مسلم.
(٥) رواه أحمد والنسائي.
(٦) رواه مسلم.
(٧) رواه البخاري ومسلم.

٥٢- الصدقة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أفضل الصدقة صدقة في رمضان»[(١)].

٥٣- فضل الصدقة عموماً: قال صلى الله عليه وسلم: «الصدقة تطفيء الخطيئة كما تطفيء الماء النار»[(٢)].

٥٤- صدقة المقل: سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله أي الصدقة أفضل؟ قال: «جهد المقل وابدأ بمن تعول»[(٣)].

٥٥- فضل صدقة السر: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صنائع المعروف تقي مصارع السوء، وصدقة السر تطفيء غضب الرب، وصلة الرحم تزيد في العمر»[(٤)].

٥٦- إخراج زكاة الفطر: فرض صلى الله عليه وسلم: «زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين، من أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة، ومن أدها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات»[(٥)].

---

(١) رواه الترمذي.

(٢) رواه الترمذي.

(٣) رواه أبو داود وابن خزيمة والحاكم.

(٤) رواه الطبراني.

(٥) رواه أبو داود.

٥٧- إفشاء السلام وإطعام الطعام: قال صلى الله عليه وسلم: «أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام»(١).

٥٨- إماطة الأذى عن الطريق: قال صلى الله عليه وسلم: «لقد رأيت رجلاً يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق، كانت تؤذي الناس»(٢).

٥٩- بر الوالدين وطاعتهما: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رغم أنفه ثم رغم أنفه، ثم رغم أنفه» قيل من يا رسول الله؟ قال: (من أدرك والديه عند الكبر أو أحدهما أو كليهما، ثم لم يدخل الجنة»(٣).

٦٠- طاعة المرأة لزوجها: قال صلى الله عليه وسلم: «إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحصنت فرجها، وأطاعت بعلها - أي زوجها - دخلت من أي أبواب الجنة شاءت»(٤).

٦١- النفقة على الزوجة والعيال والتوسعة عليهم في هذا الشهر: قال صلى الله عليه وسلم: «إذا انفق المسلم على أهله وهو يحتسبها كانت له صدقة»(٥).

---

(١) رواه الترمذي.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه ابن حبان.

٦٢- النفقة على الأرملة والمساكين: قال صلى الله عليه وسلم: «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله» وأحسبه قال: «وكالقائم لا يفتر، وكالصائم لا يفطر»[١].

٦٣- كفالة اليتيم والنفقة عليه: قال صلى الله عليه وسلم: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا.. وقال بأصبعه: السبابة والوسطى»[٢].

٦٤- مسح رأس اليتيم والشفقة عليه: شكا رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قسوة قلبه فقال له صلى الله عليه وسلم: «امسح رأس اليتيم، وأطعم المسكين»[٣].

٦٥- قضاء حوائج الأخوان: قال صلى الله عليه وسلم: لأن يمشي أحدكم مع أخيه في قضاء حاجته ـ وأشار بأصبعه ـ أفضل من أن يعتكف في مسجدي هذا شهرين»[٤].

٦٦- زيارة الأخوان في الله: قال صلى الله عليه وسلم: «النبي في الجنة والصديق في الجنة، والرجل يزور أخاه في ناحية المصر لا يزوره إلا لله في الجنة»[٥].

---

(٥) رواه البخاري ومسلم.

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه أحمد.

(٤) رواه الحاكم.

(٥) رواه الطبراني.

٦٧- زيارة المرضى: قال صلى الله عليه وسلم: «من عاد مريضاً لم يزل في خرفة الجنة»، قيل: يا رسول الله ما خرفة الجنة؟ قال: «جناها»[١].

٦٨- صلة الأرحام وإن قطعوا: قال صلى الله عليه وسلم: «الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله»[٢]

٦٩- إدخال السرور على المسلم: قال صلى الله عليه وسلم: «من لقي أخاه المسلم بما يحب يسره بذلك، سره الله عز وجل يوم القيامة»[٣].

٧٠- التخفيف على الخدم والعمال في رمضان: قال صلى الله عليه وسلم: «من خفف على مملوكه فيه غفر الله له، وأعتقه من النار»[٤].

٧١- التيسير على المعسر: قال صلى الله عليه وسلم: «من يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة»[٥].

٧٢- الشفقة على الضعفاء ورحمتهم والرفق بهم: قال صلى الله عليه وسلم: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»[٦].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) رواه الطبراني.

(٤) رواه ابن خزيمة مطولاً.

(٥) رواه مسلم.

(٦) رواه أبو داود والترمذي.

٧٣- الإصلاح بين الناس: قال صلى الله عليه وسلم: ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ قالوا: بلى يا رسول الله: قال: «إصلاح ذات البين»[١].

٧٤- حسن الخُلق: سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: عن أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ قال: «تقوى الله وحسن الخُلق»[٢].

٧٥- طيب الكلام: قال صلى الله عليه وسلم: «اتقوا النار ولو بشق تمرة، فإن لم تجد فبكلمة طيبة»[٣].

٧٦- الصمت وحفظ اللسان إلا من خير: قال صلى الله عليه وسلم: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»[٤].

٧٧- حفظ اللسان من اللغو والرفث والسب: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليس الصيام من الأكل والشرب، إنما الصيام من اللغو والرفث فإن سابك أحد أو جهل عليك فقل: إني صائم إني صائم»[٥].

---

(١) رواه أبو داود والترمذي.

(٢) رواه الترمذي.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

(٤) رواه البخاري.

(٥) رواه ابن خزيمة وابن حبان.

٧٨- حفظ اللسان عن قول الزور: قال صلى الله عليه وسلم: «من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»(١).

٧٩- حفظ اللسان من أذية المسلمين: قال صلى الله عليه وسلم: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»(٢).

٨٠- حفظ اللسان من الغيبة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أتدرون ما الغيبة؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «ذكرك أخاك بما يكره» قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته»(٣).

٨١- حفظ اللسان من النميمة والوقيعة بين الناس: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يدخل الجنة قتات»(٤) أي نمّام.

٨٢- الحلم والصفح وكظم الغيظ: قال تعالى: ﴿ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾(٥) وقال ﷺ للأشج: «إن فيك خصلتان يحبهما الله تعالى: الحلم والأناة»(٦).

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه البخاري ومسلم.

(٥) سورة آل عمران، الآية: (١٣٤).

(٦) رواه مسلم.

٨٣- **غض البصر عن محارم الله:** قال صلى الله عليه وسلم: «النظرة سهم مسموم من سهام إبليس من تركها من مخافتي أبدلته إيمانا يجد حلاوته في قلبه»[١].

٨٤- **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:** قال صلى الله عليه وسلم: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»[٢].

٨٥- **كثرة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم:** قال صلى الله عليه وسلم: «من صلى علي صلاة صلى الله عليها بها عشرا»[٣].

٨٦- **الجلوس مع الصالحين والأخيار:** قال صلى الله عليه وسلم: «لا يقعد قوم يذكرون الله عز وجل إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده»[٤].

٨٧- **اصطناع المعروف والدلالة على الخير،** قال صلى الله عليه وسلم: «كل معروف صدقة، والدال على الخير كفاعله»[٥]. وقال: «ومن دل على خير فله مثل أجر فاعله»[٦].

---

(١) رواه الطبراني.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه مسلم.

(٥) رواه البخاري ومسلم.

(٦) رواه مسلم.

٨٨- **الدعوة إلى الله**: قال صلى الله عليه وسلم: «من دعا إلى هدي كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً»[١].

٨٩- **كفارة المجلس**: قال صلى الله عليه وسلم: «من جلس جلسة فكثر لغطه، فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، استغفرك وأتوب إليك، إلا غُفر له ما كان في مجلسه ذلك»[٢].

٩٠- **الستر على المسلمين**: قال صلى الله عليه وسلم: «لا يستر عبد عبدا في الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة»[٣].

٩١- **إغاثة المسلمين**: قال صلى الله عليه وسلم: «من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عليه من كرب يوم القيامة»[٤].

٩٢- **المداومة على العمل الصالح وإن قل**: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل»[٥].

٩٣- **الإحسان إلى الجار**: قال صلى الله عليه وسلم: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره»[٦].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه الترمذي وأبو داود.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه مسلم.

(٥) رواه مسلم.

(٦) رواه مسلم.

٩٤- الدعاء للوالديــن: قال صلى الله عليه وسلم: «إن الله عز وجل ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول: يا رب أين هذا لي؟ فيقول: باستغفار ولدك لك»[١].

٩٥- رد المظالم والتحلل من أصحــاب الحقــوق: قال صلى الله عليه وسلم: «من كانت عنده مظلمة لأخيه فليتحلله منها، فإنه ليس ثم دينار ولا درهم من قبل أن يؤخذ لأخيه من حسناته، فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات أخيه فطرحت عليه»[٢].

٩٦- اتباع السيئة الحسنة: قال صلى الله عليه وسلم: «اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن»[٣].

٩٧- أداء الأمانة والوفاء بالعهد: قال صلى الله عليه وسلم: «لا إيمان لمن لا أمان له، ولا دين لمن لا عهد له»[٤].

٩٨- التراحم والتعاطف مع المسلمين: قال صلى الله عليه وسلم: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[٥].

---

(١) رواه أحمد.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه أحمد والحاكم.

(٤) رواه أحمد.

(٥) رواه البخاري ومسلم.

٩٩- الذب عن أعراض المسلمين: قال صلى الله عليه وسلم: «من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة»[١].

١٠٠- سلامة الصدر وترك الشحناء: قال صلى الله عليه وسلم: «تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين والخميس، فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئا، إلا رجلا كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال انظروا هذين حتى يصطلحا، انظروا هذين حتى يصطلحا، انظروا هذين حتى يصطلحا»[٢].

١٠١- التعاون مع المسلمين فيما فيه خير: قال تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾[٣]. وفي الحديث: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ثم شبك بين أصابعه»[٤].

١٠٢- توزيع الكتاب والشريط الإسلامي النافع على الأسرة أو الأصدقاء في العمل أو المدرسة أو النادي ونحوه من التجمعات.

١٠٣- التنسيق مع التجار وأصحاب المحلات لشراء ملابس وما يلزم من أمور العيد وتوزيعها في آخر رمضان على الفقراء والمحتاجين، لتعم الجميع فرحة العيد.

---

(١) رواه الترمذي.

(٢) رواه مسلم.

(٣) سورة المائدة آية (٢).

(٤) رواه البخاري.

١٠٤- حث كل بيت على المساهمة في إفطار الصائم، كل بما يستطيع، وإرسال ما تيسر لهم من طعام إلى مسجد الحي أو التنسيق مع المطاعم من أجل ذلك.

١٠٥- الاستفادة من حملات العمرة التي تقام في شهر رمضان المبارك بتنظيم جملة من البرامج الدعوية والعلمية والثقافية للمشاركين، مع الحرص على أن يكون مع كل رحلة شيخ يستفاد من علمه، أو طالب علم جيد إن تعذر الأول.

١٠٦- ترتيب كلمات تلقى خلال شهر رمضان أثناء صلاة التراويح وتعلن في لوحة المسجد على شكل جدول بين وواضح.

١٠٧- القيام بزيارة المرضى في المستشفيات، وتشجيعهم وحثهم على الصبر والاحتساب مع إهدائهم مجموعة من الهدايا الدعوية الهادفة النافعة المفيدة.

أخي الكريم:

هذا بعض أبواب الخير والتي معظمها يتعلق بشهر رمضان المبارك وغيرها كثير لكن ما ذكر فيه الكفاية لمن أراد الهداية، فاحرص أخي الكريم على فرص الخير ولا تدعها تفوتك، فلربما يكون هذا آخر عهدك برمضان، فاغتنم الفرصة، وأعمل لما تحب أن تراه يوم العرض على ملك الملوك وجبار السموات والأرض ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ

بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًاۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ [١] .

وفقنا الله وإياك لما يحب ويرضى وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

❋ ❋ ❋

(١) سورة آل عمران، الآية (٣٠).

استراحة



كان سيدنا أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ قبل مبايعته إماما للمسلمين وخليفة لسيد الخلق رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى ويواظب ويهتم على تأدية خدمة عظيمة الشأن جليلة القدر لجيرانه ، فكان يذهب إلى بيوت العجزة واليتامى والضعفاء ـ ولا يخلو مجتمع منهم ـ وغيرهم ممن مات عائلوهم أو استشهدوا في سبيل الله ، فكان يحلب لهم أغنامهم كرما منه ، ويعجن خبزهم رأفة بهم!.

فلما صار خليفة وإماما للمسلمين خشي هؤلاء أن يحرموا من عطف وخدمات أبي بكر لهم! فلقد سمع إحدى الأرامل تقول : «اليوم لا تحلب لنا شاة»!.

فقال : «بل لعمري لأحلبنها لكم».. وسارع يقرع الباب ، وتفتحه فتاة صغيرة لا تكاد تراه حتى تصيح : «حالب الشاة يا أماه!» .

الله أكبر! خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم المبشر بالجنة، وثاني اثنين إذ هما في الغار وصهر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقاصم ظهر المرتدين، (حالب شاة)!!! ولمن؟ للعجزة واليتامى والأرامل!!!.

إن جلالة الموقف تغنيك عن كثير من الكلام لذا أريد أن يكون الموقف هكذا ببهاءه وصفاءه، فلا أريد أن أتكلم حتى لا أذهب ببهاء وأعكر صفاءه، ولكن أريد أن أقول:

إن ذوي النفوس الصغيرة تغيرهم المناصب الصغيرة - فضلا عن الكبيرة - ويطغيهم المال والغنى، وقد زين لهم الشيطان التمرد على الله وكفران النعم والتنكر لذوي الأرحام والأقارب والأصدقاء.. لكن أبا بكر الصديق - رضي الله عنه - الذي تربى في ظل النبوة الحانية وشرب من معينها الصافي ذا النفس الكبيرة لا يطغيه المنصب - أين كان - لا يغيره ولا يحجبه أو يشغله الحكم عن معروف كان يسديه لضعيف أو أرملة أو يتيم! وهل الحكم في الإسلام والسيادة إلا خدمة المسلمين ونفع الناس!!.

ورضي الله عن أمير المؤمنين عمر حين علم ذلك من أبي بكر - رضي الله عنه - قال: «لقد أتعبت الخلفاء من بعد يا أبا بكر».

نعم: إنه لم يتعبهم فحسب بل أقام الحجة وأبان المحجة بيانا معتربا لا شك فيه ولا غموض لكل من ولى أمر المسلمين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

لقد فهم أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ وأمثاله أن الخلافة : تكليف لا تشريف، أما الآخرين ففهموا الخلافة وولاية أمر المسلمين تشريف لا تكليف، ولك أخي الكريم أن تعرف الفرق في فهم أبي أبكر للخلافة وفهم غيره ممن ولاهم الله أمر المسلمين!!.

❀ ❀ ❀


فضـــائل
شهر رمضان

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله.

أما بعد:

أخي المسلم.. أختي المسلمة: لقد فضل الله تبارك وتعالى شهر رمضان بفضائل كثيرة، هي أجل من أن تحصى وأكثر من أن تعد، فهو شهر بركة وخير، حباه الله بخير وافر، وبركة في كل شيء زائدة وأثرها واضح للعيان، فهو شهر القرآن، وشهر الإحسان وشهر البر والمواساة وشهر التقوى والمغفرة، وشهر التوبة وتكفير الذنوب، شهر قيام الليل والتهجد، شهر تصفيد الشياطين، شهر تفتح فيه أبواب الجنان وتغلق فيه أبواب النيران، شهر العتق من النار، شهر يستجاب فيه الدعاء، شهر ليلة القدر، وما أدراك ما ليلة القدر؟! إنها ليلة هي خير من ألف شهر، ولو استطردنا في سرد فضائله وإيضاح محاسنه لطال بنا المقام ونفد منا المداد، قبل أن نأتي على شيء يسير من فضائله الجمة.

لذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يبشر أصحابه رضوان الله عليهم بقدوم شهر رمضان.

أخرج الإمام أحمد في المسند والنسائي عن أبي قلابة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبشر أصحابه - أي بحلول رمضان - «قد جاءكم شهر رمضان شهر مبارك، افترض الله

عليكم صيامه، يفتح فيه أبواب الجنة ويغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه الشياطين، فيه ليلة خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حُرم»[(١)].

قال ابن رجب ـ رحمه الله ـ في التعليق على هذا الحديث: «هذا الحديث أصل في تهنئة الناس بعضهم بعضاً بشهر رمضان، كيف لا يُبشر المؤمن بفتح أبواب الجنان، كيف لا يبشر المذنب بغلق أبواب النيران، كيف لا يبشر العاقل بوقت يغل فيه الشيطان»أ.هـ.

أخي الحبيب: إن بلوغ شهر رمضان وصيامه نعمة عظيمة على من أقدره الله عليه.

قال معلى بن الفضل: كانوا يدعون الله ستة أشهر أن يبلغهم رمضان ثم يدعونه ستة أشهر أن يتقبل منهم.

قال يحيى بن أبي كثير: «كان من دعائهم اللهم سلمني إلى رمضان وسلم رمضان لي وتسلمه مني متقبلاً».

عن أبي سلمة عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: كان رجلان من بني قضاعة، أسلما مع النبي صلى الله عليه وسلم، واستشهد أحدهما وأُخِرَ الآخر سنة، قال طلحة بن عبيد الله: فأريت الجنة، فرأيت فيها

---

(١) إسناده صحيح: رواه النسائي والبيهقي، كلاهما عن أبي قلابة، وانظر مسند الإمام أحمد: (٧١٤٨، ٩٤٩٣، ٨٩٧٩) تحقيق شاكر، عن أبي هريرة، قال الشيخ أحمد شاكر ـ رحمه الله ـ في التعليق على مسند أحمد (٧١٤٨) إسناده صحيح، وفي (التهذيب) يقال أن أبا قلابة لم يسمع من أبي هريرة ولم أجد ما يؤيد هذا، وأبو قلابة ـ عبد الله بن زيد ـ لم يعرف بتدليس، والمعاصرة كافية بالحكم بوصل الإسناد. أ. هـ.

المؤخر منهما، أدخل قبل الشهيد، فعجبت لذلك، فأصبحت فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، أو ذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أليس قد صام بعده رمضان، وصلى ستة آلاف ركعة أو كذا وكذا ركعة صلاة السنة»(١).

أخي الكريم:

من رحم في رمضان فهو المرحوم، ومن حرم خيره وبركته فهو المحروم، ومن لم يتزود فيه لمعاده فهو الملوم.

كم ممن أمل أن يصوم هذا الشهر فخانه أمله. فصار قبله إلى ظلمة القبر، كم من مستقبل يوما لا يستكمله، ومؤمل غدا لا يدركه، إنك لو أبصرت الأجل ومصيره، لأبغضت الأمل وغروره.

يا ذا الذي ما كفاه الذنب في رجب ... حتى عصى ربه في شهر شعبان
فاحمل على جسد ترجو النجاة له ... فسوف تضرم أجساد بنيران
كم كنت تعرف ممن صام في سلف ... من بين أهل وجيران وإخوان
أفناهم الموت واستبقاك بعدهم ... حيا فما أقرب القاصي من الداني
ومعجب بثياب العيد يقطعها ... فأصبحت في غد أثواب وأكفان
حتى متى يعمر الإنسان مسكنه ... يصير مسكنه قبر لإنسان(٢)

---

(١) إسناده صحيح: انظر مسند الإمام أحمد بتحقيق شاكر حديث رقم (٨٣٨٠، ٨٣٨١) (١٦/١٧٠-١٧١)، وعند ابن ماجة بسند صحيح انظر: (صحيح سنن ابن ماجة) للألباني (٢/٣٤٥-٣٤٦) رقم (٣١٧١).

(٢) لطائف المعارف ص (١٥٥ - ١٥٧).

فاعلم يا أخي الكريم أن الناصح لنفسه لا تخرج عنه مواسم الطاعات وأيام القربات عطلا ، لأن الأبرار ما نالوا البر إلا بالبر، والعاقل خصيم نفسه.

فيجب على العاقل أن يضع نصب عينيه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : «افعلوا الخير دهركم، وتعرضوا لنفحات رحمة الله ، فإن لله نفحات من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده»[١] .

وقوله صلى الله عليه وسلم : «إن لربكم في أيام دهركم نفحات، فتعرضوا لها، لعل أحدكم أن يصيبه منها نفحة لا يشقى بعدها أبدا».

فيتعرض العبد لإحسان مولاه، سبحانه من كريم أضحت رحالنا بباب كرمه مطروحة، ورمضان سيد الشهور وتاج على مفرق الأيام والدهور.

رمضان ربيع التقى وقد فاح فواحه.. رمضان يوسف الزمان في عين يعقوب الإيمان، فمرحبا بشهر طيب كريم مبارك.

هبت اليوم على القلوب نفحة من نفحات نسيم القرب في رمضان، وسعى سمسار الوعظ للمهجورين في الصلح، ووصلت البشارة للمنقطعين بالوصل، وللمذنبين بالعفو، والمستوجبين النار بالعتق، لما سلسل الشيطان في شهر رمضان، وخمدت نيران الشهوات بالصيام انعزل

---

(١) حسن: رواه الطبراني في (الكبير) عن أنس وقال الهيثمي إسناد رجاله رجال الصحيح، وحسنه الألباني في الصحيحة رقم (١٨٩٠).

سلطان الهوى، وصارت الدولة لحاكم العقل بالعدل، فلم يبقى للعاصي عذر.

فيا غيوم الغفلة عن القلوب تقشعي، يا شموس التقوى والإيمان اطلعي، يا صحائف أعمال الصائمين ارتفعي، يا قلوب الصائمين اخشعي يا أقدام المتهجدين اسجدي لربك واركعي، يا عيون المجتهدين لا تهجعي، يا ذنوب التائبين لا ترجعي، يا أرض الهوى ابلعي ماءك، ويا سماء النفوس اقلعي، يا بروق العشاق للعشاق إلمعي، يا خواطر العارفين ارتعي. يا همم المحبين لغير الله لا تقنعي، ويا همم المؤمنين أسرعي[1].

فيا من طالت غيبته عن مولاه، قد قربت أيام المصالحة، يا من دامت خسارته قد أقبلت أيام التجارة الرابحة، كم ينادي حي على الفلاح وأنت خاسر، وكم تدعى إلى الصلاح وأنت على الفساد مثابر.

من لم يربح في رمضان ففي أي وقت يربح، ومن لم يقرب فيه من مولاه فهو على بعده لا يبرح.

وإليك أخي الحبيب هذه الفضائل لشهر رمضان، لعل أن يكون لك واعظا من نفسك، فتعلو الهمم، وتزكو النفس ويصفو القلب ويطهر من عوالق الحياة، ويكون لك النصيب الأوفر من بركة هذا الشهر وخيره.

(١) لطائف المعارف (١٤١ - ١٤٣).

١- شهر رمضان شهر نزول القرآن والكتب السماوية

عن واثلة بن الأسقع - رضي الله عنه - عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنزلت صحف إبراهيم أول ليلة من رمضان، وأنزلت التوراة لست مضت من رمضان، وأنزل الإنجيل لثلاث عشر مضت من رمضان وأنزل الزبور لثمان عشر خلت من رمضان، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان»[١].

قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [سورة البقرة:الآية ١٨٥]. وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾ [سورة القدر:الآية ١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ [سورة الدخان:الآية ٣]. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «أنزل القرآن جملة من الذكر[٢]. في ليلة أربع وعشرين من رمضان[٣]. فجعل في بيت العزة».

---

(١) حسن: رواه الطبراني في الكبير عن واثلة، وأحمد في مسنده وابن عساكر، وحسنه الألباني (صحيح الجامع رقم (١٥٠٩).

(٢) أي اللوح المحفوظ.

(٣) وهي عند ابن عباس ليلة القدر والوتر من العشر الأواخر كما يقول ابن تيمية: قد يكون باعتبار ما مضى من الشهر أو باعتبار ما بقى.

وعنه أيضا قال: أنزل القرآن في ليلة القدر من السماء العليا، جملة واحدة، ثم فرق في السنين بعد، قال: وتلا ابن عباس هذه الآية: ﴿ ۞ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴾ [سورة الواقعة:الآية ٧٥]. قال: نزل مفرقا.

وعن سعيد بن جبير ـ رحمه الله ـ: «نزل القرآن جملة واحدة في ليلة القدر في شهر رمضان، فجعل في سماء الدنيا».

قال ابن جرير الطبري ـ رحمه الله ـ: «نزل القرآن من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا في ليلة القدر من شهر رمضان ثم أنزل إلى محمد صلى الله عليه وسلم على ما أراد الله إنزاله إليه»[١].

وقال سفيان بن عيينة ـ رحمه الله ـ أنزل في فضله ـ أي رمضان ـ القرآن[٢].

أخي الكريم:

القرآن: «كتاب هذه الأمة الخالد، الذي أخرجها من الظلمات إلى النور، فأنشأها النشأة، وبدلها من خوفها أمنا، ومكن لها في الأرض، ووهبها مقوماتها التي بها صارت أمة، ولم تكن من قبل شيئا، وهي بدون هذه المقومات ليست أمة وليس لها مكان في الأرض، ولا ذكر في السماء، فلا أقل من شكر الله على نعمة هذا القرآن بالاستجابة إلى صوم الشهر الذي نزل فيه القرآن»[٣].

---

(١) تفسير الطبري: (٢/١١٤ - ١١٥).

(٢) التبصرة لابن الجوزي (٢/٧٣).

(٣) الظلال: (١٧١ - ١٧٢).

نعم:

«ولكن ستظل هناك فجوة عميقة بيننا وبين القرآن ما لم نتمثل فيه حسنا، ونستحضر أن هذا القرآن خوطبت به أمة حية ذات وجود حقيقي، ووجهت به أحداث واقعية في حياة هذه الأمة وأديرت به معركة ضخمة في داخل النفس البشرية وفي رقعة من الأرض كذلك»(١).

فالقرآن نعمة من الله عظيمة ومنة منه جسيمة تستلزم منا الشكر ليل نهار ونكون بذلك مقصرين غاية التقصير.

فالقرآن نور يضيء لنا الطريق في الدنيا والآخرة. والقرآن فيه الهدى والصلاح، فبه تطمئن القلوب، وتزكو النفوس، وتعلو الهمم وترتقي، وتشفى الصدور من عللها، وتسلم الأرواح والأبدان من أسقامها.

من قال به حكم، ومن حكم به عدل، ومن سار على نهجه هدي إلى صراط مستقيم، ومن أعرض عنه قيض له شيطانا فهو له قرين، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ [سورة الزخرف:الآية ٣٦].

«وأسوأ ما يصنعه قرين بقرين أن يصده على السبيل الواحدة القاصرة ثم لا يدعه يفيق، أو يتبين الضلال فيتوب، إنما يوهمه أنه سائر في الطريق القاصد القويم، حتى تفاجئهم النهاية وهم سادرون، هنا يفيقون

---

(١) من وحي القلم.

كما يفيق المخمور، ويفتحون أعينهم بعد العشى والكلال والعذاب كامل لا تخففه الشركة، ولا يتقاسمه الشركان فيهون[1] ».

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [سورة طه:الآية ١٢٤].

«إن الحياة المقطوعة الصلة بالله ورحمته الواسعة ضنك مهما يكن فيها من سعة ومتاع، إنه ضنك الانقطاع عن الاتصال بالله والاطمئنان إلى حماه. ضنك الحيرة والقلق.. ضنك الحرص والحذر: الحرص على ما في اليد، والحذر من الفوت.. ضنك الجري وراء بارق المطالع والحسرة على كل ما يفوت.

لقد أسرف لو خسر كلا من أعرض عن ذكر الله فألقى بالهدى من بين يديه وهو أنفس ثراء وذخر»[2] .

فيا أخي الحبيب ليكن لك نصيبا مع القرآن في هذا الشهر الذي أنزل فيه وليكن لك في رسولك صلى الله عليه وسلم الأسوة الحسنة والقدوة الطيبة، ففي الصحيحين عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: «كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فرسول الله صلى الله عليه وسلم حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة».

---

(١) الظلال. (٥/٣١٨٩ - ٣١٩٠).

(٢) الظلال. (٤/٢٣٥٥).

قال ابن رجب: «دل الحديث على استجاب دراسة القرآن في رمضان والاجتماع على ذلك، وعرض القرآن على من هو أحفظ له، وفيه دليل على استحباب الإكثار من تلاوة القرآن في شهر رمضان»[١].

قال ابن رجب: «كان السلف يتلون القرآن في شهر رمضان في الصلاة في كل ست ليال»[٢].

«كان الأسود يختم القرآن في رمضان في كل ليلتين، وكان يختم في غير رمضان في كل ست ليال»[٣].

«كان قتادة يختم القرآن في كل سبع ليال مرة، فإذا جاء رمضان ختم في كل ثلاث ليال مرة، فإذا جاء العشر ختم في كل ليلة مرة»[٤].

«وكان النخعي يفعل مثل ذلك في العشر الأواخر منه خاصة، وفي بقية الشهر في ثلاث»[٥].

قال ربيع بن سليمان: «كان محمد بن إدريس الشافعي يختم في شهر رمضان ستين ختمة، ما منها شيء إلا في صلاة»[٦].

وأخبار القوم كثيرة لكن فيما ذكر كفاية لمن أراد الهداية.

---

(١) لطائف المعارف: (١٨٩) قلت: وفي الحديث دليل أيضا على استحباب الصدقة في رمضان وزيادة البذل والعطاء والجود والكرم في ذلك الشهر الفضيل، وذلك لشرف الزمان، والله أعلم.

(٢) لطائف المعارف (١٩١).

(٣) حلية الأولياء (٢/١٦٣).

(٤) حلية الأولياء (٢/٣٣٨) و (لطائف المعارف) (١٩١).

(٥) لطائف المعارف (١٩١).

(٦) المصدر السابق.

فيا أخي الكريم: لا تكن من الغافلين في هذا الشهر عن قراءة القرآن فكن من الذاكرين له آناء الليل وأطراف النهار.

واعلم أخي الكريم: أن الصيام والقرآن يشفعان لك يوم القيامة كما صح ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم. فعن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة يقول الصيام: أي رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه، ويقول القرآن: رب منعته النوم بالليل فشفعني فيه، فيشفعان)[(١)] .

فيا من فرط في شهره وأضاعه، يا من بضاعته التسويف والتفريط بئست البضاعة، يا من جعل خصمه القرآن وشهر رمضان، كيف ترجو ممن جعلته خصمك الشفاعة؟![(٢)] .

ويل لمن شفاؤه خصماؤه والصور في يوم القيامة ينفخ

(١) صحيح: رواه أحمد والطبراني في (الكبير) وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٣٨٨٢).

(٢) لطائف المعارف (١٩٤).

٢- رمضان شهر التراويح والتهجد

شهر رمضان شهر المصابيح ، شهر التهجد والتراويح ، واها لأوقاته من زواهر ما أشرفها ، ولساعاته التي كالجواهر ما أظرفها ، أشرفت لياليها بصلاة التراويح ، وأنارت أيامها بالصيام والتسبيح ، حليتها الإخلاص والصدق ، وثمرتها الخلاص والعتق.

فطوبى لعبد صام نهاره ، وقام أسحاره.. يا حسنه ومصابيح النجوم تزهر ، والناس قد ناموا وهو في الخير يسهر ، غسل وجهه من ماء عينه وعين العين أطهر.

بشرى لمن قام رمضان إيمانا واحتسابا.

(أ) قيام رمضان من الإيمان ، ومغفرة لسالف الذنوب.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه»[١] .

(ب) من قام رمضان فهو من الصديقين والشهداء.

---

(١) صحيح : أخرجه أصحاب الكتب الستة ومالك وأحمد والدارمي ، والفريابي في (كتاب الصوم) وعبد الغني المقدسي في (فضائل رمضان).

جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: فقال يا رسول الله: أرأيت إن شهدت أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، وصليت الصلوات الخمس، وأديت الزكاة، وصمت رمضان وقمته فممن أنا؟ قال: «من الصديقين والشهداء»[١].

(جـ) من قام مع إمامه حتى ينصرف كتب له قنوت ليلة.

جاء في حديث أبي ذر قوله صلى الله عليه وسلم: «إن الرجل إذا صلى مع الإمام حتى ينصرف حسب له قيام الليلة»[٢].

فيا أخي الحبيب: هل بعد هذا الفضل من فضل؟ وهذا الخير من خير؟ أما زلت مصرا على عصيانك، وتركك لصلاة التراويح والقيام بعدما سمعت وقرأت هذه الأحاديث؟! أما زلت تقضي الليل في السمر واللهو والعربدة ومشاهدة ما حرم الله وسماع الأغاني والطرب والمجون؟!.

ألا فاتق الله في عمرك، وأقبل على صلاة التراويح يقبل الله عليك، وانظر إلى سلفك من الصحابة رضوان الله عليهم.

عن السائب بن يزيد أنه قال: «أمر عمر بن الخطاب أبي بن كعب وتميما الداري أن يقوما بالناس بإحدى عشرة ركعة، قال: وقد كان

---

(١) صحيح: رواه البزار وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما (واللفظ لابن حبان وصححه الألباني في صحيح الترغيب رقم (٩٩٣) والتعليق على ابن خزيمة (٢٢١٢).

(٢) سنده صحيح: رواه أبو داود واللفظ له، والترمذي وصححه، والنسائي، وابن ماجة، وابن أبي شيبة، وقال الألباني: سنده صحيح: صلاة التراويح (ص١٥).

القاريء يقرأ بالمئين حتى كنا نعتمد على العصي من طول القيام، وما كنا ننصرف إلا في فروع الفجر خشية أن يفوتنا الفلاح»[١] أي السحور.

وإن تعجب فعجب من قوم يصلون بعض الركعات ثم يولون مدبرين تاركين الصلاة بحجة أن الإمام يطيل القراءة أو يطيل السجود والركوع أو غيرها من الحجج الواهية التي زينها لهم الشيطان فاستحسنوها فضلوا عن السبيل.

والله الذي لا إله غيره ما تصلح القلوب والأجساد والأبدان إلى بالقيام بين يدي علام الغيوب، فلا تفرط يا أخي الحبيب في صلاة التراويح وأعلم أن قيام الليل هو طريق الصالحين وقرة عيون الموحدين.

عن بلال ـ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم وقربة إلى الله تعالى ومنهاة عن الإثم، وتكفير للسيئات، ومطردة للداء عن الجسد»[٢].

قال بعض السلف: قيام الليل يهون طول القيام يوم القيامة.

(١) سنده صحيح: أخرجه مالك، وعنه البيهقي في (سننه الكبرى) وقال السيوطي في المصابيح سنده في غاية الصحة، وصححه الألباني.

(٢) صحيح: رواه الترمذي والبيهقي والحاكم عن بلال، وعن أبي أمامة، وابن عساكر في التاريخ عن أبي الدرداء، والطبراني في (الكبير) عن سلمان، وصححه الألباني في (صحيح الجامع) (٣/٥٠) رقم (٣٩٥٨).

أخي في الله: هذا شهر القيام، وهذه ليالي شهر رمضان، موسم التهجد وطول القيام، فلله در نفوس تركت نعم الدنيا الحاضرة واستعدت لأفزاع الآخرة.

إذا ما الليل أظلم كابدوه ... فيسفر عنهم وهم ركوع
أطار الخوف نومهم فقاموا ... وأهل الأمن في الدنيا هجوع
لهم تحت الظلام وهم سجود ... أنين منه تنفرج الضلوع

فيا أخي الكريم: اغتنم زمن الأرباح، فأيام المواسم معدودة، وانتهز الفرصة فأوقات الفضائل مشهودة.

فلله در أقوام هجروا لذيذ المنام، وتنصلوا لما نصبوا له الأقدام وانتصبوا للتعب في الظلام وغيرهم نيام، يطلبون نصيبا من الإنعام، إذا جن الليل سهروا، وإذا طلع النهار اعتبروا، وإذا نظروا في عيوبهم استغفروا، وإذا تفكروا في ذنوبهم بكوا وانكسروا.

فيا أخي الحبيب: احذ حذوهم وسر على دربهم واسلك طريقهم وانسج على منوالهم، وأحبهم، لعلك تحشر معهم (فالمرء مع من أحب)[1].

---

(١) جزء من حديث صحيح وهو عن ثوبان مولى النبي صلى الله عليه وسلم.

٣- شهر رمضان شهر تكفير الذنوب

- عن جابر بن سمرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أتاني جبريل فقال: يا محمد! من أدرك شهر رمضان فمات ولم يغفر له فأدخل النار فأبعده الله. قل: آمين، فقلت: آمين. قال: ومن ذكرت عنده فلم يصل عليك فمات فدخل النار فأبعده الله قل: آمين، فقلت: آمين»[١].
- عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ومن قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه»[٢].
- وقال صلى الله عليه وسلم: «من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه»[٣].
- قال الخطابي: «إيمانا واحتسابا» أي نية وعزيمة، وهو أن يصومه على التصديق والرغبة في ثوابه، طيبة به نفسه غير كاره له، ولا مستثقل لأيامه لكن يغتنم أيامه لعظم الثواب»[٤].

---

(١) صحيح: رواه الطبراني في الكبير، وابن حبان في (صحيحه) وصححه الألباني في (صحيح الجامع) رقم (٧٥).

(٢) صحيح: رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجة مختصرا.

(٣) صحيح: وقد تقدم تخريجه.

(٤) فتح الباري (٤/١٣٨ - ١٣٩).

وقال البغوي (احتسابا) أي طلبا لوجه الله وثوابه.

وقال المناوي: أي صام أيامه كلها إيمانا بفرضيته، ومصدقا طلبا للثواب.

أخي الحبيب: إن تكفير الذنوب والخطايا نعمة من الله عظيمة، ومنة من الله جسيمة، وذلك لمن سلك سبيل الهداية وترك سبيل الغواية، كان عبد الله بن مسعود يقول: وددت لو أن الله غفر لي ذنبا واحد، وأن لا يعرف لي نسب، وقال: وددت أني عبد الله بن روثة وأن الله غفر لي ذنبا واحدا.

فما ظنك أخي الكريم بغفران الذنوب في رمضان!.

أخي:

يا مضيعا اليوم تضيعه أمس، تيقظ.. ويحك، فقد قتلت نفسك بإصرارك على المعاصي.

يا من يجول في المعاصي قلبه وهمه، يا مؤثرا الهوى على التقى لقد ضاع حزمه، يا معتقدا صحته فيما هو سقمه، يا من كلما زاد عمره زاد إثمه، يا طويل الأمل وقد رق عظمه.

يا قليل العبر، وقد رحل أبوه وأمه، يا من سيجمعه اللحد عن قليل ويضمه، كيف يوعظ ما لا يعظه عقله ولا فهمه، كيف يوقظ من نام قلبه لا عينه ولا جسمه؟![1].

---

(١) التبصرة (٢/٩٨، ٩٩) بتصرف.

أخي قد ضاعت في الذنوب الأعمار فأين يكون لهذا الغرس إثمار؟!

من فاته الزرع في وقت الحصاد فمنه تراه يحصد إلا الهم والندما

يا من تعصي الله:

اعرف قدر من قدر، وتذكر كيف عصيته وستر، وايم الله لو قمت على البصر، وسجدت شكرا على الإبر، ما وفيت بشكر نعيم محتقر، أما طوى القبيح وستر، وكل الجميل أظهر ونشر، أما بعض نعمه السمع والبصر يا كثير المعاصي ابك على الذنوب الماضية، يا مبارزا بالقبائح أتصبر على جمر الهاوية، أسفا لك، إذا جاءك رمضان وما أنبت، وا حسرة لك إذا دعيت إلى التوبة فما أجبت، كيف تصنع إذا نودي بالرحيل وما تأهبت، ألست أنت الذي بارزت بالكبائر وما راقبت!.

فيا أخي تب إلى الله وأنخ رحالك ببابه وقل بقلب خاشع وعين دامعة:

بك استجير ومن يجير سواكا فأجر ضعيفا يحتمي بحماكا

يا غافر الذنب العظيم وقابلا للتوب أقبل تائبا ناجاكا

أترده وترد صادق توبتي حاشاك ترد لائذا حاشاكا

أنا كنت يا ربي أسير غشاوة رانت على قلبي فضل سناكا

واليوم يا رب محوت غشاوتي وبدأت بالقلب البصير أراكا

ذقت الهوى مرا ولم أذق الهوى يا رب حلوا قبل أن أهواكا

٤- شهر رمضان شهر الجود والإحسان

أخي الكريم: إن شهر رمضان شهر الجود والكرم والإحسان، والجود من معالي الأخلاق.

عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله كريم يحب الكرماء، جواد يحب الجودة، يحب معالي الأخلاق ويكره سفاسفها»(١).

فالله سبحانه أجود الأجودين وأكرم الأكرمين، وجوده يتضاعف في أوقات خاصة: كشهر رمضان، وفيه أنزل: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عبادي عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دعوة ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [سورة البقرة:الآية ١٨٦].

ومن سابغ جود الله سبحانه وتعالى وعظيم كرمه في هذا الشهر تفضله بعتق عباده من النار.

في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «... وينادي مناد يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة»(٢).

---

(١) صحيح: رواه الطبراني في الكبير، وأبو نعيم في الحلية والحاكم في المستدرك، والبيهقي في شعب الإيمان، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (١٨٠٠).

(٢) سيأتي تخريجه قريبا إن شاء الله.

وعن أبي أمامة - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لله عند كل فطر عتقاء»[1].

وكان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس وأكرم الناس وكان أجود ما يكون في رمضان.

في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن، وكان جبريل يلقاه كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن فلرسول الله صلى الله عليه وسلم حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة». وزاد أحمد في آخره: (لا يسأل عن شيء إلا أعطاه).

تعود بسط الكف حتى لو أنه	**ثناها لقبض لم تجبه أنامله**
تراه إذا ما جئته متهللا	**كأنك تعطيه الذي أنت سائله**
هو البحر من أي النواحي أتيته	**فلجته المعروف والجود ساحله**
ولو لم يكن في كفه غير روحه	**لجاد بها فليتق الله سائله**

نعم صدق من قال:

ما قال لا قط إلا في تشهده   لولا التشهد لكانت لاؤه نعم

---

(١) صحيح: قال المنذري: رواه أحمد بإسناد لا بأس به، والطبراني والبيهقي، وقال هذا حديث غريب من رواية الأكابر عن الأصاغر، وهو من رواية الأعمش عن الحسين بن واقد، وصححه الألباني في (صحيح الترغيب والترهيب) رقم (٩٩١).

فيا أخي الكريم:

أفهل تأسينا برسول الله صلى الله عليه وسلم ونَنفق من أموالنا في هذا الشهر الكريم، في إفطار الصائمين، ومساعدة المحتاجين، ومواساة الأرامل والأيتام وغيرها من وجوه البر والإحسان عسى الله أن يتقبل منا أعمالنا.

عن زيد بن خالد ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من فطر صائما كان له مثل أجره، غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيئا»[١].

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله أو القائم الليل، الصائم النهار»[٢].

عن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خير الناس أنفعهم للناس»[٣].

---

(١) رواه أحمد: الترمذي وابن ماجة وابن حبان وصححه الألباني في (صحيح الجامع) رقم (٦٤١٥).

(٢) متفق عليه.

(٣) حسن رواه الطبراني في (الكبير) والدارقطني، والبيهقي في شعب الإيمان وابن عساكر، والقضاعي، وحسنه الألباني في (صحيح الجامع) رقم (٣٢٨٩).

٥- شهر رمضان شهر تفتح فيه أبواب الجنان

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا جاء رمضان، فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين»[١]. وفي رواية عند مسلم: فتحت أبواب الرحمة، وغلقت أبواب جهنم، وسلسلت الشياطين).

وعنه أيضا قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين، ومردة الجن، وغلقت أبواب النار، فلم يفتح منها باب، وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب، ويناد مناد: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة»[٢].

فيا أخي الحبيب: اعلم أن أبواب الجنة تفتح في رمضان على الحقيقة لا يحتاج ذلك إلى تأويل، وهي نعمة عظيمة ومنة كريمة من الله، يتفضل بها على عباده هذا الشهر، فأبواب الجنان مغلقة لا تفتح إلا في تمام النعمة وكمال المنة.

---

(١) متفق عليه.

(٢) صحيح: رواه الترمذي وابن ماجة وابن خزيمة في (صحيحه) والبيهقي.

فوا عجبا لمن يعلم أن الجنة تفتح أبوابها وتتزين في رمضان ثم لا يشتاق إليها ويحث السير نحوها ويسعى لها على الأجفان!.

قال صلى الله عليه وسلم: «من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة»(١).

أخي الكريم:

إنها الجنة التي لا يسأل بوجه الله العظيم غيرها لكرامتها على الله(٢).

إنها الجنة التي اشتاق إليها الصالحون من هذه الأمة، فاسأل عنها جعفر الطيار، وعمير بن الحمام، وحرام بن ملحان، وأنس بن النضير، وعامر ابن فهيرة، وعمرو بن الجموح ومصعب بن عمير، وعبد الله بن رواحة رضي الله عن الجميع.

إنها الجنة دار كرامة الرحمن فهل من مشمر لها؟

إنها الجنة فاعمل لها بقدر مقامك فيها.. إنها الجنة فاعمل لها بقدر شوقك إليها.

إنها الجنة دار المتقين الموقنين بوعد الله المتهجدين في ليل رمضان، الصائمين نهاره.

أنها الجنة.. وكيف يقدر قدر دار غرسها الله بيده، وجعلها مقرا لأحبابه وملأها من رحمته، وكرامته، ورضوانه، ووصف نعيمها بالفوز

---

(١) رواه الترمذي وقال: حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث أبي النصر، والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي، وانظر السلسلة الصحيحة للألباني من حديث أبي هريرة.

(٢) ورد النهي أن يسأل بوجه الله إلا الجنة.

العظيم. وملكها بالملك الكبير، وأودعها الخير بحذافيره، وطهرها من كل عيب وآفة ونقص.

فوا عجبا كيف نام طالبها! وكم لم يسمع بمهرها في رمضان خاطبها، كيف طاب العيش في هذه الدار بعد سماع أخبارها، وكيف قر للمشتاق القرار دون معانقة أبكارها.

فيا أخي الحبيب:

فاعمل لدار غدا رضوان خازنها ... الجار أحمد والرحمن بانيها

قصورها ذهب والمسك طينتها ... والزعفران حشيش نابت فيها

فالحذر الحذر أن تقدم على جنة عرضها السموات والأرض وليس لك فيها موضع قدم.

٦- شهر رمضان شهر تغلق فيه أبواب النيران

أخي الحبيب:

قد مر بك في الحديث أنه في شهر رمضان تغلق أبواب النيران، فما يفتح منها باب، فما أطيبها من نعمة يمن الله بها على العباد.

فوا عجبا لمن علم أن النار تسجر ويضحك بملء فيه أما سمع قوله تعالى: ﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مرصادا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [سورة النبأ: الآيتان ٢١-٢٢].

وقوله صلى الله عليه وسلم: «وأيم الذي نفسي بيده لو رأيتم ما رأيت لضحكتم قليلا وبكيتم كثيرا» قالوا: وما رأيت يا رسول الله؟! قال: «رأيت الجنة والنار»[(١)].

النار التي رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم يحطم بعضها بعضا، وقال عنها لما رآها: «لم أر منظرا كاليوم قط أفظع» فالنار مخلوقة ومعدة فإياك أن تكون من وقودها.

فيا أيها الغافل عن نفسه، دع التفكير فيما أنت مرتحل عنه، واصرف الفكر إلى ما أنت وارد عليه، فلقد أخبر الملك سبحانه وتعالى أن النار مورد الجميع قال تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا واردها كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ ﴾ [سورة مريم: الآيتان ٧١-٧٢].

لما قرأ هذه الآية عبد الله بن رواحة ـ رضي الله عنه ـ بكى وقال: كيف لي بالصدور بعد الورود.

فأنت على الورود على يقين ومن النجاة في شك، فاستشعر في قلبك هول ذلك المورد، فعساك تستعد للنجاة منه، وتأمل في حال الخلائق، وقد

---

(١) صحيح: رواه مسلم عن أنس رضي الله عنه.

قاسوا من دواهي القيامة ما قاسوا، فبينما هم في كربها وأهوالها وقوفا ينتظرون حقيقة أبنائها وتشفيع شفعائها، إذا أحاطت بالمجرمين ظلمات ذات شعب، وأظلت عليهم نار ذات لهب، وسمعوا لها زفيرا، وجرجرة، تفصح عن شدة الغيظ والغضب، فعند ذلك أيقن المجرمون بالعطب وجثت الأمم على الركب، حتى أشفق البراء من سوء المنقلب، وخرج المنادي من الزبانية قائلا: أين فلان بن فلان المسوف نفسه في الدنيا بطول الأمل، المضيع عمره في سوء العمل؟ فيبادرونه بمقامع من حديد ويستقبلونه بعظائم التهديد والوعيد، ويسوقونه إلى العذاب الشديد وينكسونه في قعر الجحيم، ويقولون له ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ ﴾ [سورة الدخان:الآية ٤٩]. فأسكنوا دارا ضيقة الأرجاء مظلمة المسالك، مبهمة المهالك، يخلد فيها الأسير، ويوقد فيها السعير، طعام أهلها الزقوم، وشرابهم فيها الحميم ومستقرهم الجحيم، الزبانية تقمعهم، والهاوية تجمعهم، أمانيهم فيها الهلاك، ومالهم منها فكاك، قد شدت أقدامهم إلى النواصي، واسودت وجوههم من ظلمة المعاصي، ينادون من أكنافها، ويصيحون في نواحيها وأطرافها: يا مالك قد حق علينا الوعيد، يا مالك قد أثقلنا الحديد، يا مالك قد نضجت منا الجلود، يا مالك أخرجنا منها فإنا لا نعود، فتقول الزبانية: هيهات لات حين أمان ولا خروج لكم من دار الهوان).

يا هذا: أحدثك عن نار غم قرارها، بعيد قعرها، مظلمة أقطارها حامية قدورها، فظيعة أمورها، عقابها عميم، عذابها أليم ومهين، بلاؤها شديد، سلاسل وأغلال، ومقامع وأنكال، زمانها ليل حالك ضجيجهم ضجيج هالك، يصطرخون فيها فلا يجيبهم مالك).

يدعون بالويل والثبور، ومقامع الحديد تهشم بها جباهم، ويتفجر الصديد من أفواههم، تنقطع من العطش أكبادهم، وتسيل على الخدود أحداقهم، لهيب النار سار في بواطن أعضائهم، وحيات الهاوية وعقاربها تأخذ بأشفارهم.

يا هذا جهنم سوداء، ماؤها أسود، شجرها أسود، أهلها سود مقبوحين، كأنما أغشيت وجوههم قطعاً من الليل مظلماً.

أخـي:

عياذاً بالله: أن تكون من قوم لباسهم نار، ومهادهم نار، ولحافهم نار وسرابيلهم القطران، ومساكنهم من نار في شر دار وأسوأ عذاب، قد أكلوا من النار، وشربوا من النار، ومشوا على النار، ثم عاشوا بعد ذلك لا يهدأون ولا ينامون ولا يموتون فيستريحون.

فيها غلاظ شداد من ملائكة	**قلوبهم شدة أقسى من الحجر**
لهم مقاميع للتعذيب مرصدة	**وكل كسر لديهم غير منجبر**
سوداء مظلمة شعثاء موحشة	**دهماء محرقة لواحة البشر**
يا ويلهم تحرق النيران أعظمهم	**فالموت شهوتهم من شدة الضجر**
ضجوا وصاحوا زماناً ليس ينفعهم	**دعاء داع ولا تسليم مصطبر**

وكل يوم لهم في طول مدتهم نزع شديد من التعذيب والسعر

يا هذا يا صبيح الوجه: كم من وجه صبيح ولسان فصيح غداً في أطباق النار يصيح.

وسيق المجرمون وهم عراة إلى ذات السلاسل والنكال
فنادوا ويلنا ويلاً طويلاً وعجوا في سلاسلها الطوال
فليسوا ميتين فيستريحوا وكلهم بحرِّ النار صال

أخي إنك قد جربت جلدك في الشوكة تدميه، في العثرة تؤذيه، في ضربة الشمس تؤثر فيه.. أحدنا يؤثر الظل على الشمس فما بالنا لا نؤثر الجنة على النار.

فيا عجبا ندري بنار وجنة وليس لذي نشتاق أو تلك نحذر
إذا لم يكن خوف وشوق ولاحيا فماذا بقي فينا من الخير يذكر
وليس لحر صابرين ولا بلى فكيف على النيران يا قوم نصبر
وفوت جنان الخلد أعظم حسرة على تلك فليستحسر المتحسر

يا من يؤذيه حر الهجير ويأخذ بأنفاسه.. أما سمعت قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لو كان في هذا المسجد مائة ألف أو يزيدون وفيه رجل من أهل النار فتنفس فأصاب نفسه لأحترق المسجد بمن فيه»[١].

---

(١) انظر المطالب العالية حديث رقم (٤٦٦٧).

فيا أخي الحبيب: إني لك ناصح وعليك مشفق، فاغتنم هذا الشهر في فعل الطاعات وعمل القربات عسى الله أن يرفع لك الدرجات وتكتب في المقبولين وتعتق من النار.

٧- شهر رمضان شهر إجابة الدعاء

أخي الكريم:

إن لم يكن رمضان وقت الدعاء المستجاب ففي أي شهر يكون الدعاء ورمضان هو وقت الشفاة الذابلة، والطاعة الكاملة، والبطون الضامرة، وقت نزول الملائكة، وقت فتح أبواب الرحمة وأبواب السماء قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عبادي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دعوة ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [سورة البقرة:الآية ١٨٦].

ومن الجميل أن يذكر الدعاء أثناء الحديث عن الصيام وأحكامه قال الشيخ محمد رشيد رضا ـ رحمه الله ـ هذا التفات عن خطاب المؤمنين كافة بأحكام الصيام إلى خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يذكرهم ويعلمهم ما يراعونه في هذه العبادة وغيرها من الطاعة والإخلاص والتوجه إليه وحده بالدعاء الذي يعدهم للهدى والرشاد.

والدعاء أخي الكريم أمره عجيب وفضله عظيم ولقد جاءت الآيات والأحاديث الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم لتحث على الدعاء فهو سلاح المؤمن الذي يتسلح به ضد عدوه، وهو ملاذه عند خوفه ومؤواه عند فزعه.

وحتى يأتي الدعاء بثمراته المرجوة وفائدته المطلوبة لابد من مراعاة تلك الآداب وهي عشرة:

أولها: أن يترصد لدعائه الأوقات الشريفة كيوم عرفة من السنة، ورمضان من الأشهر ويوم الجمعة من الأسبوع ووقت السحر من ساعات الليل.

الثاني: أن يغتنم الأحوال الشريفة.

وهذه الأوقات والأحوال التي يستجاب فيها الدعاء هي:

١- وقت التنزل الإلهي:

قال صلى الله عليه وسلم: «إن في الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى فيها خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه وذلك في كل ليلة»[١].

وعن عمرو بن عبسة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر فإذا استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن»[٢].

---

(١) صحيح: رواه مسلم وأحمد.

(٢) صحيح: رواه الترمذي والنسائي والحاكم وصححه الألباني في (صحيح الجامع) رقم (١١٧٣).

٢- في السجود:

عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «.. وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فقمن[١] أن يستجاب لكم»[٢].

٣- أن يبيت على ذكر فيتعار من الليل فيدعو:

عن معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من مسلم يبيت على ذكر طاهراً فيتعار من الليل، فيسأل الله تعالى خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه»[٣].

٤- عند الأذان:

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا نادى المنادي فتحت أبواب السماء واستجيب الدعاء»[٤].

وعن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا نودي بالصلاة فتحت أبواب السماء واستجيب الدعاء»[٥].

---

(١) أي: جدير.

(٢) جزء من حديث أخرجه مسلم في صحيحه.

(٣) صحيح: رواه أحمد وأبو داود وابن ماجة وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٥٧٥٤).

(٤) صحيح: رواه الطيالسي وأبو يعلى والضياء، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٨١٨).

(٥) صحيح: رواه أبو يعلى والحاكم وصححه الألباني في (صحيح الجامع) رقم (٨١٨).

٥- بين الأذان والإقامة:

عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الدعاء بين الأذان والإقامة مستجاب فادعوا»[١] .

٦, ٧, ٨ عند نزول المطر، وعند إقامة الصلاة، وعند التقاء الجيوش:

عن سهل بن سعد ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ثنتان ما تردان: الدعاء عند النداء وتحت المطر»[٢] .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « اطلبوا استجابة الدعاء عند التقاء الجيوش وإقامة الصلاة، ونزول الغيث[٣] ».

٩- آخر ساعة من نهار الجمعة:

عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يوم الجمعة ثنتا عشرة ساعة منها ساعة لا يوجد عبد مسلم يسال الله فيها شيئاً إلا أتاه الله إياه، فالتمسوها آخر ساعة بعد العصر»[٤] .

---

(١) صحيح: رواه أبو يعلى وصححه الألباني في (صحيح الجامع) رقم (٣٤٠٥) وفي المشكاة رقم (٦٧١).

(٢) حسن: رواه الحاكم وحسنه الألباني في (صحيح الجامع) رقم (٣٠٧٨).

(٣) صحيح: رواه الشافعي والبيهقي (في المعرفة) وصححه الألباني في (صحيح الجامع رقم (١٠٢٦).

(٤) صحيح: رواه أبو داود والنسائي والحاكم وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٨١٩٠).

١٠- الدعاء بظهر الغيب:

عن عمران بن حصين ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «دعاء الأخ لأخيه بظهر الغيب لا يرد»[١].

١١- دعوة المسافر، ١٢- دعوة المظلوم. ١٣- دعوة الوالد لولده.

١٤- دعوة الصائم.

وقال صلى الله عليه وسلم: «ثلاث دعوات لا ترد: دعوة الوالد لولده، ودعوة الصائم، ودعوة المسافر»[٢].

وقال صلى الله عليه وسلم: « ثلاث دعوات مستجابات: دعوة الصائم، ودعوة المظلوم، ودعوة المسافر»[٣].

١٥- عدم العجلة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يستجاب لأحدكم ما لم يعجل، يقول: قد دعوت فلم يُستجيب لي»[٤].

---

(١) صحيح: رواه البزار، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٣٣٧٩).

(٢) حسن: رواه أبو الحسن بن مهرويه في (الثلاثيات، والضياء المقدسي في المختارة عن أنس، وانظر الصحيح (١٧٩٧)، صحيح الجامع (١/٥٨٢/٣٠٣٢).

(٣) صحيح: رواه ابن ماسي، وابن عساكر والبيهقي في شعب الإيمان. والعقيلي في الضعفاء عن أبي هريرة، وصححه الألباني في الصحيحة رقم (١٧٩٧)، وانظر صحيح الجامع (١/٥٨٢/٣٠٣٠).

(٤) صحيح: رواه البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود وابن ماجة.

١٦- دعاء رمضان: فهو وقت صيام، وزمان شريف.

وهناك علاقة وطيدة بين فتح أبواب السماء وأبواب الرحمة، وإجابة الدعاء كما يظهر من الأحاديث وهي حاصلة في رمضان.

● الثالث: أن يدعو مستقبلاً القبلة ورافعاً يديه.

● الرابع: خفض الصوت بين المخافتة والجهر، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلاً ﴾ [الإسراء:١١٠].

قالت عائشة: أي بدعائك.

وقال صلى الله عليه وسلم: «يا أيها الناس إن الذي تدعون ليس بأصم ولا غائب»[١].

● الخامس: أن لا يتكلف السجع في الدعاء.

ادع بلسان الذل والخضوع والافتقار، لا بلسان الفصاحة والانطلاق.

● السادس: التضرع والخشوع والرغبة والرهبة.

قال تعالى: ﴿ادعوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ [سورة الأعراف:الآية ٥٥].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾ [سورة الأنبياء:الآية ٩٠].

● السابع: أن يجزم بالدعاء ويوقن بالإجابة ويصدق رجاءه فيه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أدعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء قلب غافل لاه»[٢].

---

(١) صحيح: رواه البخاري ومسلم.

(٢) حسن: رواه الترمذي والحاكم وحسنه الألباني في (صحيح الجامع) رقم (٢٤٥).

عن أبي هريرة رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا دعا أحدكم فلا يقل: اللهم اغفر لي إن شئت، وليعزم المسألة وليعظم الرغبة، فإن الله لا يعظم عليه شيء أعطاه»(١).

عن سفيان بن عيينة: لا يمنعن أحدكم من الدعاء ما يعلم من نفسه فإن الله عز وجل أجاب دعاء شر الخلق إبليس لعنه الله ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝٣٦ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ۝٣٧ ﴾ [سورة الحجر:الآيتان ٣٦-٣٧].

● الثامن: أن يلح في الدعاء ويعظم المسألة ويكرر الدعاء ثلاثاً:

قال عبد الله بن مسعود: «كان عليه السلام إذا دعا ثلاثاً وإذا سأل سأل ثلاثاً»(٢).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا تمنى أحدكم فليكثر، فإنما يسأل ربه»(٣).

وعنها أيضاً قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا سأل أحدكم فليكثر فإنما يسأل ربه)(٤).

---

(١) صحيح: رواه البخاري في الأدب المفرد، ورواه مسلم.

(٢) صحيح: رواه مسلم، وأصله متفق عليه.

(٣) صحيح: رواه الطبراني في (الأوسط) ورمز السيوطي لحسنه، قال المناوي (١/٣٢٠): (وهو تقصير أو قصور وحقه الرمز لصحته، فقد قال الهيثمي وغيره: رجاله رجال الصحيح) أ.هـ. وصححه الألباني في (صحيح الجامع) رقم (٤٣٧).

(٤) صحيح: رواه ابن حبان في (صحيحه) وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٥٩١).

● التاسع : أن يفتح الدعاء بذكر الله والثناء عليه وأن يختمه بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم[١] .

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كل دعاء محجوب حتى يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم)[٢] .

قال أبو سليمان الدارني ـ رحمه الله ـ من أراد أن يسأل الله حاجة فليبدأ بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يسأله حاجته، ثم يختم بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فإن الله عز وجل يقبل الصلاتين، وهو أكرم من أن يدع ما بينهما.

● العاشر: وهو الأدب الباطن، وهو الأصل في الإجابة: (التوبة ورد المظالم، والإقبال على الله عز وجل، فذلك هو السبب القريب في الإجابة).

قال مالك بن دينار رحمه الله: (إنكم تستبطئون المطر وأنا استبطي الحجارة) أي نزول الحجارة.

قال عطاء السلمي ـ رحمه الله ـ منعنا الغيث فخرجنا نستسقي، فإذا نحن بسعدون المجنون في المقابر، فنظر إليّ وقال: يا عطاء! أهذا يوم النشور

---

(١) قلت: فإن الله يقبل الثناء عليه والصلاة على نبيه صلى الله عليه وسلم، وما بينهما من الدعاء فإنه مقبول ـ إن شاء الله ـ لقبول ابتداء الدعاء وآخره. والله أعلم.

(٢) حسن: رواه الديلمي في (مسند الفردوس) والبيهقي في شعب الإيمان عن علي موقوفاً، وحسنه الألباني في (صحيح الجامع) (٤٥٢٣)، ورواه ابن حبان عن معاذ، وابن مخلد عن علي مرفوعاً.

أو بعثر ما في القبور؟ فقلت: لا، ولكنا منعنا الغيث، فخرجنا نستسقي فقال: يا عطاء! بقلوب أرضية أم بقلوب سماوية؟ فقلت: بل بقلوب سماوية، فقال: هيهات يا عطاء، قل للمتبهرجين لا تتبهرجوا فإن الناقد بصير، ثم رمق السماء بطرفه وقال: إلهي وسيدي ومولاي لا تهلك بلادك بذنوب عبادك ولكن بالسر المكنون من أسمائك وما وارت الحجب من آرائك إلا ما سقيتنا ماءً غدقاً فراتاً تحيي به العباد، وتروي به البلاد، يا من هو على كل شيء قدير.

قال عطاء: فما أستتم الكلام حتى أرعدت السماء وأبرقت وجادت بمطر كأفواه القرب فولى وهو يقول:

أفلح الزاهدون والعابدونا	**إذا لمولاهم أجاعوا البطونا**
أسهروا الأعين العليلة حباً	**فانقضى ليلهم وهم ساهرونا**
شغلتهم عبادة الله حتى	**حسب الناس أن فيهم جنونا**

قال ابن المبارك: «قدمت المدينة في عام شديد القحط، فخرج الناس يستسقون، فخرجت معهم إذ أقبل غلام أسود عليه قطعتا خيش قد إتزر بإحداهما، وألقى الأخرى على عاتقه، فجلس إلى جنبي فسمعته يقول: إلهي! أخلقت الوجوه عندك، كثرة الذنوب ومساويء الأعمال وقد حبست عنا غيث السماء، لتؤدب عبادك بذلك، فأسألك يا حليماً ذا أناة، يا من لا يعرف عباده منه إلا الجميل أن تسقيهم الساعة الساعة. فلم

يزل يقول الساعة الساعة حتى اكتست السماء بالغمام وأقبل المطر من كل جانب، قال ابن المبارك: فجئت إلى الفضيل، فقال لي: مالي أراك كئيبا؟ فقلت: أمر سبقنا إليه غيرنا فتولاه دوننا، وقصصت عليه القصة فخر الفضيل مغشيا عليه»[١].

فيا أخي الكريم: هذا شهر رمضان شهر الذكر والدعاء، فرطب لسانك بالدعاء والذكر والثناء، وقل:

«اللهم اجعل في قلبي نورا، وفي لساني نورا، وفي بصري نورا، وفي سمعي نورا، وعن يميني نورا، وعن يساري نورا، ومن فوقي نورا، ومن تحتي نورا، ومن أمامي نورا، ومن خلفي نورا، واجعل لي في نفسي نورا، وأعظم لي نورا»[٢].

«اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي، وإسرافي في أمري وما أنت أعلم به مني، اللهم اغفر لي خطىء وعمدي، وهزلي وجدي، وكل ذلك عندي اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر، وأنت على كل شيء قدير»[٣].

«اللهم أقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما يهون علينا مصيبات الدنيا، ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، واجعل

---

(١) أنظر إحياء علوم الدين (١/٣٦١ - ٣٦٦).

(٢) صحيح: رواه البخاري ومسلم وأحمد والنسائي عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) صحيح: أخرجه البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يرحمنا»[١].

آمين... آمين.. آمين.. لا أكتفي بواحدة حتى أوصلها مليون آمين.

٨- شهر رمضان شهر مضاعفة الأجور

اعلم يا أخي الكريم - وفقني الله وإياك لطاعته - أن مضاعفة الأجر للأعمال تكون بأسباب:

● منها شرف المكان المعمول فيه ذلك العمل، كالحرم: ولذلك تضاعف الصلاة في مسجدي مكة والمدينة (الحرمين) كما ثبت ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح.

قال صلى الله عليه وسلم: «صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام»[٢].

● ومنها شرف العامل عند الله وقربه منه وكثرة تقواه: كما يضاعف أجر هذه الأمة على أجور من قبلهم من الأمم وأعطوا كلفين من الأجر.

● ومنها شرف الزمان كشهر رمضان وعشر ذي الحجة.

---

(١) حسن: رواه الترمذي والحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما وحسنه الألباني في (صحيح الجامع) رقم (١٢٦٨).

(٢) صحيح: وقد تقدم.

ففي الصحيحين من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عمرة في رمضان تعدل حجة»[١].

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عمرة في رمضان تقضي حجة أو حجة معي»[٢]. وفي رواية: (عمرة في رمضان لحجة معي»[٣].

قال المناوي (٤/٣٦١) أي تقابلها وتماثلها في الثواب لأن الثواب يفضل بفضيلة الوقت، ولا تقوم مقامها في إسقاط الفرض بالإجماع[٤].

قال ابن العربي: هذا صحيح مليح وفضل من الله ونعمة، نزلت العمرة منزلة الحج بانضمام رمضان إليها.

قالت الشافعية. ويسن في رمضان العمرة والإكثار منها.

قال ابن رجب: «ذكر أبو بكر بن أبي بكر عن أشياخه أنهم كانوا يقولون: إذا حضر شهر رمضان فانبسطوا فيه بالنفقة، فإن النفقة فيه مضاعفة كالنفقة في سبيل الله، وتسبيحه فيه أفضل من ألف تسبيحة في غيره».

---

(١) صحيح: رواه البخاري ومسلم وابن ماجة عن جابر.

(٢) صحيح: رواه مسلم.

(٣) صحيح: صححه ابن العربي والسيوطي، والألباني في صحيح الجامع.

(٤) فيض القدير للمناوي.

قال إبراهيم النخعي: «صوم يوم من رمضان أفضل من ألف يوم وتسبيحة فيه أفضل من ألف تسبيحة، وركعة فيه أفضل من ألف ركعة،[١] . فلما كان الصيام في نفسه مضاعفا أجره بالنسبة إلى سائر الأعمال، كان صيام شهر رمضان مضاعفا على سائر الصيام لشرف زمانه، وكونه هو الصوم الذي فرضه الله على عباده، وجعل صيامه أحد أركان الإسلام التي بني الإسلام عليها»[٢] .

٩- شهر رمضان شهر تصفد فيه الشياطين

يا فرحة العابدين، ويا سعادة المجتهدين، ونشوة الذاكرين بشهر صفدت فيه الشياطين، وفتحت فيه أبواب السماء وغلقت فيه أبواب النيران.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا دخل رمضان فتحت أبواب السماء، وغلقت أبواب جهنم، وسلسلت الشياطين»[٣] .

وعنه أيضا قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار، وصفدت الشياطين»[٤].

---

(١) قلت: والتحديد بهذا العدد لم يأتي عليه دليل، والأولى الإطلاق دون التحديد والله أعلم.

(٢) لطائف المعارف ص (١٦٩).

(٣) صحيح رواه البخاري.

(٤) صحيح: رواه البخاري ومسلم.

وعند مسلم: «فتحت أبواب الرحمة، وغلقت أبواب جهنم، وسلسلت الشياطين».

وعنه أيضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن، وغلقت أبواب النار، فلم يفتح منها باب، وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب»[١].

وعنه أيضا قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أتاكم شهر رمضان، فرض الله عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب السماء، وتغلق فيه أبواب الجحيم وتغل فيه مردة الشياطين»[٢].

قال ابن خزيمة في صحيحه: «لفظ عام، مراده خاص في تصفيد الشياطين إنما أراد بقوله: (صفدت الشياطين) مردة الجن منهم لا جميع الشياطين، إذ اسم الشيطان قد يقع على بعضهم»[٣].

وقال ابن حبان في (الإحسان) «إنما يصفد الشياطين في شهر رمضان مردتهم دون غيرهم»[٤].

قلت: والذي ندين لله به ونؤمن به أن تصفيد الشياطين على الحقيقة وعلى ظاهر اللفظ ولا حاجة للتأويل وصرف اللفظ عن ظاهره.

---

(١) صحيح: رواه الترمذي وابن ماجة وابن خزيمة والبيهقي. ولفظ ابن خزيمة (صفدت الشياطين مردة الجن) بغير واو.

(٢) صحيح: رواه النسائي والبيهقي في سننه وصححه الألباني.

(٣) صحيح ابن خزيمة (١٨٧/٣ - ١٨٨).

(٤) (بذل الإحسان) (٢٢١/٨).

بعض أقوال أهل العلم في تصفيد الشياطين في رمضان

قال الحافظ في الفتح: (قال الحليمي: يحتمل أن يكون المراد من الشياطين مسترقوا السمع، فزيدوا التسلسل مبالغة في الحفظ. ويحتمل أن يكون أن المراد لا يخلصون من افتتان المسلمين إلى ما يخلصون إليه من غيره لاشتغالهم بالصيام الذي فيه قمع للشهوات، وبقراءة القرآن والذكر.

وقال غيره: المراد بالشياطين بعضهم وهم المردة منهم، وترجم لذلك ابن خزيمة في صحيحه.

قال عياض: يحتمل أنه على ظاهره وحقيقته وأن ذلك كله علامة للملائكة لدخول الشهر العظيم، وتعظيم حرمته، ولمنع الشياطين من أذى المؤمنين، ويحتمل أن يكون إشارة إلى كثرة الثواب والعفو، وأن الشياطين يقل إغواؤهم فيصيرون كالمصفدين.

وقال الزين بن المنير: والأول أوجه، ولا ضرورة تدعو إلى صرف اللفظ عن ظاهره.

وقال الطيبي: فائدة فتح أبواب السماء توقيف الملائكة على استحماد فعل الصائمين، وأنه من الله بمنزلة عظيمة، وفيه إذا علم المكلف ذلك بأخبار الصادق ما يزيد في نشاطه ويتلقاه بأريحية.

وقال القرطبي بعد أن رجح على ظاهره: فإن قيل كيف نرى الشرور والمعاصي واقعة في رمضان كثيرا[١]. فلو صفدت الشياطين لم يقع ذلك؟ فالجواب أنها إنما تقل عن الصائمين بالصوم الذي حوفظ على شروطه وروعيت آدابه أو المصفد بعض الشياطين وهم المردة لا كلهم، كما تقدم في بعض الروايات.

أو المقصود: تقليل الشرور فيه، وهذا أمر محسوس فإن وقوع ذلك فيه أقل من غيره، إذ يلزم من تصفيد جميعهم أن لا يقع فيه شر ولا معصية، لأن لذلك أسبابا غير الشياطين كالنفوس الخبيثة والعادات القبيحة والشياطين الإنسية.

وقال غيره في تصفيد الشياطين في رمضان إشارة إلى رفع عذر المكلف كأنه يقال له: قد كفت الشياطين عنك، فلا تعقل بهم في ترك الطاعة ولا فعل المعصية)[٢].

(١) قلت: إن كانت المعاصي في زمن القرطبي - رحمه الله - كثيرة ففي زماننا لا حصرة لها، والله المستعان.

(٢) (فتح الباري) (٤/١٣٦ - ١٣٧).

أساليب الشيطان في تضليل الإنسان

واعلم يا أخي الحبيب - حفظني الله وإياك من شياطين الإنس والجن - أن للشيطان أساليب متنوعة في إضلال العباد، نذكرها بإيجاز حتى تكون على حذر منها أو الأسباب المفضية إليها:

١- **تزيين الباطل:** كما قال اللعين لرب العزة ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [سورة الحجر: الآيتان ٣٩-٤٠].

يقول ابن القيم: (ومن مكايده أنه يسحر العقل دائما حتى يكيده ولا يسلم من سحره إلا من شاء الله، فيزين له الفعل الذي يضره حتى يخيل إليه أنه أنفع الأشياء، فلا إله إلا الله كم فتن بهذا السحر من إنسان، وكم حال بينه وبين القلب وبين الإسلام والإيمان والإحسان، وكم جلا الباطل وأبرزه في صورة على النقادين، وكم روج من السر على العارفين).

ومن صور تزيين الباطل تسمية الأمور المحرمة بأسماء محببة إلى النفس كما سمى الشجرة المحرمة بشجرة الخلد كي يزين لآدم الأكل منها، وكما يسمون الرقص والغناء والمجون، والتمثيل والتماثيل فنا، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

٢- الإفراط والتفريط:

يقول ابن القيم: (وما أمر الله عز وجل بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان إما تقصير وتفريط، وإما إفراط وغلو).

٣- تثبيطه للعباد عن العمل ورميهم بالتسويف والكسل:

سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رجل نام ليلة حتى أصبح فقال: «ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه».

فمن قام بالليل وتوضأ وصلى انحلت عنه عقد الشيطان كلها عن قافية رأسه فأصبح نشيطا طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان، كان أحد الصالحين يقول: (أنذرتكم سوف فإنها أكبر جنود إبليس).

٤- الوعد والأمنية:

إن الشيطان يعد الناس بالمواعيد الكاذبة ويعللهم بالأماني المعسولة كي يوقعهم في وهدة الضلال: ﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ ﴾ [سورة النساء:الآية ١٢٠].

٥- إظهار النصح للإنسان:

ومن العجيب أن يظهر الشيطان في مظهر الناصح الأمين للإنسان وأعجب منه أن يصدقه المغفلين السذج فيطيعونه ويتبعوا أمره.

قال تعالى: ﴿ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ ﴾ [سورة الأعراف:الآية ٢١].

٦- التدرج في الإضلال:

للشيطان طرق عديدة وحيل متنوعة وصبر عجيب وخداع ومكر حتى يوقع الإنسان في شباك الفساد والضلال، وإذا ما حدث ما يريد، سخر منه الشيطان وقال له بلسان الحال والمقال. ﴿ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [سورة الحشر:الآية ١٦]. وانظر في ذلك قصة عابد بني إسرائيل (برصيصا) مع الأخوة الثلاثة وأختهم وكيف استدرجه الشيطان حتى زنى بها وقتل ابنها من الزنا ثم قتلها ودفنها بجوار ابنها، وهذا كله بالتدرج والمكر والحيل والخداع[1].

٧- إنساؤه العبد ما فيه خيره وصلاحه:

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ مِّنۡهُمَا ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ ﴾ [سورة يوسف:الآية ٤٢].

وإذا تمكن الشيطان من الإنسان تمكنا كليا فإنه ينسيه الله بالكلية قال تعالى: ﴿ ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِۚ ﴾ [سورة المجادلة:الآية ١٩].

---

(١) ذكرت هذه القصة في كتب التفاسير عند تفسير قوله تعالى: ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [سورة الحشر:الآية ١٦].

٨- تخويف المؤمنين من أولياءه:

أي يخوفهم بأوليائه ويعظهم في صدورهم بأنهم ينفعوا أو يضروا، ولقد حذر الله سبحانه وتعالى المؤمنين من ذلك فقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾ [سورة آل عمران:الآية ١٧٥].

٩- دخوله إلى النفس من الباب الذي تهواه:

ومن هنا دخل الشيطان على آدم وحواء عليهما السلام (فشام عدو الله الأبوين فأحس منهما إيناسا وركونا إلى الخلد في تلك الدار، في النعيم المقيم فعلم أنه لا يدخل عليهما إلا من هذا الباب).

١٠- إلقاء الشبهات:

وهذا باب خطير فإذا استحكمت الشبهة من النفس ضل صاحبها ضلالا بعيدا وزاغ قلبه زيغا شديدا قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ﴾ [سورة آل عمران:الآية ٧].

(١١، ١٢، ١٣، ١٤) الخمر والميسر والأنصاب والازلام.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [سورة المائدة:الآيتان ٩٠-٩١].

١٥- السحر:

وهو من أكبر الكبائر وأشدها فتكاً بالإنسان في الدنيا والآخرة.

١٦- ضعف الإنسان ومرض قلبه:

وأمراض القلب كثيرة وأساسها اتباع الهوى والسير وراء نزوات النفس وتلبية رغباتها التي لا تنقضي.

١٧- النساء:

وهذا أخطر سلاح يستخدمه الشيطان في إغواء البشر ولقد جاء التحذير الشديد من النبي صلى الله عليه وسلم لتجنب فتنة النساء، فكان أخوف ما خاف النبي صلى الله عليه وسلم على أمته النساء لأن فتنة بني إسرائيل كانت في النساء فقال: فاتقوا الدنيا واتقوا النساء).

١٨- حب الدنيا، والاطمئنان إليها والرغبة فيها وعدم الزهد في نعيمها، والجد في تحصيل كل لذة من لذاتها محرمة كانت أو غير محرمة.

١٩- الغناء والموسيقى:

وهذا هو جاسوس القلوب الذي يأخذها في عالم الشهوات والمتع المحرمة، وكم وقع أناس كثير في براثن وشباك المعاصي، وسقطوا في مستنقعها الآسن بسبب الغناء والموسيقى! صوت الشيطان ومزماره!!

٢٠- تهاون المسلمين فيما أمروا به:

وهذا ناتج عن عدم توقير أوامر الرب في القلوب وبالتالي الاستهانة بالأوامر والنواهي، ومن ثم الوقوع في المحرمات والمهلكات التي حذر الله من ارتكابها.

فيا أخي الكريم كن على حذر من أن تقع في شيء مما ذكر وكن حذرا من عدوك متيقظا له ولا تغفل عنه فإنه لا يغفل عنك أبدا، ينتظر أي زلة لك أو هفوة يدخل لك من خلالها وينصب شباكه حولك حتى يوقعك فيما حذرك منه ربك ومولاك.

فاغتنم فرصة هذا الشهر في الذكر والعبادة والطاعة وصنوف الخير ـ وهي كثيرة ولله الحمد والمنة ـ وإليك أخي بعض الأشياء التي تحفظك من الشيطان وتجعلك في حرز منه في رمضان وغير رمضان.

حرز الإنسان من الشيطان في رمضان وغيره

ذكر ابن القيم ـ رحمه الله ـ في بدائع الفوائد قاعدة نافعة فيما يعتصم به العبد من الشيطان ويستدفع به شره ويحترز منه.

وذلك بأمور نذكرها على وجه الاختصار:

الحرز الأول: الاستعاذة بالله من الشيطان، قال تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ﴾ [سورة الأعراف:الآية ٢٠٠].

الحرز الثاني: قراءة المعوذتان: قال صلى الله عليه وسلم: «أفضل ما تعوذ به المتعوذون وكان يتعوذ بهما في كل ليلة عند نومه»[١]. وأمر عقبة بن عامر - رضي الله عنه - أن يقرأ بهما دبر كل صلاة.

الحرز الثالث: قراءة آية الكرسي عند النوم وعند الصباح والمساء. قال ابن تيمية: أعظم ما ينتصر به عليهم آية الكرسي. أي على الجن وأعوانهم.

الحرز الرابع: قراءة سورة البقرة. وقد جاء في الحديث أنها إذا قرأت في بيت لم يدخله الشيطان ثلاث أيام.

قال صلى الله عليه وسلم: «لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة»[٢].

الحرز الخامس: قراءة خاتمة سورة البقرة.

قال صلى الله عليه وسلم: «من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة من ليلة كفتاه».

---

(١) صحيح: رواه البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) صحيح رواه مسلم وأحمد والترمذي عن أبي هريرة.

الحرز السادس: «قول لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير مائة مرة»[١] .

الحرز السابع: الوضوء والصلاة.

الحرز الثامن: امساك فضول النظر والكلام والطعام ومخالطة الناس، فإن الشيطان إنما يتسلط على ابن آدم وينال منه غرضه من هذه الأبواب الأربعة.

الحرز التاسع: الأذان، فالشيطان يهرب ويفر من الأذان.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الشيطان إذا سمع النداء بالصلاة أحال[٢] ، له ضراط حتى لا يسمع صوته، فإذا سكت رجع فوسوس، فإذا سمع الإقامة ذهب حتى لا يسمع صوته فإذا سكت رجع فوسوس»[٣] .

الحرز العاشر: أن يختم الإنسان بذكر حتى ينام، ويفتح بذكر إذا قام.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا أوى الإنسان إلى فراشه، ابتدره ملك وشيطان فيقول الملك اختم بخير، ويقول الشيطان اختم بشر، فإذا ذكر الله تعالى حتى يغلبه ـ يعني النوم ـ طرد الملك الشيطان وبات يكلأه[٤] . «فإذا استيقظ

---

(١) قلت والحديث في الصحيحين من حديث أبي هريرة.

(٢) أي تحول من موضعه.

(٣) صحيح رواه مسلم.

(٤) أي يحفظه.

ابتدره ملك وشيطان فيقول الملك: افتح بخير، ويقول الشيطان افتح بشر، فإذا قال: الحمد لله الذي أحيا نفسي بعد موتها، ولم يمتها في منامها، الحمد لله الذي يمسك التي قضى عليها الموت، أو يرسل الأخرى إلى أجل مسمى، الحمد لله الذي يمسك السماوات والأرض أن تزولا، ولئن زالتا إن أمسكها من أحد من بعده، الحمد لله الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، طرد الملك الشيطان وظل يكلأه»[1].

وهناك أحراز أخرى ولكن فيما ذكرناه كفاية لمن أراد الحفظ والوقاية.

واعلم أخي الكريم ـ وفقني الله وإياك لما يحب ويرضى ـ أن الشياطين لا تنحصر في الجن وحدهم بل هناك شياطين من بني جلدتنا يتسمون بأسمائنا ويتحدثون بألسنتنا هم دعاة إلى النار من أجابهم وقع فيها.

فكن على حذر منهم، فهم يعملون ليل نهار في تفريق الأمة وشتاتها، ويريدون أن تكون الأمة كقطيع من الغنم تساق بيد الكفر والإلحاد وذلك بوسائل عديدة ومتنوعة وأهمها، التفريق بين الأمة وبين كتابها الخالد وسنة نبيها المختار، وذلك بإلقاء الشبهات المضللة للعطن في الوحيين عن طريق شياطين الكفر والإلحاد والزندقة وحرية الفكر والكفر والإباحية، فهم يمكرون بالأمة ليلا ونهارا بالدعوة إلى الإباحية وشهوات الجسد المسعورة التي تأتي على الأخضر واليابس فتهلكه، وذلك لفتنة

---

(١) صحيح: رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح، وأخرجه ابن السني في (عمل اليوم والليلة) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

رجال الأمة شبابا وكهولا : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ ﴾ [سورة مريم:الآية ٨٣].

فهم يبثون سمومهم عبر الإذاعات المرئية والمسموعة من أفلام داعرة ومسلسلات ماجنة وأغنيات فاضحة، ويزداد الأمر ضراوة وتبلغ الحرب أشدها خصوصا في شهر رمضان وفي تلك الأيام المباركة حتى يصرفوا الناس عن واجبهم الأساسي في هذا الشهر الكريم.

فهم يبثون الأفلام السافرة العاهرة حتى إفطار الناس خاصة وقبل تراويحهم، ويذيعون مسلسلاتهم الكاذبة باسم الدين[١] . والتي تطعن في الثوابت من دين الأمة، بكل خضراء الدمن ممثلة زنديقة سافرة فاجرة شوهاء:

حديثها كذب محض حقيقته	مأخوذة من أباطيل الغرانيق
تباع في كل سوق للضلال فلا	تسأل عن التاجر الكذاب والسوق
وعن سماسرة باعوا ضمائرهم	وذوبوا العقل في نار الأبلريق
تبدي خصالا من الإيمان كاذبة	وفي مشاعرها احساس زنديق[٢]

(١) وحتى يتم التلبيس على المغفلين من هذه الأمة ـ المنكوبة بهم ـ يسمون المسلسلات التي تعرض في رمضان بالمسلسلات الدينية (كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا) فالدين بريء منهم ومن مسلسلاتهم، وليس في الدين تمثيل لأن التمثيل ضرب من ضروب الكذب.

(٢) من قصيدة لعبد الرحمن العشماوي.

وكل كذب إلى نهاية، ولا يبقى إلا الحق يا شوهاء يا من تسخر لإباحيتك وفجرك الطائرات... وتفتح لك الأبواب الموصدة، وتفرش لك الأرض بالزهور والورود، وكل ماهو محظور وممنوع فهو لك مباح وميسور ويا من جسدت العهر والزندقة في تمثيلك في رمضان إعلمي:

لا الليلة الحمراء باقية لا الكأس لا العشاق لا الخمر
كم نجمة بالأمس قد سقطت واليوم لا حس لها ولا خبر
أنت الضحية أنت بينهم وعليك ثم عليهم الوزر
لا تسخري بالتائبات ففي هذا الإياب العز والفخر
مست شغاف قلوبهم سور فتفجر الإيمان والعطر
ويح الذين قست قلوبهم وأمامهم يتشقق الصخر
ويح الذين تصخ سمعهم آيات ربي ثم لم يدروا
يا نجمة الأضواء إن غدا آت ويسدل بعدها السر
والمعجبون سيرحلون غدا وسيرحل التطبيل والزمر
وستطفأ الأنوار في عجل فالزيت في قنديلكم نزر
وستزفين العمر من ندم لو كان ينفع عندنا الزفر
وستشربين الكأس مترعة مر شراب كئوسكم مر

وسيضرب النسيان بينكم سدا، فلا يبقى لكم ذكر
الآن مطوى كتابكم ولكل مطوى غدا نشر[1]

فيا أخي: كن على حذر ولا تغفل ولا تنخدع ببريق الأقوال التي تلقى على مسامعك من رؤساء الفتنة وتجارها ومروجوها، فاستعن بالله واقهر شيطانك، واجعل من هذا الشهر زاد لك إلى الله يوم الرحيل.

قال صلى الله عليه وسلم: «إن المؤمن لينصى شيطانه كما ينصى أحدكم بعيره في السفر»[2].

فيا أخي الكريم:

شهر رمضان ليس شهر السهر أمام التلفاز والقنوات الفضائية الإباحية إلى قبيل الفجر، وليس شهرا للسمر المحرم من الغيبة والنميمة وشرب الدخان والمخدرات ولعب البالوت واستماع الأغاني والموسيقى، ولكنه شهر القرآن والذكر والقيام والتراويح والتسابيح، فكن من الذين

---

(١) إلى ممثلة: لمحمود مفلح.

(٢) رواه أحمد في المسند، ينصى شيطانه، أي يأخذ بناصيته فيغلبه ويقهره.

يتجافى جنوبهم عن المضاجع، وقوفا بين يدي الرب جل وعلا، ولا تكن من الذين يبارزون الله بالمعاصي في كل وقت وحين.

وفقنا الله وإياك لكل خير وطاعة وبر، وصرف عنا وإياك كل سوء وشر إنه ولي ذلك والقادر عليه ومولاه.

اللهم خذ بنواصينا إليك يا أرحم الراحمين.



استراحة

● خرج المهدي يتصيد فغار به فرسه حتى وقع في خباء[1] أعرابي، فقال: يا أعرابي! هل من قرى؟ فأخرج له قرص شعير فأكله، ثم أخرج له فضلة من لبن فسقاه، ثم أتاه بنبيذ في ركوة فسقاه، فلما شرب قال: [يا أعرابي !] أتدري من أنا؟ قال [الأعرابي]: لا! قال: أنا من خدم أمير المؤمنين الخاصة، قال: بارك الله في موضعك، ثم سقاه مرة أخرى فشرب فقال: يا أعرابي! أتدري من أنا؟ فقال: زعمت أنك من خدم أمير المؤمنين الخاصة قال: لا أنا من قواد أمير المؤمنين. قال: رحبت بلادك وطال مرادك ثم سقاه الثالثة، فلما فرغ قال: يا أعرابي! أتدري من أنا؟ قال: زعمت أنك من قواد أمير المؤمنين. قال: لا، ولكنني أمير المؤمنين، قال: فأخذ الأعرابي الركوة فوكأها وقال: إليك عني، فو الله لو شربت الرابعة لأدعيت أنك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فضحك المهدي حتى غشي عليه ثم أحاطت به الخيل ونزلت إليه الملوك والأشراف، فطار قلب الأعرابي، فقال له: لا بأس عليك ولا خوف، ثم أمر له بكسوة ومال جزيل.

---

(١) الخباء: خيمة من صوف أو شعر تكون على عمودين أو ثلاثة.

- وحضر أعرابي مجلس قوم فتذاكروا قيام الليل فقيل له : يا أبا أمامة ! أتقوم الليل؟ فقال : نعم ، قالوا ما تصنع؟ قال : أبول وأرجع أنام.
- صلى أعرابي خلف إمام صلاة الصبح ، فقرأ الإمام سورة البقرة ، وكان الأعرابي مستعجلا ، ففاته مقصوده ، ولما كان في اليوم الثاني ، وابتدأ الإمام بسورة الفيل ، ولى الأعرابي هاربا وهو يقول : الفيل أكبر من البقرة.
- جيء بأعرابي متهم ومعه دليل براءته وهو يقول : هاؤم اقرؤا كتابيه. فقيل له : هذا يقال يوم القيامة ! فقال : هذا والله شر من يوم القيامة ، إن يوم القيامة يؤتى بحسناتي وسيئاتي وأنتم جئتم بسيئاتي وتركتم حسناتي.



الصيـــام، أحكام وآداب وفضـــائل وســـنن

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

اللهم صل على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن الصوم من أفضل الطاعات وأجل القربات، كيف لا وهو الركن الرابع من أركان الإسلام التي بني عليها وقامت دعائمه، وللصيام خصائص أختص بها دون غيره من الأعمال ومن أشرفها إضافته لله جل وعلا حيث يقول في الحديث القدسي: (الصوم لي وأنا أجزي به)[1]. وكفى بهذه الإضافة شرفا وكرما كما شرف وكرم البيت الحرام بإضافته إليه سبحانه في قوله: ﴿... وطهر بيتي﴾ (الحج: ٢٦).

ونحن في الصفحات التالية سنتحدث عن الصوم وما يتعلق به من أحكام وآداب وسنن وفضائل وغيرها من الأمور التي تعين المسلم على أن يعيش شهر الصيام بالوجه اللائق به.

---

(١) سيأتي تخريجه والحكم عليه.

● **أولا : تعريف الصوم لغة وشرعا:**

الصوم لغة: الإمساك عن الشي والترك له والكف عنه، وقيل للصائم صائم وذلك لإمساكه عن المطعم والمشرب والمنكح.

قال تعالى حكاية عن مريم عليها السلام: ﴿ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ ﴾ [سورة مريم:الآية ٢٦]. أي إمساكا عن الكلام.

ويقال للفرس صائم إذا أمسكت عن المشي أو العلف.

قال الشاعر:

خيل صيام وخيل غير صائمة   تحت العجاج وأخرى تعلك اللجما

أي خيل ثابتة ممسكة عن الجري أو ممسكة عن الطعام.

قال أبو عبيدة: كل ممسك عن طعام أو كلام أو مسير فهو صائم[1].

● **الصوم شرعا:** هو التعبد لله بالامتناع عن المفطرات من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس مع النية.

وقيل: (هو الإمساك بنية عن أشياء مخصوصة في زمن معين من شخص مخصوص بشروط خاصة).

وقيل: هو إمساك المكلف بالنية عن تناول المطعم والمشرب والاستمناء والاستسقاء من الفجر إلى المغرب[1].

---

(١) لسان العرب (١٢/٣٥١) والمعجم الوسيط (ص ٥٢٩).

أركان الصوم

أعلم أخي الكريم: أن للصوم أربعة أركان[٢] وهي:

١- النيـــة.

٢- الإمساك عن المفطرات.

٣- الزمان. أي (زمن الإمساك).

٤- الصـــائـــم.

وإليك بيان ذلك بإيجاز.

الركن الأول: النيـــة:

النية مطلوبة في كل عبادة من العبادات وفي كل عمـل من الأعمال لقولــه تعــالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [سورة البينة:الآية ٥].

ولقوله صلى الله عليه وسلم: «إنما الأعمـال بالنيـات، وإنمـا لكـل امرىء ما نوى»[٣] الحديث. والنية محلها القلب فلا يسن التلفظ بـها، وأن

---

(١) الفقه الإسلامي وأدلته (١٦١٦/٣)، صحيح المسند من أحكام الصيام (١١-١٢)، الصيام أحكام وآداب وغيرها.

(٢) اختلف أهل العلم في تحديد أركان الصوم منهم من جعلهم أربعة، ومنهم من جعلهم ثلاثة بحذف أحد الأربعة، ومنهم من جعلهما اثنين، وكلاهما لا تخرج عن الأربعة المذكورة فسلكنا مسلك الجمع وأتينا بهم جميعا، والله أعلم بالصواب.

(٣) صحيح: رواه البخاري في صحيحه (٩/١) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

التلفظ بها بدعة محدثة، ولم يرد دليل صحيح ـ ولا ضعيف ـ عن النبي أنه تلفظ بالنية ولا ثبت ذلك عن الصحابة رضوان الله عليهم. ومذهب كافة العلماء أنه لا يصح صوم إلا بنية، وحجتهم أن الصوم عبادة محضة لا تتأدى إلا بنية، وهذه النية تكون ليلا وقبل طلوع الفجر.

عن حفصة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ قالت: «من لم يبيت النية من الليل فلا صيام له[1] ».

وقال صلى الله عليه وسلم: «من لم يجمع الصيام قبل الفجر فلا صيام له»[2] .

وقوله صلى الله عليه وسلم: «من لم يبيت الصيام قبل طلوع الفجر فلا صيام له»[3] .

الركن الثاني: الإمساك عن المفطرات:

وذلك من طلوع الفجر إلى غروب الشمس لقوله تعالى: ﴿ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ الأسود مِنَ ٱلْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ﴾ [سورة البقرة:الآية ١٨٧]. والمراد بالخيط الأسود والخيط الأبيض، بياض النهار وسواد الليل.

---

(١) صحيح: رواه النسائي، وصححه الألباني في (صحيح الجامع) رقم (٦٥٣٥).

(٢) رواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وصححه الألباني في (صحيح الجامع) رقم (٦٥٣٨).

(٣) صحيح: رواه الدارقطني في (الأفراد) والبيهقي في سننه عن عائشة، وصححه الألباني في (صحيح الجامع) رقم (٦٥٣٤).

وعند البخاري من حديث سهل بن سعد قال: أنزلت: «وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود» ولم ينزل: «من الفجر» فكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجله الخيط الأبيض والخيط الأسود ولم يزل يأكل حتى يتبين له رؤيتهما، فأنزل الله بعد: (من الفجر) «فعلموا أنه إنما يعني الليل والنهار»(١).

والمفطرات التي يجب على الصائم أن يمسك عنها هي:

١- الأكل والشرب. ٢- الجماع. ٣- إنزال المني بقصد.

٤- ما كان بمعنى الأكل والشرب. ٥- القيء عمدا.

٦- خروج دم الحيض والنفاس(٢).

الركن الثالث: الزمان: (زمن الإمساك).

يمسك الصائم عن جميع المفطرات من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس لقوله تعالى: ﴿ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ الأسود مِنَ ٱلْفَجْرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِۚ ﴾ [سورة البقرة:الآية ١٨٧].

وقال صلى الله عليه وسلم: «إذا أقبل الليل من ههنا، وأدبر من ههنا، وغربت الشمس فقد أفطر الصائم»(٣).

---

(١) صحيح: رواه البخاري (١٣٢/٤)، ومسلم (١٠٩١).

(٢) سيأتي تفصيل ذلك في مفسدات الصوم، وهناك أشياء أخرى ولكن مختلف فيها سيأتي بيانها إن شاء الله.

(٣) صحيح: رواه البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه.

وفي لفظ مسلم: «إذا غابت الشمس من ههنا وجاء الليل من ههنا فقد أفطر الصائم».

الركن الرابع: الصائم:

وهو المسلم البالغ العاقل، القادر على الصوم الخالي من الموانع[١].

مشروعية الصيام

من المعلوم أن صيام رمضان أحد أركان الإسلام التي بني عليها، وهو فرض من فروض الله، ومعلوم من الدين بالضرورة، ومجمع عليه من جميع المسلمين، توارثته الأمة خلفا عن سلف، وقد دل على وجوبه الكتاب والسنة والإجماع.

فمن الكتاب:

قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُ ... ﴾ [سورة البقرة:الآيات ١٨٣-١٨٥].

ومن السنة:

١- عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بني الإسلام على خمس، شهادة أن لا إله إلا الله وأن

(١) سيأتي التفصيل عن ذلك في الكلام على من يجب عليه الصوم.

محمدا رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلا»[١].

٢- عن طلحة بن عبيد الله ـ رضي الله عنه ـ قال: أن إعرابيا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم ثائر الرأس فقال: يا رسول الله! أخبرني ماذا فرض الله علي من الصلاة، فقال الصلوات الخمس إلا أن تطوع شيئا. فقال: أخبرني بما فرض الله على من الصيام، قال: (شهر رمضان) قال هل علي غيره؟ قال: (لا، إلا أن تطوع شيئا).. الحديث[٢].

٣- وما رواه أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ من حديث جبريل الطويل عليه السلام، حين جاء يعلم الناس أمر دينهم.. قال يا رسول الله! ما الإسلام؟ قال: (الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان..)[٣].

ومن الإجماع:

أجمعت الأمة على أن الصيام ركن من أركان الإسلام وأنه معلوم من الدين بالضرورة، بل وأجمعوا على أن من أنكر وجوبه كفر[٤].

---

(١) صحيح رواه البخاري ومسلم.

(٢) صحيح: رواه البخاري (٣/٣١) ومسلم (١/٣١).

(٣) صحيح: رواه البخاري (١/٢٠)، ومسلم (١/٣٠).

(٤) انظر بدائع الصناع (٢/٧٥)، المجموع (٦/٢٤٨)، ومغني المحتاج (١/٤٢٠)، المغني (٤/٣٢٤) وحاشية الروض المربع (٣/٣٤٤).

شروط الصوم

قال العلماء شروط الصوم تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: شروط وجوب الصوم.

القسم الثاني: شروط صحة الأداء.

واختلفوا في تعيين الشروط في كل قسم من هذه الأقسام، وبعدا عن الخلاف ومنازعاته نجمل ذلك تحت عنوان آخر ونقول:

على من يجب الصوم

يجب الصوم على كل مسلم بالغ عاقل مقيم قادر خال من الموانع.

إذا هناك ستة شروط يجب أن تتوافر فيمن يجب عليه الصوم وهي:

١- الإسلام:

يخرج بقولنا الإسلام: الكافر: فلا يجب عليه الصوم ولا يصح منه، لأنه ليس أهلا للعبادة، وليس مخاطبا بتكاليف الشرع ولا يمنع ذلك أنه سيحاسب على ذلك في الآخرة.

وإذا أسلم لزمه الصيام من حين إسلامه، ولا يقضي ما مضى، يدل على ذلك قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ ﴾ [سورة الأنفال:الآية ٣٨].

٢- البلوغ:

يخرج بقولنا البالغ : الصغير الذي لم يبلغ ، فلا يجب عليه الصوم لرفع القلم عنه حتى يبلغ. ويحصل البلوغ بواحدة من ثلاث :

أ - إنزال المني باحتلام أو غيره.

ب - نبت شعر العانة.

جـ - بلوغ تمام خمس عشرة سنة.

وتزيد الأنثى على الذكر بالحيض إذ تبلغ به أو بأحد الأمور الثلاثة السابقة.

٣- العقل:

يخرج بقولنا العاقل : المجنون ، فلا يجب عليه الصوم لرفع القلم عنه ، وإذا كان الشخص يجن أحيانا ويفيق أحيانا أخرى لزمه الصوم متى أفاق ولم يجب عليه قضاء ماجن فيه.

٤- الإقامة:

يخرج بقولنا : مقيم : المسافر ، فلا يجب عليه الصوم بل هو مخير بين الفطر والصيام ، والأفضل له فعل الأيسر له على حسب الحال ، قال تعالى : ﴿ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ [سورة البقرة:الآية ١٨٥].

٥- القدرة:

يخرج بقولنا القادر: العاجز غير القادر على الصيام لأي سبب من الأسباب كمرض أو كبر سن أو نحو ذلك، فلا يجب عليه الصوم بل يقضيه بعد رمضان والكبير يطعم عن كل يوم مسكينا، وكذلك المريض الذي لا يرجى شفاؤه.

قال تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾ [سورة البقرة:الآية ١٨٤].

٦- عدم الموانع:

يخرج بقولنا خال من الموانع: من قام فيه مانع من موانع الصوم، فلا يجب عليه الصوم حال المانع، بل يجب عليه الفطر وعليه القضاء بعد زوال المانع، والمانع كالحيض والنفاس.

قال ابن رشد ـ رحمه الله ـ: (... وأما على من يجب وجوبا غير مخير فهو البالغ العاقل الحاضر الصحيح إذا لم تكن فيه الصفة المانعة من الصوم وهي الحيض للنساء، هذا لا خلاف فيه لقوله تعالى: ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ [سورة البقرة:الآية ١٨٥] [١].

---

(١) بداية المجتهد (١/٢٧٤)، بدائع الصنائع (٢/٧٧)، (٣/١٧٦)، كشاف القناع (٢/٣٠٨) والسيل الجرار للشوكاني (٢/١١١).

فضائل الصوم

أخي الكريم:

أنعم بالصوم عبادة بها رفع الدرجات، وتكفير الخطيئات، وكسر الشهوات وتكثير الصدقات، وتوفير الطاعات، وشكر عالم الخفيات، والانزجار عن خواطر المعاصي والمخالفات، والبعد عن سموم النار واللفحات، وقرع أبواب الجنات، وكم للصوم من فضائل وفضائل.. وإليك طرفا منها:

❁ الفضيلة الأولى: نداء الريان لمعاشر الصوام

عن سهل بن سعد ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «إن في الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحد غيرهم يقال: أين الصائمون؟ فيقومون لا يدخل منه أحد غيرهم فإذا دخلوا اغلق فلم يدخل منه أحد»(١).

(١) صحيح: رواه البخاري (١١١/٤)، ومسلم (١١٥٢)، والنسائي (١٦٨/٤)، الترمذي (٤٧٤/٣) تحفة الأحوذي، وأحمد (٢٦٤/٥).

وفي رواية عند النسائي زاد في آخره: «من دخل فيه شرب ومن شرب لم يظمأ أبدا». وعند الترمذي «ومن دخله لم يظمأ أبدا».

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من أنفق زوجين في سبيل الله نودي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة» فقال أبو بكر - رضي الله عنه - بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما على من دعي من تلك الأبواب من ضرورة، فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ قال: «نعم وأرجو أن تكون منهم[1]» .

❁ الفضيلة الثانية: الصيام جنة من الشهوات والنار

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ فقال: «من استطاع الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء[٢]».

---

(١) صحيح: رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وأحمد.

(٢) صحيح: رواه البخاري (١١٩/٤)، ومسلم (١٤٠٠). قال الحافظ رحمه الله في الفتح (١١٩/٤) قوله: (فعليه بالصوم فإنه له وجاء) بكسر الواو وبجيم ومد، وهو رض الخصيتين، وقيل رض عروقها، ومن يفعل به ذلك تنقمع شهوته، ومقتضاه أن الصوم قامع لشهوة النكاح) أ.هـ.

● عن عثمان بن أبي العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «الصوم جنة من عذاب الله»[١].

وعنه أيضا قال: قال رسول الله ﷺ: «الصوم جنة يستجن بها العبد من النار»[٢].

● وعن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى الصيام جنة يستجن بها العبد من النار، وهو لي وأنا أجزي به»[٣].

قال المناوي: «وقاية في الدنيا من المعاصي بكسر الشهوة وحفظ الجوارح وفي الآخرة من النار».

وقال: «الصوم جنة من عذاب الله فليس للنار عليه سبيل كما لا سبيل لها على مواضع الوضوء، لأن الصوم يغمر البدن كله فهو جنة لجميعه برحمة الله من النار».

---

(١) صحيح: رواه البيهقي في (شعب الإيمان) ورواه أحمد والنسائي وابن ماجة، وابن خزيمة وابن حبان، وصححه السيوطي والألباني في (صحيح الجامع) برقم (٣٨٦٧).

(٢) صحيح: رواه الطبراني في (الكبير)، ورواه أحمد والنسائي وابن ماجة وابن خزيمة وابن حبان، وقال الهيثمي سنده حسن، وصححه السيوطي والألباني في (صحيح الجامع) رقم (٣٨٦٨) والجنة: أي الوقاية والحفظ والستر.

(٣) حسن: رواه أحمد، والبيهقي في (شعب الإيمان)، وحسنه الألباني في (صحيح الجامع) برقم (٤٣٠٨).

وقال: «أجزى به صاحبه جزاء كثيرا، وأتولى الجزاء عليه بنفسي فلا أكله إلى ملك مقرب ولا غيره لأنه سر بيني وبين عبدي، لأنه لما كف نفسه عن شهواتها جوزى بتولي الله سبحانه إحسانه»[١].

قال: ابن عبد البر: «حسبك بهذا فضلا للصائم».

الصوم في سبيل الله يباعد عن النار:

عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد يصوم يوما في سبيل الله تعالى إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفا»[٢].

قال المناوي: «أي نجاه منها أو عجل إخراجه منها قبل أوان الاستحقاق، عبر عنه بطريق التمثيل ليكون أبلغ، لأن من كان مبعدا عن عدوه بهذا القدر لا يصل إليه ألبتة».

وقال: «سبعين خريفا» سنة أي نجاه وباعده منها مسافة تقطع في سبعين سنة إذ كل ما مر خريف انقضت سنة، فهو من إطلاق اسم البعض على الكل وذكر الخريف من ذكر الجزء وإرادة الكل، وخصه دون غيره من الفصول لأنه وقت بلوغ الثمار وحصول سعة العيش، وذلك لأنه تحمل مشقة الصوم ومشقة الغزو فاستحق هذا التشريف»[٣].

---

(١) فيض القدير (٤/٢٤٢ - ٢٥٠).

(٢) صحيح: رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي.

(٣) فيض القدير (٦/١٦١).

أخي الكريم:

إذا كانت أعز أمنية لآخر أهل النار خروجا منها - وهو يخرج منها حبوا - صرف وجهه عن النار قبل الجنة لا يسأل مولاه غير ذلك، فكيف إذا باعد الله وجهه عن النار وجعل بينه وبين النار مسيرة سبعين سنة هذا بصيام يوم واحد نفلا، فما ظنك بصيام شهر كامل وهو شهر رمضان وهو الفريضة؟!.

الفضيلة الثالثة: الصيام لا مثل له وهو الطريق إلى الجنة

- عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله مرني بعمل قال: «عليك بالصوم فإنه لا عدل له». قلت: يا رسول الله مرني بعمل قال: «عليك بالصيام فإنه لا عدل له»[1].

وعند الحاكم وصححه النسائي قال: أتيت رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله مرني بأمر ينفعني الله به قال: «عليك بالصوم فإنه لا مثل له».

- وعن حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - قال: اسندت النبي ﷺ إلى صدري فقال: «من قال لا إله إلا الله ختم له بها دخل الجنة، ومن صام

---

(١) صحيح رواه النسائي، وابن خزيمة في (صحيحه) هكذا بالتكرار وبدونه، وصححه الألباني في (صحيح الترغيب والترهيب) (١/ ٤١٣).

يوما ابتغاء وجه الله ختم له بها دخل الجنة، ومن تصدق بصدقة ابتغاء وجه الله ختم له بها دخل الجنة»[١].

ورواه الأصبهاني ولفظه: «يا حذيفة من ختم له بصيام يوم يريد به وجه الله عز وجل أدخله الله الجنة».

● قال المناوي: «أي من ختم عمره بصيام يوم بأن مات وهو صائم أو بعد فطره من صومه دخل الجنة مع السابقين الأولين أو من غير سبق عذاب[٢]».

● قال ابن خزيمة: «إيجاب الله عز وجل الجنة للصائم يوما واحدا إذا جمع مع صومه صدقة، وشهود جنازة وعيادة مريض»[٣].

● عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أصبح منكم اليوم صائما؟ فقال: أبو بكر: أنا، فقال: من أطعم منكم اليوم مسكينا؟ قال أبو بكر: أنا، فقال: من تبع منكم اليوم جنازة؟ فقال أبو بكر: أنا. قال: من عاد منكم اليوم مريضا؟ قال أبو بكر أنا. فقال رسول الله ﷺ: «ما اجتمعت هذه الخصال قط في رجل إلا دخل الجنة»[٤].

---

(١) صحيح: قال المنذري: رواه أحمد بإسناد لا بأس به، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/٤١٢).

(٢) فيض القدير (٦/١٢٣).

(٣) صحيح ابن خزيمة (٣/٣٠٤).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢/٧١٣) رقم (١٠٢٨)، ابن خزيمة في صحيحه (٣/٣٠٤).

قال ابن خزيمة «هذه فضائل لهذه الأعمال لا كما يدعى من لا يفهم العلم ولا يحسنه»[١] .

فيا أخي الحبيب:

هذا طريق الجنة واضح أمامك، فهل أنت من أصحاب الهمم العالية والأهداف السامية، والغايات الرفيعة؟!

فإن كنت كذلك ـ وأظنك كذلك ولا أزكي أحدا على الله والله حسيبك ـ فهذا هو الطريق إنه الصوم فإنه لا عدل له.

الفضيلة الرابعة: الصوم يشفع لصاحبه يوم القيامة

عن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال: «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب إني منعته الطعام والشهوة، فشفعني فيه، ويقول القرآن: رب منعته النوم بالليل، فشفعني فيه، قال: فيشفعان»[٢] .

---

(١) قاله ابن خزيمة في (صحيحه) (٣/٣٠٤).

(٢) صحيح: رواه أحمد في (مسنده) والطبراني في الكبير، ورجاله محتج بهم في الصحيح، ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب (الجوع) وغيره بإسناد حسن، ورواه الحاكم في المستدرك وقال صحيح على شرط مسلم، وصححه الألباني في (صحيح الترغيب) (١/٤١١).

قال محدث العصر العلامة الألباني ـ رحمه الله ـ «أي يشفعهما الله فيه ويدخله الجنة».

قال المناوي: «وهذا القول يحتمل أنه حقيقة بأن يجسد ثوابهما ويخلق الله فيه النطق ﴿والله على كل شيء قدير﴾ ويحتمل أنه على ضرب من المجاز والتمثيل».

قلت: والأول هو الصواب الذي ينبغي الإيمان به والجزم به هنا وفي أمثاله من الأحاديث التي فيها تجسيد الأعمال ونحوها، كمثل تجسيد الكنز شجاعا أقرع، ونحوه كثير.

وتأويل مثل هذه النصوص ليس من طريقة السلف رضي الله عنهم، بل هو طريقة المعتزلة، ومن سلك سبيلهم من الخلف، وذلك مما ينافي أول شروط الإيمان ﴿الذين يؤمنون بالغيب﴾ فحذار أن تحذو حذوهم فتضل وتشقى، والعياذ بالله تعالى)[1].

حديث تضمن أكثر من فضيلة للصوم:

● عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله عز وجل: كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به، الصيام جنة، وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني امرؤ صائم، والذي نفس محمد بيده

---

(١) انظر تعليق الشيخ الألباني رحمه الله على (صحيح الترغيب والترهيب) (١/٤١١).

لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح وإذا لقي ربه فرح بصومه»[١].

قلت: فهذا الحديث تضمن فوائد كثيرة نأخذ منها:

الفضيلة الخامسة: إضافة الله تعالى للصوم إضافة تشريف وتعريف بقدر الصوم.

- قال ابن عبد البر: كفى بقوله: ﴿الصوم لي﴾ فضلا للصيام على سائر العبادات.
- قال الحافظ في الفتح (١٠٧/٤): (وقد اختلف العلماء في المراد بقوله تعالى: ﴿إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به﴾ مع أن الأعمال كلها له، وهو الذي يجزي بها على أقوال.

وسأنقل لك الأقوال باختصار ومن أراد التوسع فليرجع إلى الفتح.

١- أن الصوم لا يقع فيه رياء كما يقع في غيره.

٢- أن قوله: (وأنا أجزي به) أني انفرد بعلم مقدار ثوابه وتضعيف حسناته، وأما غيره من العبادات فقد اطلع عليها بعض الناس، وهذا كقوله تعالى: ﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾ قال الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى: (والصبر ثلاثة أنواع: صبر على طاعة الله،

---

(١) صحيح: رواه البخاري ومسلم وأحمد والنسائي.

وصبر على محارم الله، وصبر على أقدار الله المؤلمة، وتجتمع الثلاثة كلها في الصوم، فإن فيه صبراً على طاعة الله، وصبراً عما حرَّم الله على الصائم من الشهوات، وصبراً على ما يحصل للصائم فيه من ألم الجوع والعطش، وضعف النفس والبدن)[١].

٣- أي أنه أحب العبادات إليّ، وهو المقدم عندي.

٤- الإضافة إلى الله إضافة تشريف كما يقال بيت الله، وإن كانت البيوت كلها لله.

٥- أن الاستغناء عن الطعام والشراب وغيره من الشهوات من صفات الرب جل جلاله، فلما تقرب إليه بما يوافق أضافه إليه. أ.هـ. من الفتح.

الصيام جُنَّة أي: وقاية، وقد سبق أن تكلمنا عن ذلك في الفضيلة الثانية فراجعه إن شئت غير مأمور.

الفضيلة السادسة: خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك

● قال أبو حاتم: شعار المؤمنين في القيامة التحجيل بوضوئهم في الدنيا فرقا بينهم وبين سائر الأمم، وشعارهم في القيامة بصومهم طيب خلوفهم أطيب من ريح المسك ليعرفوا بين ذلك الجمع بذلك العمل، نسأل الله بركة هذا اليوم.

---

(١) بغية الإنسان (ص ٤).

قال ابن حجر ـ رحمه الله ـ (ويؤخذ من قوله: (أطيب من ريح المسك) أن الخلوف أعظم من دم الشهيد، لأن دم الشهيد شبه ريحه بريح المسك والخلوف وصف بأنه أطيب، ولا يلزم من ذلك أن يكون الصوم أفضل من الشهادة لما لا يخفى، ولعل سبب ذلك النظر إلى أصل كل منهما، فإن أصل الخلوف طاهر، وأصل الدم بخلافه، فكان ما أصله طاهر أطيب ريحاً)[١] أ. هـ.

● قال الحافظ ابن رجب ـ رحمه الله تعالى ـ : (خلوف الفم: رائحة ما يتصاعد من الأبخرة لخلو المعدة من الطعام بالصيام، وهي رائحة مستكرهة في مشام الناس في الدنيا، لكنها طيبة عند الله حيث كانت ناشئة عن طاعته، وابتغاء مرضاته.

ثم قال: وفي طيب ريح خلوف الصائم عند الله عز وجل معنيان:

أحدهما: أن الصيام لما كان سرا بين العبد وبين ربه في الدنيا أظهره الله في الآخرة علانية للخلق، ليشتهر بذلك أهل الصيام ويعرفون بصيامهم بين الناس جزاء لإخفائهم صيامهم في الدنيا[٢].

قال مكحول: يروح على أهل الجنة فيقولون: ربنا ما وجدنا ريحا منذ دخلنا الجنة أطيب من هذا الريح، فيقال: هذه رائحة أفواه الصوام.

---

(١) فتح الباري: (١٢٨/٤).

(٢) قلت: وهذا المعنى يفسر أيضا تخصيص باب الريان للصائمين دون غيرهم من سائر الناس فإذا دخلوا منه أغلق ولا يدخل منه غيرهم. والله أعلم.

والمعنى الثاني: أن من عبد الله وأطاعه وطلب رضاه في الدنيا بعمل فنشأ من عمله آثار مكروهة للنفوس في الدنيا، فإن تلك الآثار غير مكروهة عند الله بل هي محبوبة له وطيبة عنده لكونها نشأت عن طاعته واتباع مرضاته، فإخباره بذلك للعاملين في الدنيا فيه تطييب لقلوبهم لئلا يكره منهم ما وجد في الدنيا.

كل شيء ناقص في عرف الناس في الدنيا حتى إذا انتسب إلى طاعة الله ورضاه فهو الكامل في الحقيقة، خلوف أفواه الصائمين له أطيب من ريح المسك، عرى المحرمين لزيارة بيته أجمل من لباس الحلل.. نوح المذنبين على أنفسهم من خشيته أفضل من التسبيح.. إنكسار المخبتين لعظمته هو الجبر.. ذل الخائفين من سطوته هو العز.. تهتك المحبين في محبته أحسن من الستر.. بذل النفوس للقتل في سبيله هو الحياة.. جوع الصائمين لأجله هو الشبع.. عطشهم في طلب مرضاته هو الري.. نصب المجتهدين في خدمته هو الراحة.

ذل الفتى في الحب مكرمة وخضوعه لحبيبه شرف[1]

● قال المناوي: «لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك» فإذا كان هذا بتغير ريح فمه، فما ظنك بصلاته وقراءته وسائر عباداته»[2].

---

(١) لطائف المعارف. (١٧٩ - ١٨٢) بتصرف.

(٢) فيض القدير (٤/ ٢٥٠).

قال ابن جماعة: «وفيه أن خلوف فم الصائم أفضل من دم الجريح في سبيل الله، لأن النبي ﷺ قال في الشهيد: إن ريحه ريح المسك، وقال في خلوف الصائم أنه أطيب منه، ووجهه أن الجريح يظهر أمره للناس، فربما دخله رياء، والصائم لا يعلم بصومه إلا الله، فلعدم دخول الرياء فيه صار أرفع».

الفضيلة السابعة: للصائم فرحتان

قال الحافظ في الفتح (٤/١١٨): قال القرطبي: معناه فرح بزوال جوعه وعطشه حيث أبيح له الفطر، وهذا الفرح طبيعي وهو السابق للفهم، وقيل إن فرحه بفطره إنما هو من حيث أنه تمام صومه وخاتمة عبادته، وتخفيف من ربه ومعونه على مستقبل صومه، قلت: أي الحافظ: ولا مانع من الحمل على ما هو أعم مما ذكر، ففرح كل أحد بحسبه لاختلاف مقامات الناس في ذلك، فمنهم من يكون فرحه مباحا وهو الطبيعي، ومنهم من يكون مستحبا وهو من يكون سببه شيء مما ذكره.

وقوله: «وإذا لقي ربه فرح بصومه» أي بجزائه وثوابه، وقيل الفرح الذي عند لقاء ربه إما لسروره بربه أو بثواب ربه، على

الاحتمالين، قلت: أي الحافظ: والثاني أظهر، إذ لا ينحصر الأول في الصوم بل يفرح حينئذ بقبول صومه، وترتب الجزاء الوافر عليه»أ. هـ.

قال: الحافظ ابن رجب: ـ رحمه الله ـ: (أما فرحة الصائم عند فطره فإن النفوس مجبولة على الميل إلى ما يلائمها من مطعم ومشرب ومنكح، فإذا منعت من ذلك في وقت من الأوقات ثم أبيح لها في وقت آخر فرحت بإباحة ما منعت منه خصوصا عند اشتداد الحاجة إليه، فإن النفوس تفرح بذلك طبعا، فإن كان ذلك محبوبا لله كان محبوبا شرعا، والصائم عند فطره كذلك، فكما أن الله تعالى حرم على الصائم في نهار الصيام تناول هذه الشهوات، فقد أذن له فيها في ليل الصيام، بل أحب منه المبادرة إلى تناولها في أول الليل وآخره، فأحب عباده إليه أعجلهم فطرا، والله وملائكته يصلون على المتسحرين، فالصائم ترك شهواته لله بالنهار تقربا إلى الله وطاعة له، ويبادر إليها في الليل تقربا إلى مولاه، وأكل وشرب وحمد الله، فإنه يرجى له المغفرة أو بلوغ الرضوان بذلك، وفي الحديث: (إن الله ليرضى عن عبده أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، ويشرب الشربة فيحمده عليها) وربما استجيب دعاؤه عند ذلك، وإن نوى بأكله وشربه تقوية بدنه على القيام والصيام كان مثابا على ذلك.

قال أبو العالية: الصائم في عبادة وإن كان نائما على فراشه، فكانت حفصة تقول: يا حبذا عبادة وأنا نائمة على فراشي، فالصائم في

ليله ونهاره في عبادة ويستجاب دعاؤه في صيامه وعند فطره، فهو في نهاره صائم صابر وفي ليله طاعم شاكر.

وفي الحديث الذي خرجه الترمذي وغيره: (الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر) ومن فهم هذا الذي أشرنا إليه لم يتوقف في معنى فرح الصائم عند فطره، فإن فطره على الوجه المشار إليه من فضله ورحمته فيدخل في قول الله تعالى: قال تعالى: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس:٥٨].

وأما فرحه عند لقاء ربه: فيما يجده عند الله من ثواب الصيام مدخرا فيجده أحوج ما كان إليه كما قال تعالى: قال تعالى: ﴿ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ﴾ [المزمل:٢٠].

وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا ﴾ [آل عمران:٣٠].

وعن عيسى بن مريم عليه السلام قال: (إن هذا الليل والنهار خزائنان، فانظروا ما تصنعون فيهما، فالأيام خزائن للناس ممتلئة بما خزنوه فيها من خير وشر، وفي يوم القيامة تفتح هذه الخزائن لأهلها، فالمتقون يجدون في خزائنهم العز والكرامة، والمذنبون يجدون في خزائنهم الحسرة والندامة)[1].

---

(١) لطائف المعارف (١٧٦ - ١٧٨) بتصرف.

الفضيلة الثامنة : الصيام يرفع الدرجات

وهذا في قوله : ﴿وأنا أجزي به﴾.

● قال الحافظ في الفتح : (١٣٠/٤) : المراد بقوله : ﴿وأنا أجزي به﴾ أني انفرد بعلم مقدار ثوابه وتضعيف حسناته ، وأما غيره من العبادات قد كشفت مقادير ثوابها للناس وأنها تضاعف من عشرة إلى سبعمائة إلى ما شاء الله ، إلا الصيام ، فإن الله يثيب عليه بغير تقدير.

ويشهد لهذا السياق رواية الموطأ ، وكذا رواية الأعمش عن أبي صالح حيث قال : (كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى ما شاء الله) قال الله : ﴿إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به﴾ أي أجازي عليه جزاء كثيرا من غير تعيين لمقداره ، وهذا كقوله تعالى : ﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾ أ. هـ.

● قال المناوي في فيض القدير (٢٥١/٤) : ﴿وأنا أجزي به﴾ إشارة إلى عظم الجزاء عليه وكثرة الثواب لأن الكريم إذا أخبر بأنه يعطي العطاء بلا واسطة اقتضى سرعة القضاء وشرفه) أ. هـ.

● وقال ابن رجب : (يكون استثناء الصوم من الأعمال المضاعفة فتكون الأعمال كلها تتضاعف بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصيام ، فإنه

لا ينحصر تضعيفه في هذا العدد بل يضاعفه الله عز وجل أضعافا كثيرة بغير حصر عدد)[١] .

الفضيلة التاسعة : الصيام كفارة من الذنوب والمعاصي

● عن حذيفة بن اليمان ـ رضي الله عنهما ـ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : «فتنة الرجل في أهله وماله ونفسه وولده وجاره ، يكفرها الصيام ، والصلاة والصدقة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»[٢] .

قال المناوي : «فتنة الرجل : أي ضلاله ومعصيته ، أو ما يعرض له من الشر ويدخل عليه من المكروه في أهله مما يعرض له معهم من نحو هم وحزن أو شغل بهم عن كثير من الخير وتفريطه فيما يلزمه من القيام بحقهم ، و «ماله» بأن يأخذه من غير حله ويصرفه في غير حله ووجهه ، أو بأن يشغله لفرط محبته له عن كثير من الخيرات.

وفتنة في (نفسه) بالركون إلى شهواتها ونحو ذلك ، وفتنته في (ولده) بفرط محبته والشغل به عن المطلوبات الشرعية ، وفي (جاره) بنحو حسد وفخر ومزاحمة في حق وإهمال وتعهد.

---

(١) لطائف المعارف (١٦٨).

(٢) صحيح : رواه البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجة.

ونبه على الأربع على ما سواها، «يكفرها» أي الفتنة المتصلة بما ذكر (الصيام والصلاة والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) لأن الحسنات يذهبن السيئات، ونبه به على ما عداها، فنبه بالصلاة والصوم على العبادة الفعلية، وبالصدقة على المالية، وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على القولية فهي أصول المكفرات، والمراد الصغائر فقط.

ويحتمل أن يكون كل واحد من الصلاة وما بعدها يكفر المذكورات كلها لا كل واحد منها!.

وخص الرجل لأنه غالبا صاحب الحكم في داره وأهله وإلا فالنساء شقائق الرجال في الحكم)[1] أ. هـ.

وقال صلى الله عليه وسلم: «من صام رمضان إيمان واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه[2]».

● عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ كان يقول: «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر»[3].

---

(١) فيض القدير (٤/١٣٤).

(٢) صحيح: متفق عليه وقد سبق الكلام عن ذلك في فضائل رمضان ولا داعي هنا للإعادة.

(٣) صحيح: رواه مسلم (١/٢٣٣).

الفضيلة العاشرة : دعوة الصائم لا ترد

● عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث دعوات مستجابات: دعوة الصائم، ودعوة المظلوم ودعوة المسافر»[(١)] .

● وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « ثلاث دعوات لا ترد: دعوة الوالد لولده، ودعوة الصائم، ودعوة المسافر»[(٢)] .

● وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا ترد دعوتهم، الصائم حين يفطر، والإمام العادل، ودعوة المظلوم »[(٣)] .

فيا أخي الحبيب:

اغتنم الفرصة وارفع أكف الضراعة وأنت صائم وعند فطرك وتوجه بقلبك وقالبك إلى المولى جل في علاه وأدعوه وأنت موقن بالإجابة فإنها لا ترد.

---

(١) صحيح: رواه البيهقي في (شعب الإيمان) والعقيلي في الضعفاء، ورواه ابن ماسي وابن عساكر، وصححه الألباني في ٠صحيح الجامع) رقم (٣٠٣٠).

(٢) حسن: رواه أبو الحسن بن مهروية في (الثلاثيات) والضياء والألباني في (صحيح الجامع) رقم (٣٠٣٢).

(٣) حسن: أخرجه ابن حبان في صحيحه، وأحمد والطيالسي، والبيهقي، وابن أبي شيبة والترمذي وابن ماجة وقال الترمذي حديث حسن، وقال ابن حجر في (أمالي الأذكار) هذا حديث حسن، ورواه البزار.

فأعظم به من دعاء تنطق به شفاه ذابلة من الصيام يصعد السموات فما يرده ـ بكرمه ـ الرحمن، إنها نعمة عظيمة لمن عرف قدرها وأحسن استخدامها، اللهم وفقنا لاغتنام مواسم الخير يا أرحم الراحمين.

الفضيلة الحادية عشر: إن الله وملائكته يصلون على المتسحرين

عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله وملائكته يصلون على المتسحرين»[(١)].

قلت: والسحور لا يكون إلا في الصيام، ولا يتسحر إلا من نوى الصيام ومن هنا يتبين فضل الصيام في ذلك لأنه كان سببا في أن يصلي الله تبارك وتعالى.

وعن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ موقوفا (الصائم إذا أكل عنده صلت عليه الملائكة)[(٢)].

فإن كان الله وملائكته يصلون على المتسحرين، والسحور عون على الصيام فما ظنك بالصيام؟.

فأكرم بها من عبادة يصلي الله عليك بها والملأ الأعلى.

---

(١) حسن: رواه ابن حبان والطبراني في الأوسط وحسنه الألباني في الجامع رقم (١٨٤٤).

(٢) إسناده صحيح على شرط الشيخين، وهو موقوف له حكم الرفع قاله الألباني في الضعيفة (٥٠٢/٣ - ٥٠٣)، وأخرجه ابن أبي شيبة، وعبد الرزاق وابن المبارك.

يا هذا: تبيع صلاة الله والملائكة بشبع وتخمة، ولا تصوم عن لقمة!!

(إنما يريد العاقل أن يأكل ليحيا لا أن يحيا ليأكل).

وإن خير المطاعم ما استخدمت، وإن شرها ما خُدمت، وهل عالج الحجامة وفصد الفصاد إلا خارج عن حد الاقتصاد[1].

الفضيلة الثانية عشر: الصوم في الصيف يورث السقيا يوم القيامة

- عن ابن عباس - رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ بعث أبا موسى على سرية في البحر، فبينما هم كذلك، قد رفعوا الشراع في ليلة مظلمة إذ هاتف فوقهم يهتف: يا أهل السفينة! قفوا أخبركم بقضاء قضاه الله على نفسه، فقال أبو موسى: (أخبرنا إن كنت مخبراً، قال: إن الله تبارك وتعالى قضى على نفسه أنه من أعطش نفسه له في يوم صائف، سقاه الله يوم العطش)[2].

قلت: أي يوم العطش الأكبر يوم القيامة يوم الحسرة والندامة نسأل الله العافية.

---

(١) مقامات ابن الجوزي (ص ٩١) نقلاً من نداء الريان للعفاني (١/ ٣٦).

(٢) حسن: قال المنذري: رواه البزار بإسناد حسن إن شاء الله، وحسنه الألباني في (صحيح الترغيب والترهيب) (١/ ٤١٢).

وعن أبي موسى بنحوه إلا أنه قال فيه: قال: (إن الله قضى على نفسه أن من عطش نفسه لله في يوم حار كان حقاً على الله أن يرويه يوم القيامة).

قال: «فكان أبو موسى يتوخى اليوم الشديد الحر الذي يكاد الإنسان ينسلخ فيه حراً فيصومه»[١].

صيام نهار الصيف من خصال الإيمان لطول نهار الصيف وشدة حره.

قال ابن رجب: (عن بعض السلف قال: بلغنا أنه يوضع للصوّام مائدة يأكلون عليها والناس في الحساب فيقولون: يا رب نحن نحاسب وهم يأكلون فيقال: إنهم طالما صاموا وأفطرتم، وقاموا ونمتم).

وما بكى العباد على شيء عند موتهم إلا على ما يفوتهم من ظمأ الهواجر.

قال معاذ بن جبل عند موته: «مرحباً بالموت، زائر مغب، حبيب جاء على فاقة، اللهم كنت أخافك فأنا اليوم أرجوك، اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب الدنيا لطول البقاء فيها لجري الأنهار، ولا لغرس الأشجار، ولكن لظمأ الهواجر ومكابدة الساعات، ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر»[٢].

---

(١) حسن: حسنه الألباني في (صحيح الترغيب والترهيب) (٤١٢/١).

(٢) الثبات حتى الممات (لابن الجوزي) (ص ١١٩)، والزهد للإمام أحمد (ص ١٨٠)، وحلية الأولياء (٢٣٩/١).

الفضيلة الثالثة عشر: الصوم في الشتاء الغنيمة الباردة

- قال رسول الله ﷺ: «الصوم في الشتاء الغنيمة الباردة»[١].
- قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ـ «الشتاء غنيمة العابدين»[٢].
- قال الحسن البصري ـ رحمه الله ـ: «نعم زمان المؤمن الشتاء، ليله طويل يقومه، ونهاره قصير يصومه».
- وقال قتادة ـ رحمه الله ـ إن الملائكة تفرح بالشتاء للمؤمن يقصر النهار فيصومه، ويطول الليل فيقومه.
- وكان عبيد بن عمير الليثي إذا جاء الشتاء يقول: «يا أهل القرآن، قد طال الليل لصلاتكم، وقصر النهار لصومكم».

---

(١) حسن: رواه أحمد في مسنده، وأبو يعلى في مسنده، والبيهقي في السنن الكبرى عن عامر بن مسعود ورواه الطبراني في (الأوسط) وابن عدي في (الكامل) والبيهقي في (شعب الإيمان) عن أنس، وابن عدي والبيهقي في (شعب الإيمان) عن جابر، ورواه ابن أبي شيبة، والضياء عن عامر، وأشار السيوطي إلى حسنه، وحسنه الألباني في (صحيح الجامع) رقم (٣٨٩٨). وصح وقفه على أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ كما في (زوائد الزهد) لعبد الله بن أحمد وعنه أبو نعيم في الحلية وإسناده صحيح على شرط الشيخين، وقال البيهقي: هذا موقوف وقال السخاوي: (هو اصح).

(٢) موقوف على عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو صحيح، رواه أحمد في الزهد، وابن أبي شيبة، وأبو نعيم في الحلية عن أبي عثمان النهدي عن عمر، وإسناده صحيح على شرطهما.

فيا أخي الكريم: الشتاء ربيع المؤمن.

قال ابن رجب: «لأنه يرتع فيه في بساتين الطاعات، ويسرح في ميادين العبادات، وينزه قلبه في رياض الأعمال الميسرة فيه، كما ترتع البهائم في مرعى الربيع، فتسمن وتصلح أجسادها فكذلك يصلح دين المؤمن في الشتاء بما يسر الله فيه من الطاعات فإن المؤمن يقدر في الشتاء على صيام نهاره من غير مشقة ولا كلفة، تحصل له من جوع ولا عطش فإن نهاره قصير بارد فلا يحس فيه بمشقة الصيام»[١].

الفضيلة الرابعة عشر: الصيام شعار الأبرار

● عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «جعل الله عليكم صلاة قوم أبرار يقومون الليل ويصومون النهار، ليسوا بأئمة ولا فجار[٢]».

قال المناوي (٣/٣٤٨): «والظاهر أن المراد بالصلاة هنا الدعاء من قبيل دعائه لقوم أفطر عندهم قوله: صلت عليكم الملائكة».

فانظر إلى شعار الأبرار كما وصفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: قيامهم بالليل وصيامهم بالنهار، والأبرار سادات المتقين.

---

(١) لطائف المعارف (٣٤١).

(٢) صحيح: رواه عبد بن حميد، والضياء، وصححه الألباني في (صحيح الجامع) رقم (٣٠٩٧) و (الصحيحة) (١٨١٠).

الفضيلة الخامسة عشر: الصوم طريق لشكر المنعم على نعمه

● قال عز الدين بن عبد السلام: «وأما شكر عالم الخفيات: إذا صام عرف نعمة الله عليه في الشبع والري، فشكرها لذلك، فإن النعم لا تعرف مقدارها إلا بفقدها»[١].

● وقال العسقلاني وهو يتحدث عن مقاصد الصوم وفضائله: «تكثيره لشكر النعم واعترافه بما سبق له من نعمة الشبع عند جوعه، وعطشه، فيجتهد في الشكر، فإن الشيء إنما يعرف ما كان عليه بضده[٢]».



(١) فوائد الصوم (ص ٢٥).

(٢) مدارك المرام في مسالك الصيام (ص ٧٦).

الفضيلة السادسة عشر
الصوم طريق لتكثير الصدقات والإحسان إلى ذوي الحاجات

● قال عز الدين بن عبد السلام: «وأما تكثير الصدقات، فلأن الصائم إذا جاع تذكر ما عنده من الجوع، فيحثه ذلك على إطعام الجائع (فإنما يرحم العشاق من عشقا) وقد بلغنا أن سليمان أو يوسف عليهما السلام لا يأكل حتى يأكل جميع المتعلقين به، فسئل عن ذلك؟ فقال: أخاف أن أشبع فأنسى الجائع»[١].

● قال القسطلاني: «إعانته على بذل الصدقات، فإن الصائم يجوع، فيعرف قدر ألم الجوع، فيحرضه ذلك حرصه في الإحسان إلى الجياع، ويحمله على تدبر ما هم فيه من ضرر العجز والانقطاع، وإنما يجد ذوق التعب من ناوله، ويعرف قدر الضرر من واصله، وفي مثل ذلك قيل:

لا يعرف الشوق إلا من يكابده ولا الصبابة إلا من يعانيها[٢]

● قال القارى: في «مرقاة المفاتيح»:

«ومنها كونه - أي الصيام - موجبا للرحمة والعطف على المساكين فإنه لما ذاق ألم الجوع في بعض الأوقات ذكر من هذا حاله في عموم الساعات فتسارع إلى الرقة عليه، والرحمة حقيقتها في حق الإنسان نوع ألم باطن

---

(١) فوائد الصوم (ص ٢٥).

(٢) مدارك المرام في مسالك الصيام (ص: ٧٧ - ٧٨).

فيسارع لدفعه عنه بالإحسان إليه، فينال بذلك ما عند الله من حسن الجزاء ومنها موافقة الفقراء بتحمل ما يتحملون أحيانا وفي ذلك رفع حاله عند الله، كما حكى عن بشر الحافي أنه دخل عليه رجل في الشتاء فوجده جالسا يرعد وثوبه معلق على المشجب، فقال له: في مثل هذا الوقت تنزع الثوب أو معناه، فقال: يا أخي الفقراء كثير وليس لي طاقة مواساتهم بالثياب، فأواسيهم بتحمل البرد كما يتحملون»[١].

ولهذا كان يقول بعض الأولياء العارفين عند كل أكلة: «اللهم لا تؤاخذني بحق الجائعين»، وقد ورد عن سيدنا يوسف عليه السلام ما كان يشبع من الطعام في سنة القحط مع كثرة المأكول عنده في ذلك العام، لئلا ينسى أهل الجوع والفاقة وليتشبه بهم في الخاصة والحاجة»[٢].

قال أحمد شوقي أمير الشعراء وشاعر الأمراء: «الصوم حرمان مشروع وتأديب بالجوع، وخشوع لله وخضوع، لكل فريضة حكمة، وهذا الحكم ظاهره العذاب، وباطنه فيه الرحمة، يستثير الشفقة، ويحض

---

(١) قلت: ومثل هذه الأقوال والأفعال والأحوال مردودة غير مقبولة، لأن الشارع الحكيم لم يكلف العباد فوق طاقتهم، ولذا فإنه سبحانه لا يحاسبهم على ما لم يكلفهم به، وكذلك نهى الشارع أيضا أن ينزل الإنسان بنفسه الضرر، فإن ما فعله بشر الحافي ـ رحمه الله ـ أضر بنفسه لتعرضه للبرد، وهل جلوسه بهذا الشكل صرف عن الفقراء حاجتهم! ومن قال أن هذه مواساة!.

(٢) مرقاة المفاتيح (٤/٢٢٩).

على الصدقة ويسن خلال البر، حتى إذا جاع من ألف الشبع، عرف المترف أسباب المتع، عرف الحرمان كيف يقع، وألم الجوع إذا لذع»[١].

وهناك فضائل أخرى للصوم لكن نكتفي بما ذكرناه فما ذكرناه كفاية لمن أراد الهداية. وبالله التوفيق.

* ثمرات الصيام

أما ثمرات الصيام فكثيرة ومتنوعة فمنها:

١- صحة الأبدان.

٢- سلامة الأذهان وتصحيح أفكارها، فإن الحرارة الغريزية يثيرها الجوع والعطش، فيقوى إدراكها لفهم المعاني ويكثر تدبرها لما من الأعمال الصالحة تعاني.

٣- نهضة القوة الحافظة وتقليل نسيانها، فإن كثرة الأكل تكثر الرطوبة في الجسد، وتوجب البلادة في الطبع.

٤- خفة حركة الأعضاء للطاعات، فإن الشبع يرخي الجسد، ويقتضي التثاقل عن العبادة والإبطاء عن الإجابة إليها.

٥- خذلان أعوان الشيطان ونصر أجناد الرحمن.

٦- رقة القلب وغزارة الدمع.

---

(١) نقلاً من «نداء الريان للعفاني» (١/ ٦٤).

٧- إجابة الدعاء، وذلك من علامة اللطف والاعتناء.

٨- صيانة جوارحه عن استرسالها في المخالفات.

٩- المباهاة به يوم القيامة.

١٠- اختصاصه بالدخول إلى الجنة من باب الريان[١] .

* رؤيـــة الهـــلال

قال تعالى: ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ [البقرة:١٨٥].

والمعنى: من شهد استهلال الشهر أي كان مقيما في البلد حين دخل الشهر وهو صحيح في بدنه أن يصوم، ويكون المراد بالشهر هنا الهلال، لأن الشهر نفسه لا يرى وإنما يرى هلاله.

وهذه الآية - كما هو ظاهر - توجب صيام رمضان من أوله إلى آخره، ومعرفة أوله إلى آخره تتم بأحد أمرين:

الأول:

رؤية هلال شهر رمضان أو شوال، فمتى ثبتت رؤية هلال شهر رمضان وجب الصيام ومتى ثبتت رؤية هلال شوال وجب الفطر، سواء رآه بنفسه أو رآه غيره وصدق خبره، ودليل ذلك:

---

(١) مدارك المرام في مسالك الصيام (٧٨ - ٨١). بتصرف.

بالإضافة إلى الآية المتقدمة بإيجاب الصوم لرؤية الهلال، ما رواه ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال: «لا تصوموا حتى تروا الهلال، ولا تفطروا حتى تروه، فإن غنم عليكم فاقدروا له..» (١).

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته فإن غمي عليكم فاكملوا عدة شعبان ثلاثين» (٢).

وعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال: «الشهر تسع وعشرون ليلة، فلا تصوموا حتى تروه، فإن غم عليكم فاكملوا العدة ثلاثين» (٣).

وعن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا رأيتم الهلال فصوموا وإذا رأيتموه فأفطروا فإن غم عليكم فعدوا ثلاثين يوما» (٤).

بهذه الأدلة وغيرها ـ كثير ـ يتضح أن الشارع علق حكم دخول شهر رمضان بأمر محسوس للناس يسير عليهم ليس فيه مشقة ولا كلفة بل يرون القمر بأعينهم، وهذا من تمام نعمة الله على عباده.

* كيفية رؤية الهلال:

اختلف أهل العلم في طريق إثبات هلال رمضان وشوال على أقوال ثلاثة:

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٤/١١٩)، ومسلم (١٠٨٠).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٤/١٩٩)، ومسلم (١٠٨١).

(٣) صحيح: رواه البخاري (٤/١١٩)، ومسلم (١٠٨٠).

(٤) حسن: رواه أحمد في المسند (٣/٣٢٩)، وأبو يعلى (٤/١٧١)، والبيهقي (٤/٢٠٦).

- قيل لا بد من رؤية جمع عظيم.
- وقيل تكفي رؤية مسلمين عدلين.
- وقيل تكفي رؤية رجل عدل واحد[١] .

والذي تميل إليه النفس أنه يكفي لرؤية الهلال شاهد واحد عدل مسلم[٢] .

فعن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: «تراءى الناس الهلال فأخبرت رسول الله ﷺ أني رأيته فصام وأمر الناس بصيامه»[٣] .

قلت: والشاهد في ذلك أن النبي ﷺ أقر شهادة ابن عمر رضي الله عنهما ولم يلزمه بأن يأتي بشاهد آخر أو أكثر.

وكذلك ما روى عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن أعرابيا رأى الهلال فأخبر النبي ﷺ بذلك، فصام وأمر الناس بالصيام أو جعل بلالا يؤذن في الناس بالصيام[٤] ولم يطلب من الأعرابي أن يأتي بشاهد آخر معه.

الثاني:

يثبت دخول شهر رمضان إتمام شعبان ثلاثين يوما، كما يثبت خروج رمضان بإكماله ثلاثين يوما وهذا في حالة عدم رؤية الهلال في دخول

---

(١) انظر تفصيل ذلك في كتب الفقه.

(٢) اتفق الشافعية والحنابلة على ذلك ولكن اختلفوا هل يكون ذكر أو أنثى، فالشافعية تقول بأن يكون ذكرا، والحنابلة لا تفرق بين الذكر والأنثى.

(٣) صحيح: رواه الدارمي (٢/٤) وابن حبان (٨٧١) والدارقطني (٢/١٥٦)، والبيهقي (٤/٢١٢) والحاكم (١/٤٢٣) وصححه ابن حزم (٦/٢٣٦) وأقره الحافظ في التلخيص (٢/١٨٧) وقال النووي في المجموع: صحيح (٦/٢٧٦).

(٤) رواه الحاكم وابن حبان وصححاه.

رمضان وخروجه، يدل ذلك ما رواه أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غمى عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين[1]».

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ تقول: كان رسول الله ﷺ «يتحفظ من شعبان ما لا يتحفظ من غيره ثم يصوم لرؤية رمضان فإن غم عليه عد ثلاثين يوما ثم صام»[2].

* مفسدات الصوم (المفطرات)

قلنا بأن الصوم: هو التعبد لله بالامتناع ـ أي الإمساك ـ عن المفطرات من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس مع النية.

وهذه المفطرات هي:

١ - الأكل.   ٢ - الشرب.

---

(١) صحيح: متفق عليه وقد تقدم.

(٢) صحيح: رواه أحمد (٦/١٤٩) وابن خزيمة (٣/٢٠٣) وابن حبان (٨٦٩) والحاكم (١/٤٢٣)، والبيهقي (٤/٢٠٦)، وابن الجارود رقم (٣٧٧) والدارقطني (٢/١٥٦ - ١٥٧) قال الدارقطني: هذا إسناد حسن صحيح، وقال الحافظ في التلخيص (٢/١٩٨): وإسناده صحيح، وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

قلت: كلا بل هو على شرط مسلم وحده لأن في السند كل من: معاوية بن صالح، وعبد الله بن أبي قيس لم يخرج لهما البخاري. والله أعلم.

٣- الجماع. ٤- إنزال المني.

٥- ما كان في معنى الأكل والشرب (كالحقن الغذائية).

٦- القيء عمدا. ٧- الحجامة.

٨- خروج دم الحيض والنفاس.

وإليك الإيضاح بشيء من التفصيل:

(١ , ٢) الأكل والشرب متعمدا.

وهو إيصال الطعام أو الشراب إلى الجوف من طريق الفم أو الأنف أيا كان نوع المأكول أو المشروب لقوله تعالى: ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ﴾ [البقرة:١٨٧].

فأباح الله جل وعلا الأكل والشرب إلى طلوع الفجر الصادق (الثاني) ثم أمر بإتمام الصيام إلى الليل، وهذا معناه ترك الأكل والشرب في هذه الفترة ما بين طلوع الفجر إلى الليل.

ويدخل في ذلك السعوط في الأنف وكذا إيصال كل شيء مائع أو جامد عن طريق الأنف والعين أو الأذن شريطة وصوله للجوف[١].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «... ومعلوم أن النص والإجماع أثبتا الفطر بالأكل والشرب والجماع والحيض..»[٢].

---

(١) المجموع (٣١٣/٦)، كشاف القناع (٣١٧/٢).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٤٤/٢٥).

٣- ما كان بمعنى الأكل والشرب (كالحقن الغذائية).

كل ما كان بمعنى الأكل والشرب كحقن الدم التي يأخذها الصائم بحيث يستغنى به عن الأكل والشرب، وكالإبر المغذية التي تقوم مقام الأكل والشرب، فمتى حقن الصائم في دمه لحاجة ضرورية كحصول نزيف أو أعطى إبرا مغذية فإنه يفطر ويقضي ذلك اليوم، وقد أبيح له الفطر للضرورة وألزم القضاء لأن ما أفطر به يقوم مقام الأكل والشرب.

أما الإبر الأخرى غير المغذية فإنها لا تفطر وإن أخذها في أي مكان في الجسم وعلى أي كيفية، ما لم تصل إلى جوفه كما سبق بيانه.

يقول الشيخ محمد بن إبراهيم - رحمه الله - «.. والذي يظهر لنا أن إبرة الوريد تفسد الصوم لتحقيق دخول مادتها إلى مستعملها، وقد صرح الفقهاء - رحمهم الله - بفساد صيام من أدخل إلى جوفه شيئا من أي موضع كان...»[(١)].

٤- الجماع:

قال تعالى: ﴿ فَٱلْـَٰٔنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ الأسود مِنَ ٱلْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ﴾ [سورة البقرة:الآية ١٨٧].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فأذن في المباشرة فعقل من ذلك أن المراد الصيام عن المباشرة والأكل والشرب ولما قال أولا: ﴿كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم﴾ كان معقولا عندهم أن الصيام هو الإمساك عن الأكل والشرب والجماع»[(٢)].

---

(١) فتاوى ورسائل محمد بن إبراهيم (٤/ ١٨٩).

(٢) حقيقة الصيام (ص ١١).

فمتـى جـامع الصـائم في نـهار رمضـان بطـل صيامـه وعليـه التوبـة والاستغفار وقضاء اليوم الذي جامع فيه، وعليه مع القضاء الكفارة وهي عتق رقبة، فإن لم يجد صام شهرين متتابعين، فإن لم يستطع صيام شهرين متتـابعين أطعـم سـتين مسـكينا لكـل مسـكين مـد بر من النوع الجيد وهـو يزن (٥، ٥٦٢) جراما[1]. أو من غير البر من غالب قوت البلد.

ولا يتحـول مـن الصيام إلى الإطعـام إلا إذا لم يقـدر علـى الصيـام لمانع صحيح، كأن يكون به مرض أو يخشى حدوث المرض بـالصوم، أما ما تلحقه المشقة المحتملة بالصوم فليس ذلك مسوغا له للانتقال إلى الإطعام.

ولا بد أن يكون الصيام متتابعا لا يفطر فيـه إلا لعـذر شرعي كأيـام العيدين، والتشريق وأيام الحيض والنفاس للمرأة، أو لعذر حسي كالمرض والسفر لغير قصد الفطر.

فإن أفطر لغير عذر ولو يوما واحدا لزمه استئناف الصيام من جديد ليحصل التتابع.

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: «بينما نحن جلوس عند النبي ﷺ إذ جـاءه رجـل فقـال: يـا رسـول الله! هلكـت، قـال: «مـالك؟» قـال: وقعـت علـى امرأتـي وأنـا صـائم، فقـال رسـول الله ﷺ: «هـل تجـد رقبـة تعتقه؟» قال: لا: قال: «فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟» قال: لا، قال: «فهل تجد إطعام ستين مسكينا؟» قال: لا، قال: فمكـث النبي ﷺ فبينما نحن على ذلك أتى النبي بعرق فيها تمر، والعرق والمكتـل، قـال: أين السائل؟ فقال: أنا، قال: «خذ هذا فتصدق بـه» فقـال الرجـل: علـى

---

(١) المد يساوي $\frac{١}{٤}$ الصاع، والصاع = $٢ \frac{١}{٤}$ كيلو جرام، إذ يكون المد = $\frac{٢٢٥٠}{٤}$ = $٥٦٢ \frac{١}{٢}$ جرام.

أفقر مني يا رسول الله؟ فو الله ما بين لابتيها - يريد الحرتين - أهل بيت أفقر من أهل بيتي، فضحك النبي ﷺ حتى بدت أنيابه ثم قال: «أطعمه أهلك»[١].

وفي رواية: «صم يوما واستغفر الله»[٢].

قال ابن قدامة - رحمه الله -: (مسألة) قال: (ومن جامع في الفرج فأنزل أو لم ينزل أو دون الفرج فأنزل عامدا أو ساهيا فعليه القضاء والكفارة إذا كان في شهر رمضان).

لا نعلم خلافا بين أهل العلم في أن من جامع في الفرج فأنزل أو لم ينزل أو دون الفرج فأنزل أنه يفسد صومه، وقد دلت الأخبار الصحيحة على ذلك[٣].

قلت: وفي الحديث المتقدم مسائل:

*الأولى: أن الجماع في نهار رمضان من الفواحش المهلكات لأن النبي ﷺ أقر الرجل على قوله: هلكت.

*الثانية: من جامع زوجته في نهار رمضان وهو مقيم متعمدا لزمه أمور:

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٤/١٦٣)، ومسلم (١١١)، والترمذي (٧٢٤)، وأبو داود (٧/٢٠)، وابن ماجة (١٦٧١)، وأحمد (٢/٢٠٨)، والدارقطني (٢/١٩٠، ١٩١) والبيهقي (٤/٢٢١، ٢٢٢).

(٢) هذه الرواية رواها أبو داود من طريق هشام بن سعد وهو صدوق له أوهام غير أن له متابعات، وعلى العموم فهذه الرواية صحيحة بمجموع الطرق انظر كلام الحافظ في الفتح (٤/١٧٢)، وصححها الشيخ الألباني في تحقيقه على كتاب حقيقة الصيام لشيخ الإسلام ابن تيمية.

(٣) المغني (٤/٣٧٢)، والهداية للمرغيناني (١/١٢٢)، روضة الطالبين (٢/٣٥٦)، مواهب الجليل (٢/٤٣٣)، والفروق للقرافي (٢/٩٢).

١- الكفارة: وهي على الترتيب عتق رقبة فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين لا يفطر بينهما إلا لمرض أو سفر أو لأي عذر شرعي يقتضي الفطر أو إطعام ستين مسكيناً من غالب قوت البلد.

٢- يمسك بقية يومه لأنه أفطر بغير عذر شرعي فلم يكن لفطره معنى.

٣- يقضي يوماً مكان هذا اليوم لقوله ﷺ: «واقض يوماً مكانه[١]».

٤- يلزمه التوبة والاستغفار لقوله ﷺ: «صم يوماً واستغفر الله».

وبقولنا وهو مقيم: فخرج المسافر، فالمسافر يجوز له أن يجامع أهله ولو كان صائماً، لأن الصوم في حقه حينئذ لم يكن واجباً، وكذلك في حق أهله.

❋ الثالثة: اختلف العلماء فيمن جامع أهله ناسياً في نهار رمضان على قولين:

أصحهما أنه لا يبطل صومه وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم، ودليل هذا القول:

١- ما رواه الحاكم (١/ ٤٣٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أفطر في رمضان ناسياً فلا قضاء عليه ولا كفارة».

قال الحافظ ابن حجر: وهو صحيح ولفظ الإفطار في هذا الحديث عام في الجماع وغيره.

---

(١) جزء من حديث صحيح.

٢- قوله تعالى: ﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾ وقولهﷺ «عفى عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه»[١].

٥- إنزال المني باختياره:

إذا أنزل الصائم المني باختياره بتقبيل أو ضم أو لمس أو استمناء ـ العادة السرية ـ أو غير ذلك، فسد صومه، لأن هذا من الشهوة التي تتنافى مع الصوم، وقد أمر الصائم باجتنابها كما جاء في الحديث القدسي «يدع طعامه وشرابه وشهوته من أجلي»[٢]. ولكن عليه القضاء فقط دون الكفارة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما من استمنى فأنزل فإنه يفطر»[٣].

أما من قبل أو لمس دون إنزال لم يفطر، لكن إن كان الصائم يخشى على نفسه من الإنزال لو قبل أو يخشى أن يتدرج من القبلة إلى الجماع لعدم استطاعته كبح شهوته لم يجز له التقبيل سدا للذريعة، وصونا لصيامه من الفساد.

أما الإنزال باحتلام أو بتفكير مجرد من العمل فلا يفطر، لأن الاحتلام بغير اختياره والتفكير معفو عنه إن شاء الله[٤].

---

(١) حسن: رواه ابن ماجة (٢٠٤٥)، وابن حبان (١٤٩٨) والحاكم (٩٨/٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وله طرق أخرى، راجع التلخيص الحبير (١/ ٢٨١ - ٢٨٣).

(٢) صحيح: متفق عليه.

(٣) حقيقة الصيام (٢٣).

(٤) انظر: فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم (٤/ ١٩٠ - ١٩١).

٦- القيء عمدا:

وهو استخراج ما في المعدة من طعام أو شراب عن طريق الفم عمدا.

ويفطر بالتقيؤ عمدا سواء كان بالفعل كعصر بطنه أو بالشم كأن يشم شيئا له رائحة كريهة نفاذة ليقيء بها، أو بالنظر، كأن يتعمد النظر إلى شيء قبيح ليقيء به، وعليه في كل ذلك القضاء، أما إذا غلبه القيء وخرج منه دون اختياره فإنه لا يؤثر على صيامه.

● عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من ذرعه القيء وهو صائم فليس عليه قضاء، وإن استقاء فليقض[1]».

وقوله: «وإن استقاء فليقض» أي تقيء عمدا وبإرادته، فسد صومه وعليه قضاء يوم.

● عن معدان بن طلحة أن أبا الدرداء حدثه أن رسول الله ﷺ قاء فأفطر، فلقيت ثوبان مولى رسول الله ﷺ في مسجد دمشق فقلت له: إن

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٢/٤٩٨)، الترمذي رقم (٧٢٠)، أبو داود (٦/٧)، وابن ماجة (١٦٧٦) وابن حبان (٩٠٧) موارد، والدارقطني (٢/٨٤)، والحاكم (١/٤٢٧)، والبيهقي (٤/٢١٩)، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، وصححه ابن خزيمة (٣/٢٢٦)، وقال الدارقطني: (رواته كلهم ثقات)، وأشار شيخ الإسلام ابن تيمية إلى صحة هذا الحديث في كتابه (حقيقة الصيام) (ص ١٤).

أبا الدرداء حدثني أن رسول الله ﷺ قاء فأفطر، قال: صدق، وأنا صببت عليه وضوءه»[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «... كما أنه بأي وجه أخرج القيء أفطر سواء جذب القيء بإدخال يده أو بشم ما يقيئه، أو وضع يده تحت بطنه واستخرج القيء فتلك طرق لإخراج القيء...»[٢].

وقال الحافظ في الفتح: «... أما القيء فذهب الجمهور إلى التفرقة بين من سبقه فلا يفطر وبين من تعمده فيفطر، ونقل ابن المنذر الإجماع على بطلان الصوم بتعمد القيء...»[٣].

٧- الحجامة:

الحجامة هي شرط ظاهر الجلد المتصل قصدا لإخراج الدم من الجسد دون العروق فمتى تم استخراج الدم من الصائم بحجامة أو فصد أو سحب للتبرع به لإنقاذ مريض محتاج للدم، فإنه يفطر والأصل في ذلك

---

(١) صحيح: رواه الترمذي رقم (٨٧)، وأبو داود (٨/٧)، والدارمي (٣٤٦/١)، وأحمد (١٩٥/٥)، والطيالسي رقم (٩٩٣)، والدارقطني (٥٨/١)، والحاكم (٤٢٦/١)، والبيهقي (١٤٤/١، ٢٢٠/٤)، وقال الترمذي: هو اصح حديث في هذا الباب، وقال ابن منده كما في تلخيص الحبير (١٩٠/٢): إسناده صحيح متصل، وتركه الشيخان لاختلاف في إسناده، وقال الشيخ المحدث مقبل بن هادي الوادعي ـ حفظه الله ـ: هذا حديث صحيح، وأما ما ورد في بعض ألفاظه: (قاء فأفطر فتوضأ) فلفظه (فتوضأ) غير محفوظة.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٥٧/٢٥).

(٣) فتح الباري (١٧٤/٤).

ما رواه ثوبان مولى النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أفطر الحاجم والمحجوم»[١].

وقد وردت أحاديث كثيرة مؤداها التفطير بالحجامة[٢] وعليه فلا يجوز للصائم صوما واجبا أن يتبرع بإخراج دمه إلا في حالة الضرورة القصوى، بشرط ألا يتضرر المتبرع ويفطر بذلك اليوم ويقضي[٣].

وأما خروج الدم بغير قصد من الصائم كالرعاف، ودم الجراحة وخلع الضرس ونحوه مما يؤثر في الصائم فلا يفطر به، لأنه ليس بمعنى الحجامة، ثم إن الصائم معذور في هذه الحالات لأنه محتاج لذلك حاجة ملحة.

---

(١) صحيح رواه أبو داود (٦/٤٩٣) وابن ماجة (١/٥١٥)، والدارمي (١/٣٤٧)، وابن الجارود رقم (٣٨٦) وأحمد (٥/٢٧٧)، وصححه ابن خزيمة (٣/٢٢٦)، وابن حبان (٨٩٩). قال ابن المديني: حديث ثوبان صحيح. وقال النووي في المجموع (٦/٣٥٠) (إسناد أبي داود صحيح على شرط مسلم) وقال علامة اليمن (الوادعي) هذا حديث حسن رواه أبو أسماء الرحبي اسمه عمرو بن مرثد روى عنه جماعة ولم يوثقه معتبر.

قلت: قد تابعه عبد الرحمن بن غنم كما عند الإمام أحمد (٥/٢٧٦)، وهذا الحديث قد ورد عن جمع من الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ منهم شداد بن أوس، ورافع بن خديج وأبو موسى الأشعري، وقد ذكر طرق هذا الحديث الشيخ العلامة محدث العصر الألباني في الأرواء.

قلت: وانظر تفسير قوله: أفطر الحاجم والمحجوم في عون المعبود.

(٢) قلت: وقد اختلف العلماء في هذه المسألة اختلافا كبيرا، ولا يتسع المقام لبسط هذا الخلاف وعرض قول كل فريق، لكن ما ذكرناه هو الراجح إن شاء الله.

(٣) قال ابن قاسم ـ رحمه الله ـ (... ولا يفطر إلا بشرط أن يكون عامدا ذاكرا لصومه قاصدا للفعل ويجب القضاء إن كان الصوم واجبا) حاشية الروض المربع (٣/٣٩٨).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «... وقد بينا أن الفطر بالحجامة على وفق الأصول والقياس، وأنه من جنس الفطر بدم الحيض والاستقاءة، وبالاستمناء، وإذا كان كذلك فبأي وجه أراد إخراج الدم أفطر...»[1].

٨- خروج دم الحيض والنفاس:

إذا حاضت المرأة أو نفست فسد صومها، سواء كان ذلك في أول النهار من رمضان أو في آخره ولو قبل المغرب بقليل، فإنها تفطر وتقضي الأيام التي أفطرت.

ويدل على ذلك ما رواه أبو سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال النبي ﷺ « .. أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم، فذلك نقصان دينها...»[2].

وما روته عائشة رضي الله عنها وفيه: «... كنا نحيض على عهد رسول الله ﷺ فنؤمر بقضاء الصوم، ولا نؤمر بقضاء الصلاة...»[3].

الترهيب لمن أفطر في رمضان من غير عذر شرعي

أخي الكريم مر بك فضل شهر رمضان وكذلك فضائل الصيام وما في ذلك من الأجر العظيم والخير العميم، لذا كان الترهيب شديد والتحذير رهيب لمن أفطر في رمضان من غير عذر شرعي.

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٥/٢٥٧).

(٢) صحيح: رواه البخاري ومسلم.

(٣) صحيح: رواه البخاري (١/٤٢٠) فتح.

عن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بينما أنا نائم أتاني رجلان فأخذا بضبعي ـ أي عضدي ـ فأتيا بي جبلا وعرا فقالا: اصعد، فقلت: إني لا أطيق، فقال: سنسهله لك فصعدت حتى إذا كنت في سواد الجبل، إذا بأصوات شديدة، قلت: ما هذه الأصوات؟ قالوا: هذا عواء أهل النار، ثم انطلقا بي، فإذا أنا بقوم معلقين بعراقيبهم مشققة أشداقهم، تسيل أشداقهم دما، قلت: من هؤلاء؟ قال: الذين يفطرون قبل تحلة صومهم ـ أي قبل وقت الإفطار...(١) ».

فيا أخي الحبيب:

هذه صورة بشعة لعذاب أولئك الذين ينتهكون حرمة شهر رمضان ويستهزؤن بهذه الشعيرة الطاهرة فيفطرون جهارا نهارا، إنهم سيعلقون من مؤخرة أقدامهم كما تعلق الدابة الذبيحة، تكون الأرجل هي العلوية والرأس أسفل، وأضف إلى ذلك تشقيق أشداقهم، ويسيل منها الدم(٢).

(١) صحيح: رواه النسائي كما في تحفة الأشراف (٤/١٦٦)، وابن خزيمة (١٩٨٦)، وابن حبان (٧٤٤٨) والحاكم (١/٤٣٠) وصححه ووافقه الذهبي. (أشداقهم) جمع شدق وهو ملتقى الشفتين، ولكل إنسان شدقان.

(٢) قلت: وهذا التعذيب بهذه الصورة البشعة مناسبا لمن أرتكب هذا الذنب العظيم، فالتعليق من العراقيب على شكل الذبيحة مدعاة لنزول الطعام وتقيؤه، وكذلك تشقيق الأشداق وإسالة الدم منها، فهذا الفم الذي عصي به الله بأكل الطعام في نهار رمضان كان هو محل العذاب بهذه الصورة ونظير ذلك في الكتاب والسنة كثير، انظر على سبيل المثال حديث الإسراء والمعراج الطويل. هذا والله أعلم.

إنها حقا صورة بشعة مروعة تزجر من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شديه، فهل يعتبر الظالمون لأنفسهم المنتهكون حرمة الشهر المبارك، الذين لم يراعوا للزمن حرمة ولا لخالقهم حقا وهدموا الركن الرابع من أركان الإسلام، غير مبالين بالغاية العظمى من خلقهم قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ ﴾ [سورة الذاريات:الآية ٥٦].

فيا أخي الكريم حذار أن تكون من هؤلاء الصنف فيصيبك ما أصابهم ومن كان متلبس بهذه الكبيرة فليتب إلى الله جل وعلا قبل أن يفاجئه الأجل ويكون مصيره هذا المصير الأليم.

ذكر أهل العلم أن من أفطر في رمضان من غير عذر شرعي فقد ارتكب كبيرة من كبائر الذنوب.

قال الذهبي - رحمه الله -: «ومن الكبائر إفطار رمضان بلا عذر ولا رخصة وهي العاشرة - أي الكبيرة العاشرة»[(١)] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «.. وإذا كان المتقيىء معذورا كان ما فعله جائزا، وصار من جملة المرضى الذين يقضون ولم يكن من أهل الكبائر الذين أفطروا بغير عذر...»[(٢)] .

وإذا ثبت فطر أحد في نهار رمضان من غير عذر وجب على ولي الأمر أو من ينوب عنه أن يعزره، حسب ما يؤديه إليه اجتهاده، والتعزير يكون

(١) الكبائر (ص ٣٥).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٥/٢٢٥).

بالسجن والجلد، أو غيرها من أساليب الردع والتأديب، لكن ينبغي أن تكون العقوبة رادعة له لئلا يتكرر ذلك منه مرة أخرى أو يقتدي به غيره.

قال: القفال: «... ومن أفطر في رمضان بغير جماع من غير عذر وجب عليه القضاء، وإمساك بقية نهاره ولا كفارة عليه، ويعزره السلطان، وبه قال أحمد وداود...»[١].

وقد نقل الجزائري عن الذهبي قوله: «... من المقرر عند المؤمنين أن من ترك صوم رمضان بلا مرض ولا عذر أنه أشر من الزاني، ومن مدمن الخمر، بل يشكون في إسلامه ويظنون به الزندقة والانحلال...»[٢].

إن الذين يجاهرون بإفطارهم وهم في أكمل صحة وأتم عافية، وليس لهم عذر يبيح لهم الفطر، أناس قد فقدوا الحياء من الله والخوف منه، وعدم المبالاة بمشاعر الآخرين، ملأ الجحود عليهم العقول والأفئدة، وران على قلوبهم مس من الشيطان والآثام، وما دروا أنهم بإفطارهم هدموا ركنا من أركان الدين عظيم، وكانوا فسقة ناقصي الإيمان ساقطي القدر ينظر إليهم المسلمون بعين الاحتقار، وأنهم من أصحاب المعاصي والكبائر، ويوم القيامة تنتظرهم عقوبة العزيز الجبار، نسأل الله العافية.

---

(١) حلية العلماء (٣/١٩٨).

(٢) رسالة الصيام (ص ٦٦).

الأشياء التي لا تفطر[1]

هناك أشياء إذا حدثت من الصائم خارجة عن إرادته فإنه لا يفطر بها منها:

١- من أكل أو شرب ناسيا.

إذا أكل المسلم الصائم أو شرب ناسيا فإن صومه صحيح ولا شيء عليه ولا يلزمه القضاء، بل عليه أن يمسك إذا تذكر سواء في أثناء الأكل والشرب أو بعد الانتهاء، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ [سورة البقرة:الآية ٢٨٦].

● وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من نسي وهو صائم فأكل أو شرب فليتم صومه فإنما أطعمه الله وسقاه»[2].

فأمر النبي ﷺ بإتمام الصيام دليل على صحته، ونسبة إطعام الناس وسقيه إلى الله دليل على عدم المؤاخذة عليه، لكن متى ذكر أو ذكر أمسك، ولفظ ما في فمه إن كان فيه شيء لزوال عذره حينئذ، ومن الأفضل ـ إن لم يتعين ـ على من رأى صائما يأكل أو يشرب في نهار رمضان أن يذكره وينبهه لقوله تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾ [سورة المائدة:الآية ٢].

---

(١) قلت: سيأتي في باب ما يباح للصائم فعله أشياء أخرى لا يفطر بها الصائم.

(٢) صحيح: رواه البخاري (٣/٤٠)، ومسلم (٣/١٦٠).

يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ «وكان من هديه إسقاط القضاء عمن أكل أو شرب ناسيا، وأن الله سبحانه هو الذي أطعمه وسقاه، فليس هذا الأكل والشرب يضاف إليه فيفطر به، وإنما يفطر بما فعله وهذا بمنزلة أكله وشربه في نومه، إذ لا تكليف بفعل النائم ولا بفعل الناسي[1]».

٢- من غلبه القيء وخرج بدون اختياره:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من ذرعه القيء وهو صائم فليس عليه قضاء، وإن استقاء فليقض»[2].

فقوله: «من ذرعه القيء» أي من غلبه القيء ولم يقدر عليه وخرج دون اختياره «فليس عليه قضاء» دليل على صحة الصوم، فإذا انتهى من قيئه فليتم صومه، ولا شيء عليه ـ والله أعلم.

٣- الاحتلام:

الاحتلام ليس من إدارة الشخص ولا اختياره، حيث لا تدخل له في ذلك فمن رأى أنه قد احتلم ورأى أثر ذلك فلا شيء عليه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ومن احتلم بغير اختياره كالنائم لم يفطر باتفاق الناس»[3].

---

(١) زاد المعاد (١/٣٣٨)، وانظر المبسوط (٣/٦٥)، والأم للإمام الشافعي (٢/٩٧).

(٢) صحيح: وقد تقدم قريبا.

(٣) حقيقة الصيام (ص ٢٣).

٤- الغيبة والنميمة والكذب والنظر بشهوة واليمين الكاذبة:

وهذه كلها ذنوب لا يجوز للصائم - وغيره - ارتكابها، ولكنها لا تبطل الصوم، ولا يُفطّر فاعلها، وإنما تنقص في أجره[1].

وأما حديث: «خمس خصال يفطرن الصائم وينقضن الوضوء» «الكذب، والنميمة، والنظرة بشهوة، واليمين الكاذبة» فهذا حديث موضوع كما بين ذلك محدث العصر العلاّمة الألباني - رحمه الله - في السلسلة رقم (١٧٠٨).



(١) سيأتي في باب ما يجب على الصائم تركه مزيد إيضاح لهذه الأشياء.



*** أول رمضان صامه المسلمون:**

يقال أن أول رمضان صامه المسلمون في التاريخ كان يوم الأحد ١ رمضان عام ٢ هجرية، الموافق ٢٦ فبراير عام ٦٢٤ ميلادية.

وقد فرض صيام شهر رمضان في شهر شعبان عام ٢ هجرية.

*** أول مدينة تطلق مدفع رمضان:**

تكاد تجمع المصادر على أن مدينة القاهرة بمصر كانت أول مدينة إسلامية أطلقت المدفع عند الغروب إيذاناً بالإفطار في شهر رمضان، وذلك عندما تم إطلاق مدفع الإفطار لأول مرة - عن طريق الصدفة البحتة - عند غروب أول يوم من شهر رمضان عام ٨٥٩ هجرية.

وقد حدث ذلك عندما أهدى إلى السلطان المملوكي (خوشقدم) مدفع فأراد أن يجربه للتأكد من صلاحيته، فصادف إطلاقه وقت المغرب بالضبط من أول يوم في رمضان ففرح الناس اعتقاداً أن هذا إشعار لهم بالإفطار وأن السلطان أطلق المدفع لتنبيههم إلى أن موعد الإفطار قد حان في هذه اللحظة. وذهبوا إلى القاضي في اليوم التالي لينقل شكرهم للسلطان وعندما علم السلطان بسعادتهم بذلك أمر بالاستمرار في ذلك وزاد على مدفع الإفطار مدفع السحور والإمساك.

*** أول من اتخذ الكنافة من العرب:**

يقول ابن فضل الله العمري: أن أول من اتخذ الكنافة من العرب معاوية بن أبي سفيان ـ رضي الله عنه ـ زمن ولايته الشام في عهد الخليفة عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ وكانت تقدم له في السحور، فمعاوية ـ رضي الله عنه ـ كان من الأكلة المشهورين، فشكا إلى طبيبه محمد بن أثال ما يلقاه من الجوع في صيامه، فوصف له الكنافة.

وقيل إنها أول ما صُنعت كانت لسليمان بن عبد الملك.

*** أول ما يحتاج إليه الجسم عند الإفطار:**

ثبت طبياً أن السكر والماء هما أول ما يحتاج إليه الجسم عند الإفطار، لأن نقص السكر في الجسم ينتج عنه أحياناً ضيق في الخلق أو اضطراب في الأعصاب، وأن نقص الماء يؤدي إلى إنهاك الجسم وهزاله، ومن هنا يتبين لنا مدلول السنة النبوية الكريمة بالإفطار على التمر والماء، وهما أول ما يفطر عليه الصائم.

*** أول مرة عُرف فيها فانوس رمضان:**

عُرف فانوس رمضان لأول مرة في أيام الفاطميين وارتبط الفانوس بشهر رمضان بداية من اليوم الخامس من شهر رمضان عام ٣٥٨هجرية.

وذلك عندما خرج أهالي القاهرة لاستقبال المعز لدين الله الفاطمي ليلاً حاملين المشاعل، والفوانيس مرددين الهتافات والأغاني.

ويعتبر أهل القاهرة هم أول من حمل الفانوس في رمضان[1].

---

(١) نقلاً من كتاب: رمضان في ذاكرة التاريخ وديوان الشعر (ص ١٩ - ٢١).

ما يجب على الصائم تركه

يجب على الصائم أن يتجنب كل ما حرمه الله ورسوله ﷺ، ولا يتم التقرب إلى الله بترك هذه الشهوات المباحة في غير حالة الصيام إلا بعد التقرب إليه بترك ما حرَّم في كل حال من الكذب والظلم والعدوان وقول الزور والبهتان والغيبة والنميمة والغش في المعاملات، والنيل من الناس في دمائهم وأموالهم وأعراضهم إلى غير ذلك من الأمور التي أمر الشارع باجتنابها.

قال بعض السلف: «أهون الصيام ترك الشراب والطعام».

وقال الشاعر:

إذا لم يكن في السمع مني تصاون ... وفي بصري غض وفي منطقي صمت
فحظي إذاً من صومي الجوع والظما ... فإن قلت إني صمت يومي فما صمت

فمن ارتكب المحرمات ثم تقرب إلى الله تعالى بترك المباحات كان بمثابة من يترك الفرائض ويتقرب بالنوافل، ومن الأشياء التي يجب على الصائم أن يتجنبها:

١- قول الزور:

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»[1].

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٤/١١٦). قال الحافظ في الفتح (٤/١١٧) قوله: (فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه): أما قوله: (فليس لله حاجة) فلا مفهوم له، فإن الله لا يحتاج إلى شيء، وإنما معناه فليس لله إرادة في صيامه، فوضع الحاجة موضع الإرادة.

وقوله: (في أن يدع طعامه وشرابه) قال ابن بطال: ليس معناه أن يؤمر بأن يدع صيامه وإنما معناه التحذير من قول الزور وما ذكر معه. والمراد بقول الزور: الكذب الجهل، والسفه، والعمل به: أي بمقتضاه) أ. هـ.

٢- اللغو والرفث:

واللغو: هو الكلام الباطل الذي لا خير فيه.

والرفث: هو الكلام القبيح المصرح به.

فقد نهى الشارع أن ينطلق الإنسان ويتكلم بالكلام الباطل الذي لا خير فيه ولا فائدة منه، وأن يكون مهذباً في ألفاظه، فلا يتكلم إلا بكل جميل ويتنزه عن كل قول قبيح، وهذا في حق الصائم أولى.

فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس الصيام من الأكل والشرب وإنما الصيام من اللغو والرفث، فإن سابك أحداً أو جهل عليك فلتقل إني صائم إني صائم»[1].

ولله در القائل:

وترك مقال الزور في الناس واجب ... ولكنه من صائم ذو تأكد

فإن شتموه فليقل: أنا صائم ... لتذكير نفس أو إلى دفع معتد

٣- الكذب:

يجب على الصائم أن يتجنب الكذب، لأنه مُحرَّم في كل وقت وحين، وفي وقت الصيام أشد تحريماً لحرمة الزمان، والكذب كبيرة من الكبائر تؤدي إلى النار.

قال صلى الله عليه وسلم: «.. إياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار، ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يُكتب عند الله كذاباً»[2].

---

(١) حسن: رواه ابن خزيمة (١٩٩٦)، والحاكم (١/٤٣٠ - ٤٣١) وقال صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

(٢) صحيح: رواه البخاري (٨/٣٠)، ومسلم (٨/٢٩).

٤- الغيبــة:

يجب على الصائم أن يتجنب الغيبة ويحذر من الوقوع فيها، وهي ذكر المسلم أخاه بما يكره في غيبته، سواء ذكره بما يكره في خلقته أو خلقه، وسواء كان فيه أو لم يكن، قال تعالى: ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ ﴾ [الحجرات:١٢].

أرأيت أخي الكريم: صورة أبشع من هذه الصورة، شخص يأكل لحم شخص ميت، ولكنها لا تُعمى الأبصار ولكن تُعمى القلوب التي في الصدور، والغيبة محرَّمة في كل حين ولكنها على الصائم أشد تحريماً لحرمة الزمان.

٥- النميمة:

يجب على الصائم أن يتجنب النميمة، وهي نقل المسلم كلام شخص في شخص إليه ليفسد بينهما.

والنميمة من كبائر الذنوب والمعاصي لأنها إفساد للفرد والمجتمع، قال تعالى: قال تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ۝ ﴾ [سورة القلم:الآيتان ١٠-١١].

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة نمام»[1].

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٢١/٨)، ومسلم (٧١/١).

٦- الغش في المعاملات:

يجب على الصائم أن يكون صادقاً في معاملاته واضحاً فيها، فعليه أن يتجنب الغش في جميع المعاملات من بيع وإجارة وصناعة وغيرها، فإن الغش من الكبائر التي نهى عنها الشرع وحذر منها.

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من غشنا فليس منا»[١].

ما يباح للصائم فعله

من رحمة الله بعباده، ورفعاً للحرج عن أمة حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم أباح الشارع للصائم فعل عدة أشياء منها:

١- الصائم يصبح جنباً:

من أدركه الفجر وهو جنب من أهله فيغتسل بعد الفجر ويصوم[٢].

وكذلك الحائض والنفساء إذا انقطع الدم من الليل جاز لهما تأخير الغسل إلى اصبح وأصبحتا صائمتين.

عن عائشة وأم سلمة ـ رضي الله عنهما ـ: «أن النبي ﷺ كان يدركه الفجر وهو جنب من أهله ثم يغتسل ويصوم»[٣].

٢- السواك للصائم:

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١/ ٦٩).

(٢) قلت: والمحتلم له نفس الحكم ـ والله أعلم.

(٣) صحيح: أخرجه البخاري ومسلم ومالك.

قال ﷺ: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة»[١]. وفي رواية «عند كل وضوء».

قال ابن حجر في الفتح: (١٨٨/٤): «يقتضي إباحته في كل وقت وعلى كل حال. وكان ابن عمر يستاك أول النهار وآخره».

وقال ابن سيرين: لا بأس بالسواك الرطب، قيل له طعم. قال: والماء له طعم وأنت تمضمض منه.

قلت والحديث لفظه عام في استعمال السواك ولم يفرق بين صائم ومفطر ولا قبل الزوال ولا بعد الزوال، وقد ذكر صاحب عارضة الأحوذي فوائد عشرة للسواك وقال: «... وقد قدمنا فوائده العشرة في الطهارة، والصوم أحق بها»[٢].

قال ابن حجر في تلخيص الحبير (٢٠٢/٢): (وروى الطبراني بإسناد جيد عن عبد الرحمن بن غنم قال: سألت معاذ بن جبل أأتسوك وأنا صائم قال: نعم: قلت: أي النهار؟ قال: غدوة أو عشية، قلت: إن الناس يكرهونه عشية، ويقولون إن رسول الله ﷺ قال: «لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك»[٣] قال: سبحان الله! لقد أمرهم بالسواك، وما كان بالذي يأمرهم أن ييبسوا بأفواههم عمداً، ما في ذلك من الخير شيء بل فيه شر) أ. هـ.

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري ومسلم، ولفظ (مع كل وضوء) علقها البخاري، وذكر الحافظ أن النسائي وابن خزيمة. وصلاه عن مالك، انظر الإرواء (١٠٩/١).

(٢) انظر عارضة الأحوذي (٤٠/١)، (٢٥٦/٣).

(٣) جزء من حديث صحيح وقد تقدم

إذاً فالقول الراجح في هذه المسألة: هو أن السواك عام يشمل الصائم والمفطر، قبل الزوال وبعده، وهذا رواية عن الإمام أحمد رحمه الله، وبه قال جمع من أهل العلم منهم ابن حزم والنووي وابن تيمية وابن القيم وغيرهم رحمهم الله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: (لم يَقُم على كراهة السواك بعد الزوال دليل شرعي يُصْلح أن يخصص عمومات نصوص السواك)[١].

٣- المضمضة والاستنشاق بدون مبالغة:

يباح للصائم أن يتمضمض ويستنشق وهو صائم إلا أنه تكره المبالغة فيهما خشية الوقوع في المحذور.

عن لقيط بن صبرة قلت يا رسول الله أخبرني عن الوضوء قال: «اسبغ الوضوء وخلل بين الأصابع وبالغ في الاستنشاق إلا أن تكون صائماً»[٢].

قال عطاء: إن استنثر فدخل الماء في حلقه لا بأس إن لم يملك.

قال ابن قدامة: (وإن تمضمض أو استنشق في الطهارة فسبق الماء إلى حلقه من غير قصد ولا إسراف فلا شيء عليه).

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٥/٢٦٦).

(٢) صحيح: أخرجه أصحاب السنن وأحمد وابن أبي شيبة والحاكم وصححه ووافقه الذهبي وصححه الألباني في الإرواء رقم (٩٠، ٩٣٥) وفي حقيقة الصيام ص (٢٠)، وصححه كذلك الوادعي.

٤- المباشرة والقُبْلة للصائم:

وردت أحاديث كثيرة في الباب تدل على أن المباشرة والقُبْلة للصائم من الأشياء التي يباح له فعلها ولا حرج عليه في ذلك ولكن بشرط! عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يُقبِّل وهو صائم ويباشر وهو صائم، ولكنه كان أملككم لإربه»[١].

وورد عند مسلم عن أم سلمة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ «كان يُقبِّل وهو صائم»[٢] وكذلك ورد عن حفصة رضي الله عنها[٣].

قلت: ولكن هناك فائدة مأخوذة من قول عائشة رضي الله عنها في الحديث المتقدم: «ولكن كان أملككم لإربه» أي كان متحكماً في شهوته، فلا يقوده ذلك إلى الوقوع فيما نهى عنه.

فنقول: إذا كان الإنسان شاب أو لا يستطيع أن يملك نفسه إذا باشر أو قَبَّل فيكره له ذلك خشية الوقع في المحظور، ربما قاده ذلك إلى أن يجامع، فالأولى في حقه الترك.

أما إذا كان الإنسان شيخاً كبيراً أو يعرف من نفسه أن يتحكم في شهوته فلا بأس من أن يُقبِّل ويباشر.

ودليل ذلك ما رواه أبو داود ـ رحمه الله ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه «أن رجلاً سأل النبي ﷺ عن المباشرة للصائم فرخص له، وأتاه آخر

---

(١) صحيح: رواه البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢١٩/٧).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٧٧٨/٢) رقم (١١٠٧).

فسأله فنهاه، فإذا الذي رخص له شيخ، والذي نهاه شاب»[١]. وفي بعض الطرق «... أن الشيخ يملك نفسه»[٢].

وعند عبد الرزاق في مصنفه بسند صحيح عن أبي مجلز قال: جاء رجل إلى ابن عباس شيخ يسأله عن القُبلة وهو صائم فرخص له، فجاءه شاب فنهاه[٣].

وورد قريباً من ذلك عن ابن عمر بسند حسن عند البيهقي[٤].

فمما تقدم تكون القُبلة للصائم على ثلاثة أقسام:

الأول: أن يكون ذا شهوة مفرطة يغلب على ظنه أنه إذا قَبَّل أنزل فهذا يحرم عليه لأنها مفسدة لصومه، ولربما غلبته الشهوة فجامع فوقع في المحظور المنهي عنه.

الثاني: أن يكون ذا شهوة لكن لا يغلب على ظنه أنه إذا قَبَّل أنزل فهذا لا يكره له لما تقدم من حديث عائشة في قوله: (أنه كان أملككم لأربه).

---

(١) حسن لغيره: رواه أبو داود (٧/١٣)، والبيهقي (٤/٢٣٢) من حديث عائشة وأحمد (٢/١٨٥) عن عبد الله بن عمرو، والطبراني في الكبير (١١/٥٩) عن ابن عباس وعند البيهقي كذلك عنه (٤/٢٣٢)، وقال الهيثمي (٣/١٦٦) رجاله رجال الصحيح.

قلت: وهذه الطرق لا تخلو من مقال، لكن بمجموعها يتقوى الحديث إلى الحسن لغيره والله أعلم.

(٢) عند أحمد (٢/١٨٥).

(٣) منصف عبد الرزاق (٤/١٨٥).

(٤) (٤/٢٣٢).

الثالث: أن يكون ممن لا تتحرك شهوته كالشيخ الكبير فهذا يباح له ذلك لما تقدم في حديث أبو هريرة وآثر ابن عباس في الرخصة للشيخ الكبير. هذا والله أعلم.

(**مسألة**): قال الحافظ في الفتح (٤/١٥١): (واختلف فيما إذا باشر أو قبّل أو نظر فأنزل أو أمذى، فقال: الكوفيون والشافعي يقضي إذا أنزل في غير النظر، ولا قضاء في الامذاء، وقال مالك وإسحاق: يقضي في كل ذلك ويكفر إلا الإمذاء فيقضي فقط) مختصراً أ. هـ.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في الاختيارات: (ولا يفطر بمذي بسبب قُبْلة أو لمس أو تكرار نظر) أ. هـ[1].

وهذا الذي قاله شيخ الإسلام هو أصح الأقوال ـ والله أعلم.

وأما إذا قَبَّل أو باشر فأمنى فقال ابن قدامة ـ رحمه الله ـ: (يفطر بغير خلاف نعلمه)[2]. هذا والله أعلم.

٥- تحليل الدم وضرب الإبر والحقن التي في العضل والوريد:

إذا كانت هذه الإبر ليست للتغذية أو ما يستغني بها عن الطعام فإنها ليست من المفطرات (لأنها ليست منصوصاً عليها ولا بمعنى المنصوص ولكن الاحتياط أن الإنسان لا تستعمل مثل هذه الإبرة وهو صائم إلا في حالة مرض يبيح له الفطر، وحينئذ يفطر ويستعملها)[3].

---

(١) (ص ١٠٨).

(٢) المغني (٤/٣٦١).

(٣) قال ذلك علامة القصيم فضيلة الشيخ ابن عثيمين ـ حفظه الله ـ فتاوى الصيام.

٦- الحجامة إذا لم تضعف:

وهو أخذ الدم من الرأس أو من عرق من العروق، وكذا الفصد، فقد كانت من جملة المفطرات ثم نسخت، وهذا الذي عليه جمهور أهل العلم لما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (أن النبي صلى الله عليه وسلم احتجم وهو صائم)[1].

قلت: وقد مر بنا في باب المفطرات أن الحجامة تفطر وقد بينا ذلك، وهنا جاء ذكرها بأنها لا تفطر، فما حل هذا الإشكال؟

قلت: وحل هذا الإشكال الجمع بين الأحاديث وهذه طريقة أهل العلم فإذا كانت الحجامة تضر بالمحجوم وتلجئه للفطر فإنها تحرم عليه وتسير من المفطرات لأنها ألجئته إلى الفطر فسارت سبباً في ذلك فأخذت حكم الأشياء التي تفطر، ويكون ذلك عملاً بالحديث السابق في باب المفطرات. أما إذا كانت لا تلحق الضرر بالمحجوم ولا تلجئه للفطر فهي في حقه مباحة عملاً بهذا الحديث.

ودليل ذلك ما رواه البخاري في صحيحه عن ثابت البناني قال: (سُئل أنس بن مالك رضي الله عنه: أكنتم تكرهون الحجامة للصائم؟ قال: لا، إلا من أجل الضعف)[2]. هذا والله أعلم.

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري والترمذي وأبو داود.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (١٧٤/٤).

٧- الكحل والقطرة ونحوهما مما يدخل العين:

هذه الأمور لا تفطر سواء وجد طعمه في حلقه أم لم يجده، لأن العين ليست بمنفذ للجوف، وهذا ما رجحه شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» ورسالته «حقيقة القيام»، وتلميذه ابن القيم في «زاد المعاد».

قال البخاري في صحيحه: «لم ير أنس والحسن وغيرهم بالكحل للصائم بأساً».

أما الحديث المروي في الكحل أن النبيﷺ أمر بالإثمد المروح عند النوم وقال: وليتقه الصائم «رواه أبو داود فقط، وقال يحيى بن معين - رحمه الله - هذا حديث منكر».

٨- تذوق الطعام للحاجة:

قلت: وهذا مقيد بعدم دخوله الحلق.

عن عطاء عن ابن عباس قال: «لا بأس أن يذوق الخل والشيء يريد شراءه، ما لم يدخل حلقه وهو صائم»[1] .

وعن ابن عباس أيضاً قال: «لا بأس أن يتطاعم الصائم العسل والسمن ونحوه يمجه»[2] .

---

(١) حسن: رواه البخاري تعليقاً (٤/١٥٤) ووصله ابن أبي شيبة (٢/٤٦٣)، ورواه البيهقي (٤/٢٦١) وغيره وحسن إسناده الألباني في إرواء الغليل رقم (٩٣٧).

(٢) رواه البيهقي وسكت عنه الحافظ في الفتح، وحسن إسناده الألباني في (إرواء الغليل) (٤/٨٦).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما إذا ذاق طعاماً ولفظه أو وضع في فيه عسلاً ومجه فلا بأس به للحاجة كالمضمضة والاستنشاق»(١).

٩- صب الماء البارد على الرأس والاغتسال:

ليس هناك حرج على الصائم أن يضع الماء البارد على رأسه أو أن يغتسل حال الصيام، فلقد بوب الإمام البخاري في صحيحه: «باب اغتسال الصائم وبلّ ابن عمر - رضي الله عنهما - ثوبا فألقاه عليه وهو صائم» ودخل الشعبي الحمام وهو صائم.

وقال الحسن: لا بأس بالمضمضة والتبرد للصائم(٢).

وأخرج أبو داود بسنده عن أبي بكر بن عبد الرحمن عن بعض أصحاب النبي ﷺ قال: رأيت النبي ﷺ أمر الناس في سفره عام الفتح بالفطر، وقال تقووا لعدوكم وصام رسول الله ﷺ، قال أبو بكر قال الذي حدثني: لقد رأيت رسول الله ﷺ بالعرج يصب على رأسه الماء البارد وهو صائم من العطش أو الحر»(٣).

---

(١) الاختيارات الفقهية (١٠٨٥٥).

(٢) صححها الحافظ ابن حجر في الفتح (١٨٢/٤ - ١٨٣).

(٣) صحيح: رواه مالك في الموطأ (١٦٧/٢) شرح الزرقاني، وأحمد (٣٧٦/٥) وأبو داود (٤٩٢/٦) وقال الحافظ في تغليق التعليق (١٥٣/٣) إسناده صحيح، وقال العلامة الوادعي: هذا حديث رجاله رجال الصحيح (١٤٧٣) وصححه محدث العصر الإمام الألباني في (صحيح الجامع) و (صحيح أبي داود).

١٠- شم الروائح الطيبة والتطييب بالطيب:

استحب السلف - رضوان الله عليهم - للصائم الترفه والتجمل والترجل والإدهان كما قال ابن حجر، وأيضاً التطيب.

عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: «إذا كان صوم أحدكم فليصبح دهنياً مترجلاً»(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وشم الروائح الطيبة لا بأس به للصائم»(٢).

١١- ويباح للصائم أن يأكل ويشرب ويجامع حتى يطلع الفجر:

لقوله تعالى: ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ الأسود مِنَ ٱلْفَجْرِ ﴾ [البقرة:١٨٧].

١٢- يباح للصائم ما لا يمكن الاحتراز منه كبلع الريق، وغبار الطريق وغربلة الدقيق والنخامة ونحو ذلك.

قال ابن المنذر «اجمعوا على أنه لا شيء على الصائم فيما يبتلعه مما جرى مع الريق مما بين أسنانه مما لا يقدر على إخراجه»(٣).

---

(١) رواه البخاري معلقا بصيغة الجزم.

(٢) حقيقة الصيام (١٠٨).

(٣) فتح الباري (٤/١٩٠).

١٣- العلك: كل ما يمضغ ويبقى في الفم كالمصطكة قال ابن حجر في الفتح: (رخص في مضغ العلك أكثر العلماء إن كان لا يتحلب منه شيء، فإن تحلب منه شيء فزروه فالجمهور على أنه يفطر)(١) .

١٤- يجوز للمرأة الحائض والنفساء إذا انقطع الدم بالليل أن تؤخر الغسل إلى الصبح، وتكون قد أصبحت صائمة وعليها أن تتطهر كالصلاة.

١٥- يجوز للصائم قلع سنه ومداواة جرحه.

١٦- يجوز للصائم أن يستعمل البخاخ ليخفف عن نفسه ضيق التنفس الحاصل مع الضغط وغيره، إذا كان البخاخ عبارة عن هواء بارد، وإن كان هذا البخاخ معه سائل فلا يستعمله. هذا والله أعلم.

***

ما يستحب للصائم فعله

يستحب للصائم في رمضان أن يكثر من فعل الطاعات من قراءة القرآن والدعاء والذكر والصدقة والعمرة وصلة الرحم وزيارة الأقارب وتفقد أحوالهم، والإحسان إلى الجيران ومواساة الفقراء والمحتاجين وتفطير الصائمين وغلى غير ذلك من أنواع العبادات والخير والبر.

---

(١) المصدر السابق.

١- قراءة القرآن في رمضان والذكر والدعاء والصدقة:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل عليه السلام يلقاه كل ليلة في رمضان حتى ينسلخ يعرض عليه النبي ﷺ القرآن فإذا لقيه جبريل عليه السلام كان أجود بالخير من الريح المرسلة)[١].

وفي رواية (كان يدارسه القرآن... الحديث).

في هذا الحديث فوائد منها:

أ- الإكثار من قراءة القرآن الكريم في رمضان.

ب - الصدقة في رمضان والإكثار منها.

ولقد جاء في فضل الصدقة أحاديث كثيرة منها:

قال رسول الله ﷺ: (الصوم جنة، والصدقة تطفيء الخطيئة كما يطفي الماء النار)[٢].

وقال النبي عن الصدقة في رمضان: «أفضل الصدقة الصدقة في رمضان»[٣].

قلت: وذلك لشرف الزمان.

---

(١) صحيح: وقد تقدم.

(٢) رواه الترمذي بسند صحيح.

(٣) رواه الترمذي بسند صحيح.

قلت: وللمزيد في موضوع الصدقة انظر كتابنا: (الصدقة) فلقد جمعنا في هذا الكتاب أغلب ما يتعلق بأمر الصدقة.

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ : «وكان من هديه ﷺ في شهر رمضان الإكثار من أنواع العبادات فكان جبريل عليه الصلاة والسلام يدارس القرآن في رمضان وكان إذا لقيه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة وكان أجود الناس وأجود ما يكون في رمضان، يكثر فيه من الصدقة والإحسان وتلاوة القرآن والصلاة والذكر والاعتكاف»(١).

٢- يستحب للصائم أن يفطر صائما أو أكثر ولو على تمرة أو شربة ماء، فهذا من أفضل الصدقة في رمضان.

عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «من فطر صائما كان له مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيء»(٢).

٣- يستحب للصائم كذلك أداء العمرة في رمضان.

عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن النبي ﷺ قال لامرأة من الأنصار يقال لها: أم سنان: «ما منعك أن تكوني حججت معنا؟» قالت: ناضحان كان لأبي فلان (زوجها) حج هو وابنه على أحدهما،

---

(١) زاد المعاد (٢/٣٢) وسوف نتكلم عن الاعتكاف ـ إن شاء الله ـ في الحديث عن فضل العشر الأواخر.

(٢) حسن لغيره: رواه أحمد (٤/١١٤ - ١١٥) وابن خزيمة (٣/٢٧٧)، وابن حبان (٥/١٨١)، والطبراني في الكبير (٥/٢٩٥)، وابن أبي شيبة (٥/٣٥١)، وعبد الرزاق في مصنفه (٤/١١٣)، والبيهقي في الشعب (٣٦٦٧) وفي السنن (٤/٢٤٠)، والترمذي (٣/٥٣٣) وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجة (١٧٤٦).

وكان الآخر نسقى عليه، قال ﷺ «فعمرة في رمضان تقضي حجة أو حجة معي» وفي لفظ آخر: «فإذا جاء رمضان فاعتمري فإن عمرة فيه تعدل حجة»[(١)].

٤- يستحب للصائم أن يستعمل السواك، ولا فرق بين أول النهار وآخره - على ما سبق لنا بيانه - لأن السواك مطهرة للفم مرضاة للرب.

٥- على الصائم أن يحفظ لسانه عن فضول الكلام.

وذلك لأن اللسان على صغر حجمه فهو عظيم طاعته وجرمه، فهو مصدر كثير من الآثام، وعلى المسلم عموما والصائم خصوصا أن يعرض عن لغو الحديث ويتأدب بآداب القرآن في قوله وفعله، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ ﴾ [المؤمنون:٣].

وقال تعالى: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨ ﴾ [ق:١٨].

فينبغي للصائم أن تصوم جوارحه عن الآثام، ولسانه عن الكذب والفحش من القول، وقول الزور وفضول الكلام، وبطنه عن الشراب والطعام، وفرجه عن الرفث، فإن تكلم فلا يتكلم بما يجرح صومه ويخدشه ويعيبه وإن فعل لا يفعل ما يفسد صومه، فيخرج كلامه طيبا

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٦٠٣/٣)، ومسلم (١٢٥٦)، والناضح: البعير يسقى عليه الماء ومعنى: تقضى حجة أي: تعدلها في الثواب، كما في الرواية الأخرى، لا أنها تقوم مقامها في اسقاط الفرض. والله أعلم.

وعمله صالحا وقد حث النبي ﷺ المسلم الصائم أن يتحلى بمكارم الأخلاق وصالحها، ويبعد عن الفحش والبذاءة والفظاظة، وهذه الأمور السيئة منهي عنها المسلم في كل وقت وحين، ولكن النهي أشد أثناء تأدية فريضة الصيام وغيرها من الفرائض.

يقول الرسول ﷺ فيما رواه أبو هريرة - رضي الله عنه -: «... والصيام جنة، وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني امرؤء صائم[1]».

٦- غض البصر وحفظ الفرج:

على الصائم أن يغض بصره عما حرم الله، لأن للعين صياما كسائر الجوارح، وصيامها غضها عن الحرام، وكذلك يجب على الصائم أن يحفظ فرجه من الرفث ومن كل ما حرم الله عليه، لأن صيام الفرج حفظه عن الحرام، قال تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ﴾ [النور: ٣٠].

وبالجملة نقول: يستحب للصائم - إن لم يجب ويلزم - حفظ سائر الجوارح عن القبائح، فلا يفعل الصائم ما يخدش صيامه أو يشينه والجوارح المأمور بحفظها: اللسان والعين والأذن والبطن والفرج واليد

---

(١) صحيح: وقد تقدم.

والرجل، فإذا صان المسلم جوارحه عن الآثام كمل صومه، وضوعف أجره.

يقول ابن رجب ـ رحمه الله ـ : الصائمون على طبقتين:

أحدهما: من ترك طعامه وشرابه وشهوته لله تعالى يرجو عنده عوض ذلك في الجنة، فهذا تاجر مع الله وعامله، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا ولا يخيب معه عامله، بل يربح أعظم الربح.

أما الطبقة الثانية من الصائمين: من يصوم في الدنيا عما سوى الله، فيحفظ الرأس وما حوى، والبطن وما وعى، ويذكر الموت والبلى، ويريد الآخرة، فيترك زينة الدنيا، فهذا عيد فطره يوم لقاء ربه وفرحه برؤيته.

أهل الخصوص من الصوام صومهم صون اللسان عن البهتان والكذب

والعارفون وأهل الإنس صومهم صون القلوب عن الاغيار والحجب

العارفون لا يسليهم عن رؤية مولاهم قصر، ولا يرويهم دون مشاهدته نهر هممهم أجل من ذلك.

من صام عن شهواته في الدنيا أدركها غدا في الجنة، ومن صام عما سوى الله فعيده يوم لقائه ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأَتٍ﴾ [العنكبوت:٥].

وقد صمت عن لذات دهري كلها ويوم لقاكم ذاك فطر صيامي[١]

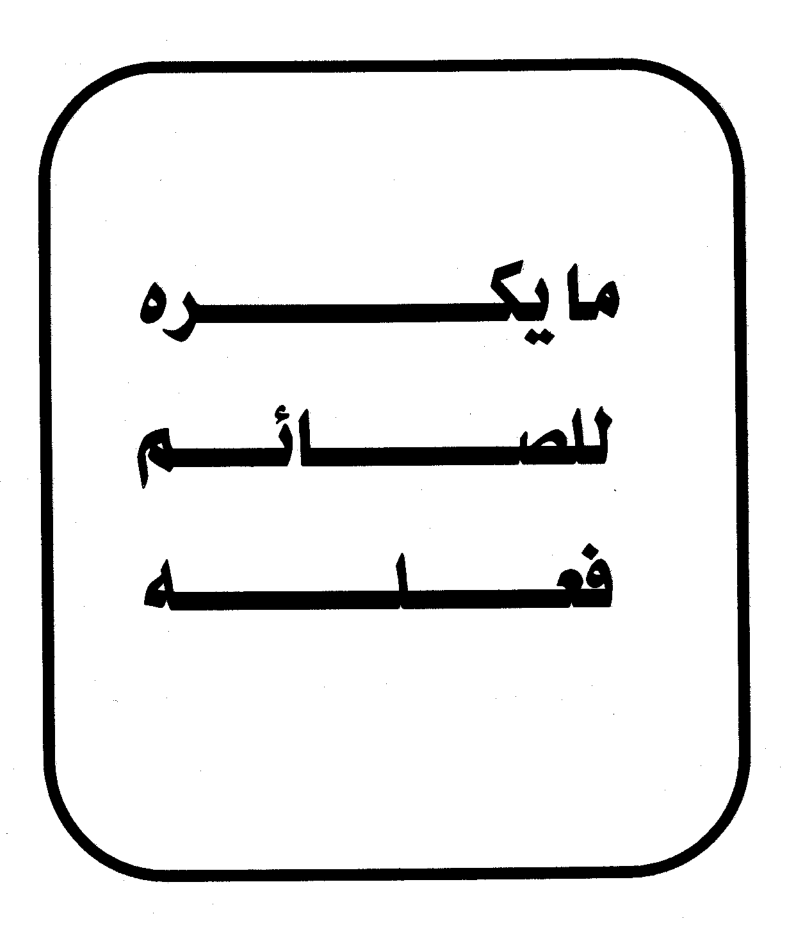
خلاصة القول:

(١) لطائف المعارف (٢٢٢ - ٢٣٠) بتصرف.

على الصائم أن يعمل كل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة ويبتعد عن كل ما يبغضه الله ولا يرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة[١] .



(١) قلت: قد سبق أن تكلمنا في أول الكتاب عن (أبواب الخير في رمضان) فعلى الصائم أن يتحرى هذه الأبواب ويضرب في كل باب بسهم.



مايكره للصائم فعله

هناك أمور يكره للصائم أن يفعلها لأن التمادي فيها قد يؤدي إلى فساد الصوم، وهذه الأمور وإن كانت غير مفسدة للصوم نفسه لكنها قد تؤدي إلى ما يفسد الصوم، فكرهت من أجل ذلك، ومنها:

١- المبالغة في المضمضة والاستنشاق:

وذلك لقوله ﷺ للقيط بن صبرة: «وبالغ في المضمضة والاستنشاق إلا أن تكون صائما»[١].

واختلف أهل العلم إذا دخل ماء المضمضة إلى جوفه خطأ فقالت: الحنفية والمالكية والشافعي في أحد قوليه، والمزني أنه يفسد صومه، وقال أحمد بن حنبل، وإسحاق والأوزاعي: أنه لا يفسد الصوم كالناسي، وهو الراجح - إن شاء الله - وأما إذا تعمد ودخل الماء إلى جوفه فإنه يبطل صومه وعليه القضاء - والله أعلم.

٢- ذوق الطعام لغير حاجة:

يكره للصائم أن يذوق الطعام لغير حاجة - وقد تقدم بيان ذلك - ولكن إذا احتاج إليه لمصلحة ولد صغير أو مريض أو ما شابه ذلك فهذا لا كراهة فيه لأنه موضع ضرورة.

---

(١) صحيح وقد تقدم.

٣- القبلة:

تكره القبلة للصائم إذا كانت تعمل على إثارة شهوته مما تجره إلى إفساد صومه بالإمناء أو بالجماع، فالاعتبار أولا وأخيرا بتحريك الشهوة وخوف الإنزال[١].

٤- عدم إدامة النظر إلى الزوجة أو الأمة إذا كان ذلك يثير شهوته لأنه قد يؤدي إلى فساد صومه.

٥- التفكير في الجماع:

يكره للصائم كثرة التفكير في شأن الجماع لأنه قد يؤدي به تفكيره إلى إنزال المني أو الإقدام على الجماع وهذا يفسد صومه ويوقعه في الإثم.

٦- جمع الريق وابتلاعه وكذا ابتلاع النخامة:

يكره للصائم أن يجمع ريقه ويبتلعه أو يبتلع النخامة، لأن ذلك يصل إلى جوفه ويتقوى به، وهو ينافي الحكم من الصيام[٢].

قلت: وبلع الريق والنخامة لا يفسد الصوم[٣].

٧- صوم الوصال:

يكره للصائم الوصال في صومه، وحقيقته المنهي عنها: أن يصوم المرء يومين فأكثر ولا يتناول في الليل شيئا من طعام أو شراب، فإن أكل أو شرب ولو يسيرا فليس ذلك بوصال.

---

(١) راجع باب: ما يباح للصائم فعله فقرة (٤).

(٢) انظر حاشية الروض المربع (٣/٤٠٤).

(٣) انظر: باب ما يباح للصائم فعله فقرة (١٢).

ولقد نهى النبي ﷺ عن الوصال في الصوم وذلك رحمة منه وشفقة على أمته، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (نهى رسول الله ﷺ عن الوصال في الصوم فقال له رجل من المسلمين: إنك تواصل يا رسول الله، قال: (وأيكم مثلي؟ إني أبيت يطعمني ربي ويسقين، فلما أبو أن ينتهوا عن الوصال، واصل بهم يوما ثم يوما ثم رأوا الهلال فقال: لو تأخر لزوتكم) كالتنكيل لهم حين أبوا أن ينتهوا)[1] .

وعنه أيضا قال: قال رسول الله ﷺ : «إياكم والوصال مرتين قيل: إنك تواصل، قال: «إني أبيت يطعمني ربي ويسقين، فاكلفوا من العمل ما تطيقون»[2] . والوصال مع كراهته لا يبطل الصوم.

والحكمة من النهي عنه لئلا يضعف الجسم عن أداء الواجبات ، بل قد يلحق الجسم ضرر كبير يؤثر على الحواس والأعضاء.

٨- مضغ العلك واللبان:

إذا كان العلك يتحلل منه شيء يختلط مع الريق ويبتلعه الصائم كما هو معروف في العلك الحالي فهذا حرام، وهو مما يفطر به الصائم بلا خلاف، وأما إذا كان لا يتحلل منه شيء أبدا كقطعة المطاط الرخو مثلا فإن هذا يكره ولا يحرم[3] .

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٤/٢٠٥)، ومسلم (١١٠٣).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٤/٢٠٦).

(٣) قلت: وهناك نوع من العلك يباح للصائم مضغه قد بينا ذلك في باب: ما يباح للصائم فعله، فأنظره هناك فقرة (١٣).

٩- قول الصائم: صمت رمضان كله أو قمته كله:

يكره للصائم أن يقول: صمت رمضان كله أو قمته كله، لأن ذلك فيه تزكية للنفس وهذا منهي عنه.

عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (لا يقولن أحدكم إني صمت رمضان كله وقمته كله) فلا أدري أكره التزكية أو قال: لابد من نومة أو رقدة)[١].

قلت: ولعل من الأسباب التي جاء من أجلها النهي أن الإنسان لا يدري أقبل صيامه أو قيامه أو لا! والله أعلم.

١٠- شم ما لا يؤمن من شمه أو تجذبه نفسه إلى حلقه كمسحوق المسك أو الكافور أو السعوط أو البخور ونحو ذلك.



(١) صحيح: رواه أبو داود في سننه (٧/٧٠).

الأعذار المبيحة للفطر
(أهل الأعذار)

من المعلوم أن الصيام عبادة شاقة تحتاج إلى تحمل وصبر وقد لا يتحملها بعض فئات من المجتمع، وجرياً على سنة الإسلام القائمة على التيسير ورفع الحرج على الناس(١) فقد رخص الله عز وجل لبعض عباده في ترك الصوم وأباح لهم الفطر رحمة بهم وتخفيفاً عليهم، يقول تعالى: ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [البقرة:١٨٥].

فقد رخص الله جلا وعلا للمريض والمسافر والشيخ والكبير والحائض والنفساء والحامل والمرضع وغيرهم من أصحاب الأعذار أن يفطروا في نهار رمضان، وهؤلاء يفطرون عمداً، بل منهم من يجب عليه الفطر ويحرم عليه الصيام كالحائض والنفساء، وإليك بيان ما تقدم بشيء من التفصيل:

وقبل الشروع في التفصيل يمكن لنا القول بأن أهل الأعذار ينقسمون إلى قسمين:

الأول: من يرخص لهم الفطر ويجب عليهم القضاء.

والثاني: من يرخص لهم الفطر وتجب عليهم الفدية.

---

(١) للمزيد في هذا الموضوع انظر: كتاب (الصوم والإفطار لأصحاب الأعذار) للدكتور فيحان المطيري (ص ٢١).

القسم الأول

من يرخص لهم الفطر ويجب عليهم القضاء

١- المريض:

يرخص للمريض أن يفطر رمضان لقوله تعالى: ﴿ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ [البقرة:١٨٥].

والمريض في رمضان له ثلاث حالات:

الأولى: أن لا يشق عليه الصوم ولا يضره فيجب عليه الصوم لأنه ليس له عذر يبيح الفطر مثل وجع الإصبع والضرس وغير ذلك.

والثانية: أن يشق عليه الصوم ولا يضره، فهذا يجوز له النظر للآية المتقدمة، ولا ينبغي له الصوم لأنه خروج عن رخصة الله تعالى له وتعذيب نفسه، وتكاليف الشريعة ولله الحمد قائمة على اليسر ورفع الحرج ودفع المشقة.

الثالثة: أن يضره الصوم فهذا يجب عليه الفطر ولا يجوز له الصوم لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [النساء:٢٩].

وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾ [البقرة:١٩٥].

وإذا حدث له المرض في أثناء رمضان وهو صائم وشق عليه إتمام اليوم جاز له الفطر لوجود العذر المبيح للفطر.

وإذا برىء في نهاية رمضان وقد أفطر أول النهار للعذر، لم يصح صومه ذلك اليوم لأنه كان مفطراً في أول النهار، والصوم كما مر معنا أنه امتناع عن المفطرات من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس مع النية، لكن يجب عليه القضاء بعدد الأيام التي أفطرها.

وكذلك إذا ثبت عن طريق الطبيب الحاذق الموثوق بدينه أن الصوم يجلب له المرض أو يؤخر له الشفاء من مرضه فإنه يجوز له الفطر محافظة على صحته، واتقاء للمرض، ويقضي هذه الأيام بعد شفاءه[(١)] .

٢- المسافر:

يباح الفطر للمسافر الذي هلّ عليه شهر رمضان وهو في سفر أو أنشأ سفراً في أثناء الشهر، واستدل لذلك من الكتاب والسُنة والإجماع والمعقول.

فمن الكتاب:

١- قوله تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ [البقرة:١٨٤].

---

(١) انظر: حاشية ابن عابدين (٢/٤٢٢)، وبداية المجتهد (١/٢٨٥) والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢/٢٧٦) والأم (٢/١٠٤)، والمجموع (٦/٢٥٧)، والانصاف للمر (٣/٢٨٥)، ومجالس شهر رمضان (ص ٣٣).

٢- قوله تعالى: ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [البقرة:١٨٥].

ومن السُّنة:

١- عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ زوج النبي ﷺ أن حمزة بن عمرو الأسلمي قال للنبي ﷺ (أأصوم في السفر؟ وكان كثير الصيام فقال: إن شئت فصم وإن شئت فافطر)(١).

٢- عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: خرجنا مع النبي ﷺ في بعض أسفاره في يوم حار حتى يضع الرجل يده على رأسه من شدة الحر وما فينا صائم إلا ما كان من النبي ﷺ وابن رواحة(٢).

٣- وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: (كان رسول الله ﷺ في سفر فرأى زحاماً ورجلاً ظُلِل عليه فقال: ما هذا؟ قالوا: صائم، فقال: «ليس من البر الصيام في السفر»(٣).

وفي رواية لمسلم زيادة «عليكم برخصة الله التي رخص لكم».

وهناك أحاديث أخرى في الباب سنتعرض لها فيما بعد.

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٤/١٧٩) ومسلم (١١٢١).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٤/١٨٢) ومسلم (١١٢٢).

(٣) صحيح: رواه البخاري (٤/١٨٣) ومسلم (١١١٥).

ومن الإجماع:

أجمع المسلمون على إباحة الفطر للمسافر في الجملة.

قال النووي في المجموع: (... فإن كان سفره فوق مسافة قصر وليس معصية، فله الفطر في رمضان بالإجماع مع نص الكتاب والسُنة...)(١).

ومن المعقول:

إن إباحة الفطر في السفر لكونه مظنة المشقة، فخفف عن المسلمين دفعاً للمشقة ورفع الحرج عنهم، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [البقرة:١٨٥].

مسألة: ما هو السفر المبيح للفطر؟

السفر المبيح للفطر:

أولاً: أن لا يكون سفر معصية، كمن يسافر إلى البلاد الأوروبية أو بلاد الكفر عموماً لممارسة الإباحية والانحلال هناك.

ثانياً: شرط السفر أن لا يقصد به المسافر التحيل على الفطر، فإن قصد ذلك فالفطر عليه حرام والصيام واجب عليه حينئذ.

---

(١) المجموع للنووي (٦/٢٦١) وانظر كذلك: بدائع الصنائع (١/٩٣)، وبداية المجتهد (١/٣٨٥)، والمغني (٤/٤٠٦).

وقد اتفق الفقهاء ـ رحمهم الله ـ على جواز الفطر في السفر الواجب كسفر الجهاد والحج والعُمرة، كما ذهب جماهير أهل العلم إلى جواز الفطر في السفر المندوب والمباح لأنهما ملحقان بالواجب لثبوت فطر الرسول صلى الله عليه وسلم في رجوعه من السفر الواجب، ورجوعه مباح، وأما المندوب فهو سفر طاعة.

وأما سفر المعصية فاختلفوا فيه على قولين: أصحهما حرمة الفطر فيه، ومثال ذلك السفر لبلاد الكفر بحثاً عن الدعارة والمخدرات والجريمة، وسفر قُطاع الطريق واللصوص ومن في حكمهم، ممن ينشرون الفساد في الأرض ويؤذون المؤمنين في أعراضهم وأموالهم[1].

مسألة: المسافة التي يباح فيها للمسافر الفطر:

علق الشارع الحكيم قصر الصلاة وإباحة الفطر على مطلق السفر دون تحديد له، غير أنه لما كان السفر مظنة المشقة، والمشقة لا تحصل غالباً إلا مع السفر الطويل، اختلف الفقهاء ـ رحمهم الله ـ في تحديد مسافة الفطر المبيحة للفطر:

فمنهم: من ذهب إلى أن المسافة التي يجوز فيها الفطر هي مسيرة يومين كاملين فأكثر، وهي تعادل ثمانين كيلومتراً تقريباً.

---

(١) انظر: بدائع الصنائع (١/ ٩٣)، بداية المجتهد (١/ ٢٨٥)، المجموع (٦/ ٢٦١) المغني (٤/ ٤٠٦).

ومنهم: من ذهب إلى المسافة المبيحة للفطر مسيرة ثلاثة أيام.

ومنهم: من ذهب إلى أن المسافة المبيحة للفطر مسيرة يوم واحد فقط.

ومنهم: من ذهب إلى أنه لا حد للسفر الذي يباح الفطر فيه، بل كل ما سمي سفراً عرفاً جاز الفطر فيه.

والقول الأول أخذ به جماعة من الصحابة والتابعين، وهو قول الأئمة الثلاثة مالك والشافعي وأحمد ـ رحمهم الله ـ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «... وأما مقدار السفر الذي يقصر فيه ويفطر فمذهب مالك والشافعي وأحمد أنه مسيرة يومين قاصدين بسير الإبل والأقدام هو ستة عشر فرسخاً[1]. كما بين مكة وعسفان، ومكة وجدة وقال أبو حنيفة: مسيرة ثلاثة أيام، وقال طائفة من السلف والخلف بل يقصر ويفطر في أقل من يومين، وهذا قول قوي...»[2].

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «... ولم يكن من هديه ﷺ تقدير المسافة التي يفطر فيها الصائم بحد ولا صح عنه في ذلك شيء».

---

(١) الفرسخ ثلاثة أميال، والميل (١٦٠٩م) تقريباً فتكون المسافة المقررة = ١٦ × ٣ × ١٦٠٩ = ٧٧٢٣٢متراً أي ما يزيد على سبعة وسبعين كيلومتراً فأوصلناها ثمانين كيلومتراً تقريباً.

(٢) مجموع الفتاوى (٢١٢/٢٥)، ويلاحظ أن شيخ الإسلام يرجح القول الأخير، الذي لا يحد فيه المسافة بل يربطها بالعرف، وهذا الرأي قال به تلميذه الإمام ابن القيم في زاد المعاد (٥٥/٢) وسيأتي، وهذا القول تميل إليه النفس والله أعلم.

مسألة: هل الأفضل الصيام أو الفطر في السفر:

المسافر حال السفر لا يخرج عن إحدى الحالات الآتية:

أولها: أن يتساوى عنده الفطر والصيام أي لا مشقة عليه من السفر فالأفضل في حقه الصيام لعموم قوله تعالى: ﴿وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾﴾ [البقرة:١٨٤].

وكذلك الأمور الآتية:

أ- لأنه أسرع في إبراء ذمته.

ب - أنشط له إذا صام مع الناس.

جـ- إدراكه لفضيلة الزمن.

د - وهذا فعل النبي صلى الله عليه وسلم[1].

ويدل على ذلك ما رواه أبو الدرداء - رضي الله عنه - خرجنا مع النبي ﷺ في بعض أسفاره في يوم حار حتى يضع الرجل يده على رأسه من شدة الحر، وما فينا صائم إلا ما كان من النبي ﷺ وابن رواحة[2].

ثانيها: إذا شق عليه الصيام في السفر فإن الفطر في حقه أفضل لعموم قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦].

---

(١) قلت: وسيأتي بيان هديه ﷺ في السفر عند الكلام عن صفة صوم النبي ﷺ في الجزء الثاني من هذا الكتاب.

(٢) صحيح: وقد تقدم.

وأيضاً لحديث جابر رضي الله عنه الذي قال فيه النبي ﷺ: «ليس من البر الصيام في السفر»[(١)].

وعنه أيضاً قال: أن رسول الله ﷺ خرج عام الفتح إلى مكة في رمضان فصام حتى بلغ كراع الغميم فصام الناس، ثم دعا بقدح من ماء فرفعه حتى نظر الناس إليه ثم شرب، فقيل له بعد ذلك:

إن البعض قد صام فقال: «أولئك العصاة أولئك العصاة»[(٢)].

وفي رواية أخرى: «فقيل له إن الناس قد شق عليهم الصيام وإنما ينظرون فيما فعلت فدعا بقدح من ماء بعد العصر.. الحديث»[(٣)].

ثالثها: أن يكون مخيراً بين الصوم والفطر، كما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها: أن حمزة بن عمرو الأسلمي قال للنبي ﷺ: «أأصوم في السفر؟ وكان كثير الصيام. فقال: إن شئت فصم وإن شئت فأفطر[(٤)]».

ولم يعب أصحاب النبي ﷺ بعضهم بعضاً في الصوم والإفطار - أي حال الصيام لما ورد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (كنا مع النبي ﷺ فلم يعب الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم)[(٥)].

---

(١) صحيح: وقد تقدم.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢/٧٨٥) رقم (١١١٤).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٧/٢٣٢).

(٤) صحيح: وقد تقدم.

(٥) صحيح: رواه البخاري (٣/٣٩٥)، ومسلم (١١١٨).

(مسألة) إذا قدم المسافر إلى بلده في نهار رمضان :

إذا قدم المسافر إلى بلده في نهاية نهار رمضان وكان مفطراً لم يصح صومه ذلك اليوم لأنه كان مفطراً أول النهار، والصوم الواجب لا يصح إلا من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس مع النية كما مر بنا ذلك.

ولكن: هل يلزمه الإمساك بقية اليوم؟ اختلف العلماء في ذلك فقال بعضهم: يجب عليه أن يمسك بقية اليوم احتراماً للزمن ويجب عليه القضاء أيضاً لعدم صحة صيام هذا اليوم.

وقال بعضهم: لا يجب عليه أن يمسك بقية ذلك اليوم لأنه لا يستفيد من هذا الإمساك شيئاً لوجوب القضاء عليه. أما حرمة الزمن فقد زالت بفطره المباح له أول النهار ظاهراً وباطناً[1].

قلت: والقول الثاني هو الراجح إن شاء الله ولكن ينبغي له أن لا يعلن أكله ولا شربه لخفاء سبب الفطر عن الناس فيساء به الظن أو يقتدي به غيره خصوصاً من الجهال وضعاف النفوس.

(مسألة) من سافر من بلده إلى بلد آخر ونوى الإقامة في البلد الآخر يصوم أم يفطر :

اختلف أهل العلم في هذه المسألة خلافاً واسعاً، وقد رجح بعضهم أنه إذا نوى إقامة تزيد على أربعة أيام لزمه الصوم، وإتمام الصلاة كغيره من المقيمين لانقطاع أحكام السفر في حقه سواء كانت إقامته لدراسة أو

---

(١) المبسوط للسرخسي (٥٨/٣).

لتجارة أو غير ذلك من الأمور المباحة، وإذا نوى إقامة أربعة أيام فأقل أو أقام لقضاء حاجة لا يدري متى تنقضي[١] فله الإفطار لعدم انقطاع أحكام السفر في حقه[٢].

٣- الحائض والنفساء:

أجمع أهل العلم سلفا وخلفا أن الحائض والنفساء لا يحل لهما الصوم، وأنهما تفطران وتقضيان، وأنهما إذا صامتا لم يجزئهما الصوم ولم يصح، ودليل ذلك ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «...أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم، فذلك نقصان دينها»[٣].

وعند مسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «... وتمكث الليالي ما تصلي وتفطر في رمضان فهذا نقصان الدين»[٤].

ولكن يجب عليهما القضاء بعدد الأيام التي أفطرتا فيها لقوله تعالى: ﴿ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ [البقرة:١٨٥].

---

(١) قلت: وقد تطول هذه المدة عن أربعة أيام بل قد تصل شهور فالراجح عندي أنه يفطر ويقصر لعدم وجود دليل على التحديد والله أعلم.

(٢) بدائع الصنائع (١/ ٩٧)، بداية المجتهد (١/ ٢٨٧)، المجموع (٦/ ٢٦٣) مغني المحتاج (١/ ٤٣٧)، الروض المربع (٣/ ٣٧٢) نيل الأوطار (١/ ٢٣٠).

(٣) صحيح: رواه البخاري (٤/ ١٩١).

(٤) صحيح رواه مسلم (٧٩).

ولحديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ وفيه: «كنا نحيض على عهد رسول الله ﷺ فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة».

والأمر للنبي ﷺ لأنه صاحب الأمر عند الإطلاق[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «... وكذلك ثبت بالسنة واتفاق المسلمين أن دم الحيض ينافي الصوم، فلا تصوم الحائض لكن تقضي الصيام...»[٢].

فصل

إذا حاضت المرأة أول النهار أو آخره ولو قبل الغروب بقليل فإنه يبطل صومها، لأن الحكم يدور مع علته وجودا وعدما فإذا ثبتت العلة ثبت الحكم وإذا انتفت العلة انتفى الحكم.

وإذا طهرت المرأة من الحيض أو النفاس في أثناء نهار رمضان لم يصح صيامها بقية هذا اليوم لوجود ما ينافي الصيام في أول النهار، وهل يجب عليها الإمساك بقية اليوم أم لا؟ فيه خلاف بين أهل العلم أصحها أنه لا يجب وإن أمسكت بقية اليوم لحرمة الزمن فهذا أفضل[٣].

---

(١) صحيح: رواه البخاري، انظر الفتح (١/ ٤٢٠).

(٢) مجموع الفتاوى: (٢٥/ ٢٢٠).

(٣) قلت: وحرمة الزمن قد زالت في حقها بفطرها المباح في أول النهار.

وإذا طهرت في الليل من رمضان، ولو قبل الفجر بلحظة وجب عليها الصيام لأنها أصبحت من أهله، ولا يوجد مانع منه، حتى ولو لم تغتسل إلا بعد طلوع الفجر على الصحيح من كلام أهل العلم[1].

(**تنبيه**) كثيرا ما تسأل النساء في بداية رمضان عن تناول حبوب منع الحيض.

والجواب كما قال النبي ﷺ : «إن هذا أمر كتبه الله على بنات بني آدم»[2] وإذا كان هذا الأمر مكتوبا على النساء جميعا فلا ينبغي للمرأة أن تتدخل في أمر قد كتبه الله عليها».

ويجب أن تعلم المرأة المسلمة أن كل ما كتبه الله وقدره فيه الخير المحض فالأفضل عدم المعارضة والتدخل من قبلها.

ويجب أن تعلم أيضا أن خروج دم الحيض وغيره من جسم المرأة له فوائد كثيرة وذلك لحكمة عظيمة، وأن انحباسه باستعمال الحبوب فيه أضرار كثيرة، ومنها ما يحصل للمرأة من أمراض بعد نزول الدم، واضطراب في مواعيد العادة الشهرية، وقرحة تصيب رحم المرأة، وقد يؤدي ذلك إلى العقم وأشياء كثيرة ذكرها الأطباء.

وعليه فالأفضل للمرأة ألا تستعمل حبوب منع الحيض، ولكن إذا استعملت الحبوب جاز لها أن تصوم وتصلي لإنتفاء العلة وانعدام المانع

---

(١) انظر: المبسوط (٣/٨٠)، والشرح الصغير (٢/٢٤٢)، ونهاية المحتاج (٣/١٨٤) والانصاف (٣/٢٨٣).

(٢) صحيح: رواه البخاري في صحيحه.

وهو الدم. ولكن إن طلب المرأة استعمال مثل هذه الحبوب في هذا الشهر لا شك دليل على حب النساء للخير والعبادة من الصوم وحضور صلاة التراويح وقراءة القرآن، وغيرها من أفعال الخير الذي تلزم طهارة المرأة.

ومع ذلك فالأحوط ترك هذه الحبوب، والله سبحانه مطلع على السرائر ويعلم ما في الضمائر فإنه لا يضيع أجر من نوى فعل الخير، هذا والله أعلم.

٤- الحامل والمرضع:

المرأة إذا كانت حاملا أو مرضعا وخافت على نفسها أو ولدها من الصوم فلها الفطر، ودليل ذلك ما رواه أنس بن مالك الكعبي القشيري[١] قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله وضع عن المسافر شطر الصلاة والصوم وعن المرضع والحامل الصوم[٢]» وفي لفظ «والحبلى».

ويلزمها القضاء بعدد الأيام التي أفطرتا متى تيسر لهما ذلك، ويزول عنهما الخوف، لأن المرضع والحامل بمنزلة المريض، والمريض أوجب عليه القضاء إذا زال عنه المرض ويبرىء.

---

(١) قلت: هو آخر غير أنس بن مالك خادم النبي صلى الله عليه وسلم وليس له إلا هذا الحديث.

(٢) حسن: رواه أبو داود (٤٥/٧)، والنسائي (١٩٠/٤) والترمذي (٤٠١/٣) وقال حديث حسن، وقال: (... ولا يعرف لابن مالك هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم غير هذا الحديث الواحد)، وابن ماجة (٥٣٣/١)، وأحمد (٣٤٧/٤)، وابن خزيمة (٢٠٤٤)، والبخاري في التاريخ الكبير (٢٩/٢/١)، المزي في تهذيب الكمال (٣٨٠/٣) وحسنه الوادعي في الصحيح المسند (٧٤).

وذهب بعض أهل العلم إلى أن المرأة الحامل أو المرضع إذا أفطرتا خوفاً على نفسيهما فيجب عليهما القضاء فقط، وإذا أفطرتا خوفاً على ولديهما أفطرتا وأطعمتا عن كل يوم مسكين، وحجة هؤلاء قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾ [البقرة:١٨٤].

قال ابن عباس في تفسير هذه الآية: «كانت رخصة للشيخ الكبير والمرأة الكبيرة وهما يطيقان الصيام أن يفطرا أو يطعما مكان كل يوم مسكيناً والحبلى والمرضع إذا خافتا» قال أبو داود: يعني على أولادهما «أفطرتا وأطعمتا»[1].

وعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن امرأته سألته وهي حبلى فقال: «أفطري وأطعمي عن كل يوم مسكيناً ولا تقضي».

والخلاصة: أن المرضع والحامل تفطران وتقضيان سواء خافتا على أنفسهما أو على ولديهما، هذا هو الراجح من قولي أهل العلم، وإن أطعمتا خروجاً من الخلاف كان أولى. والله أعلم.

٥- الفطر للضرورة:

قد ألحق الفقهاء ـ رحمهم الله ـ مجموعة من أصحاب الأعذار غير ما سبق، يباح لهم الفطر منهم:

(١) صحيح: رواه أبو داود (٦/٣١)، وابن الجارود (٣٨١)، والبيهقي (٤/٢٣٠) وابن جرير الطبري في تفسيره والقرطبي (٢/٢٨٨).

أ - من احتاج للفطر لدفع ضرورة غيره، كإنقاذ معصوم من الغرق أو الحرق أو الهدم أو نحو ذلك، فإذا كان لا يمكنه إنقاذه إلا بالتقوى على ذلك بالفطر من أكل وشرب جاز له ذلك، بل يجب لأن إنقاذ المعصوم من الهلكة واجب، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، ويلزمه قضاء ما أفطره.

ب - من غلبه الجوع والعطش أبيح له الفطر دفعاً للضرر الحاصل عليه، بل قد يكون واجباً إذا تيقن الهلاك، ويستدل لذلك بالأدلة العامة التي تنفي الحرج وتقتضي التسير ودفع المشقة مثل قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [النساء: ٢٩][1].

جـ - من أكره على الفطر إكراهاً ملجئاً بحيث ألزمه غيره أن يأكل أو يشرب ففعل ذلك ولا حيلة له في الامتناع فأفطر دفعاً للضرر الواقع عليه فهذا عليه القضاء ولا إثم عليه - إن شاء الله - شريطة أن يكون من أكرهه قادراً على إنزال الضرر به لو لم يمتثل لأمره[2].

وقيل ليس عليه شيء كما لو كان نائماً أو مغمى عليه وصب أحد الماء في حلقه، فإنه لا يفطر بذلك بل يواصل الصوم ولا قضاء عليه، وذلك لأن السُنة دلت على عدم الفطر مع عدم القصد كما ثبت في

---

(١) انظر في ذلك، الصوم والإفطار لأصحاب الأعذار (ص ٢١).

(٢) المغني (٤/٣٧٧). الإنصاف (٣/٣١٢)، الشرح الصغير (٢/٢٥٩) المجموع (٦/٣٢٩) مغني المحتاج (١/٤٣٠).

الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «من أكل أو شرب ناسياً فليتم صومه فإنما أطعمه الله وسقاه».

قلت: والذي تميل إليه النفس القول الأول، وهو من باب الأولى والاحتياط.

د- من احتاج للفطر للتقوي به على الجهاد في سبيل الله.

فإنه يباح الفطر في هذه الحالة وعليه القضاء بعدد ما أفطر من الأيام. عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: «سافرنا مع رسول الله ﷺ إلى مكة ونحن صيام»، قال: فنزلنا منزلاً فقال رسول الله ﷺ: «إنكم قد دنوتم من عدوكم والفطر أقوى لكم» فكانت رخصة، فمنا من صام ومنا من أفطر، ثم نزلنا منزلاً آخر فقال: «إنكم مصبحوا عدوكم والفطر أقوى لكم فأفطروا وكانت عزمة»[(١)].

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى -: «فلو اتفق مثل هذا في الحضر وكان في الفطر قوة لهم على لقاء عدوهم فهل لهم الفطر؟ فيه قولان: أصحهما دليلاً أن لهم ذلك وهو اختيار ابن تيمية وبه أفتى العساكر لما لقوا العدو بظاهر دمشق»[(٢)].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٧/٢٣٦) وغيره.

(٢) زاد المعاد (٢/٥٣).

القسم الثاني
من يرخص لهم الفطر وتجب عليهم الفدية

١- الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة.

يرخص للشيخ الكبير والمرأة الكبيرة الإفطار في رمضان أن عجزا عن الصيام.

عن عطاء سمع ابن عباس يقرأ: ﴿وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين﴾ قال ابن عباس: «ليست بمنسوخة هو الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما فليطعمان مكان كل يوم مسكيناً»[١].

قال البخاري - رحمه الله - «وأما الشيخ الكبير إذا لم يطق الصيام فقد أطعم أنس بعدما كبر عاماً أو عامين في كل يوم مسكيناً خبزاً ولحماً وأفطر»[٢].

وبهذا يتبين أن الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة إذا ضعفا على الصوم لا يجب عليهما القضاء، وإنما يجب عليهما الإطعام، وقد قدره أهل العلم بمد من البر، ربع الصاع النبوي[٣] أو يصنع طعاماً ويوزعه على المساكين.

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (١٩٧/٨).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٦/٣٠) كتاب التفسير.

(٣) قد مر بنا مقدار المد والصاع.

قال أهل العلم:

«ومتى أفطر العاجز عن الصيام وجب عليه أن يطعم عن كل يوم مسكينا لأن الله جل وعلا جعل الإطعام معادلا للصيام حين كان التخيير بينهما أول ما فرض الصيام، فتعين أن يكون بدلا عنه عند العجز لأنه معادل له»[1].

(مسألة) هل يلزم أن يطعم كل يوم مسكينا أو يجوز إطعام ثلاثين مسكينا دفعة واحدة؟!.

يجوز لمن عليه فدية الطعام في رمضان أن يجمع ثلاثين مسكينا ويطعمهم دفعة واحدة وقد فعل ذلك أنس بن مالك رضي الله عنه.

أخرج الدارقطني بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه «أنه ضعف عن الصوم فصنع جفنة من ثريد ودعا ثلاثين مسكينا فأشبعهم»[2].

٢- المريض مرضا مزمنا لا يرجى برؤه:

يرخص كذلك للمريض مرضا مزمنا لا يرجى برؤه وذلك إذا أخبر بهذا الطبيب المسلم الحاذق المؤتمن الموثوق بدينه، فإنه يفطر ولا قضاء عليه، ولكن يجب عليه إطعام عن كل يوم مسكينا بنحو ما تقدم بيانه.

وهناك ثم قسم ثالث ألحقه الفقهاء - رحمهم الله - بأصحاب الأعذار غير ما تقدم وهو:

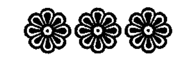
---

(١) انظر تفسير ابن كثير (١/٢١٥)، وفتح القدير (١/١٨٠).

(٢) صحيح: أخرجه الدارقطني (٢/٢٠٧).

الهرم الذي بلغ الهذيان وسقط تميـيزه، فهذا لا يجب عليه الصيام ولا الإطعام عنه، وذلك لسقوط التكليف عنه بزوال تمييزه، فأشبه الصبي قبل التمييز فإن كان يميز أحيانا ويهذى أحيانا أخرى، وجب عليه الصوم في حال تمييزه دون حال هذيانه[1].

وبهذا نكون قد انتهينا من أصحاب الأعذار الذين يباح لهم الفطر في رمضان على اختلاف أحوالهم، هذا والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



(١) انظر: المغني (٤/٣٧٧)، الإنصاف (٣/٣١٢)، الشرح الصغير (٢/٢٥٩)، المجموع (٦/٣٢٩)، مغني المحتاج (١/٤٣٠).

استراحة

• خاتم للذكرى

سأل صديق لأشعب أن يهبه خاتما ليذكره به، فقال له أشعب: اذكرني أنك سألتني ذلك يوما فمنعتك.

• بحر بن فياض

سأل بعض الأعراب آخر عن اسمه، فقال: بحر. قال: ابن من؟ قال: ابن فياض. قال: ما كنيتك؟ قال: أبو الندى، قال: لا ينبغي لأحد لقاؤك إلا في زورق!.

• إنك جيد المضغ

قال رجل لبعض البخلاء: لم لا تدعوني إلى طعامك؟ قال: لأنك جيد المضغ سريع البلع، إذا أكلت لقيمة هيأت أخرى، فقال: يا أخي! أتريد إذا أكلت عندك أن أصلي ركعتين بين كل لقمتين!.

• بنى نمير

مرت امرأة بقوم من بني نمير فأحدوا النظر إليها، فقال منهم قائل: (والله إنها لرسحاء، فقالت: يا بني نمير، والله ما امتثلتم في واحدة من

اثنتين، لا قول الله عز وجل: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾ [النور:٣٠]. ولا قول الشاعر:

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا

● كأن أمه أرضعتك

حضر أعرابي على مائدة بعض الخلفاء، فقدم جدي مشوي فجعل الأعرابي يسرع على المائدة في أكله منه، فقال له الخليفة: أراك تأكله بحرد كأن أمه نطحتك! فقال الأعرابي: أراك تشفق عليه كأن أمه أرضعتك!.

● أقنع الحمار بهذا الرأي

قال أحدهم: سافرت مرة إلى الشام عن طريق البر ومعي أعرابي استأجرت منه مركبي، ومضنى طول السفر، ربط الدابة فأخذت أسلي نفسي بقول القطامي:

قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل

فقال الأعرابي: ما زاد قائل هذا الشعر على أن يثبط الناس عن الحزم وكان أولى به أن يزيد.

وربما ضر بعض الناس بطؤهم وكان خيرا لهم لو أنهم عجلوا

فقلت: أناشدك الله أن تقنع حمارك بهذا الرأي لعله يسرع.

● نعـوذ بـالـلـه

كان الشيخ نصر الدين المعروف عند العامة بجحا، رجلا فاضلا فيه دعابة وفيه عقل؛ وكان يحلو له دائما أن يخلط بين المزاح والجد، ويصارح محدثه برأيه فيه في فكاهة مستملحة.

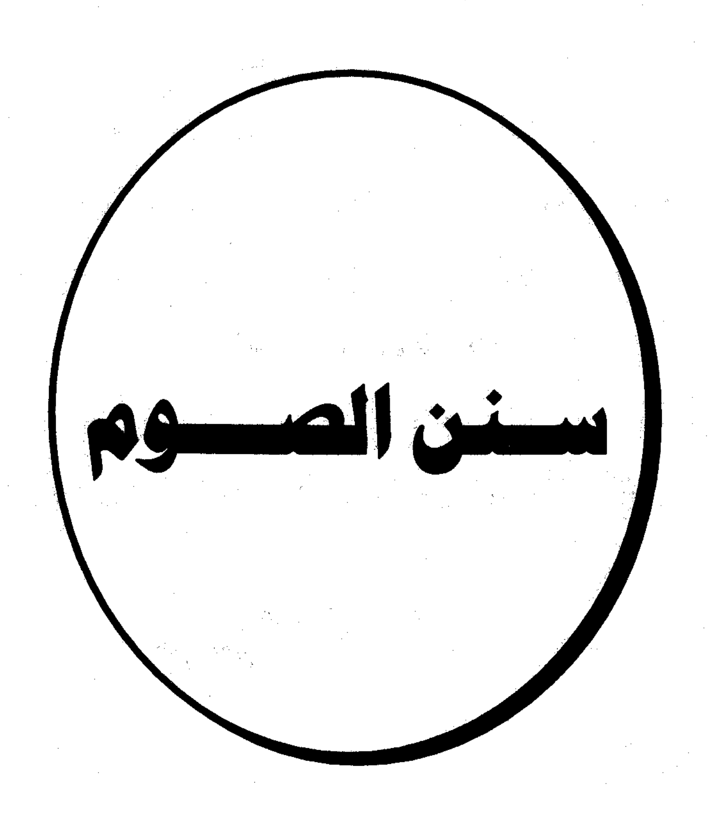
وذات يوم التقى بالطاغية تيمورلنك فقال له: يا نصر الدين! إني شديد الإعجاب بأسماء الخلفاء السابقين التي تختتم باسم (الله) كالواثق بالله، والمظفر بالله، والمستنصر بالله.. وأريد أن تختار لي اسما من هذا النوع، فالتفت إليه جحا وعلى شفتيه ابتسامة ساخرة وقال: (أختار لك... نعوذ بالله) فضحك الطاغية ولم يستطع الكلام!.

● الصبر على طاعة الله

قيل للأحنف في شهر رمضان: إنك شيخ كبير، وإن الصوم يهدك فقال إن الصبر على طاعة الله أهون من الصبر على عذاب الله[1].



(١) نقلا من كتاب جواهر الجواب القاهر.



سنن الصوم

❁ الإفطار وآدابه

١- متى يفطر الصائم؟

● عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «إذا أقبل الليل من هاهنا وأدبر النهار من هاهنا وغربت الشمس فقد أفطر الصائم»[١].

● وعن عبد الله بن أبي أوفى - رضي الله عنه - قال: (كنا مع رسول الله ﷺ في سفر وهو صائم فلما غابت الشمس قال لبعض القوم: يا فلان قم فاجدح لنا فقال: يا رسول الله! لو أمسيت، قال: أنزل فأجدح لنا، قال: يا رسول الله! فلو أمسيت، قال: انزل فاجدح لنا، قال: إن عليك نهارا، قال: انزل فاجدح لنا، فنزل فجدح لهم فشرب النبي ﷺ ثم قال: «إذا رأيتم الليل اقبل من هاهنا فقد أفطر الصائم»[٢].

يتضح مما تقدم أن الوقت الذي يفطر فيه الصائم له ثلاث علامات متلازمات وهي إقبال الليل من المشرق، وإدبار النهار من المغرب وغروب الشمس وجمع بينهما، لأنه قد يكون في واد ونحوه، بحيث لا يشاهد غروب الشمس، فيعتمد على إقبال الظلام، وأصل هذه العلامات غروب

---

(١) صحيح : رواه البخاري (٤/١٧١) ومسلم (١١٠٠).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٤/١٧٢) ومسلم (١١٠١).

الشمس لأن به دخول الليل الذي جعله الله تعالى غاية لتمام الصوم قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ﴾ [البقرة:١٨٧].

وتبين الليل من المشرق وانصراف النهار من المغرب، دليل على غروب الشمس ولا عبرة بالحمرة الشديدة الباقية في الأفق، فمتى كان الصائم في مكان غربت فيه الشمس حل له الإفطار.

٢- تعجيل الفطر:

يستحب للصائم تعجيل الفطر إذا تحقق غروب الشمس بمشاهدتها أو غلب على ظنه بسماع الأذان لأنه خبر موثوق به.

● عن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال: «لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر»[1].

● وعنه أيضا قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزال أمتي على سنتي ما لم تنتظر بفطرها النجوم»[2].

مما تقدم يتبين أن تعجيل الفطر أفضل، وفي ذلك خير عظيم، فمن ذلك محبة الله تعالى، فعن أبي هريرة رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: إن أحب عبادي إلي أعجلهم إفطارا»[3].

وفي تعجيل الإفطار إتباع هدي النبي ﷺ والعمل بسنته فقد كان صلوات الله وسلامه عليه يعجل الإفطار فقد مر بنا في حديث عبد الله بن

---

(١) صحيح: رواه البخاري (١٩٨/٤)، ومسلم (١٠٩٨).

(٢) صحيح: رواه ابن حبان في زوائده (٩٨١) وأصله في الصحيحين كما تقدم.

(٣) حسن: أخرجه أحمد رقم (٨٣٤٢)، وابن خزيمة (٢٨٦/٣)، والترمذي (٣٧٦/٣) وقال الترمذي حديث حسن.

أبي أوفى ـ رضي الله عنه ـ أن النبي كان يعجل الإفطار، وعن أبي عطية قال: دخلت أنا ومسروق على عائشة ـ رضي الله عنها ـ فقلنا: يا أم المؤمنين! رجلان من أصحاب محمد ﷺ أحدهما يعجل الإفطار ويعجل الصلاة، والآخر يؤخر الإفطار ويؤخر الصلاة، قالت: أيهما الذي يعجل الإفطار ويعجل الصلاة؟ قال: قلنا: عبد الله بن مسعود، قالت: كذلك كان رسول الله ﷺ، زاد أبو كريب: والآخر أبو موسى)[١].

وقد ورد أن تعجيل الإفطار من أخلاق النبيين كما قال أبو الدرداء ـ رضي الله عنه ـ: «ثلاث من أخلاق النبوة: تعجيل الإفطار، وتأخير السحور ووضع اليمين على الشمال في الصلاة»[٢].

وفي تعجيل الإفطار مخالفة لليهود والنصارى الذين نهينا عن التشبه بهم في عبادتنا وعادتنا، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال رسول الله ﷺ: «لا يزال الدين ظاهرا ما عجل الناس الفطر، لأن اليهود والنصارى يؤخرون»[٣].

وفي تعجيل الإفطار تيسير على الناس، وبعد عن صفة التنطع والغلو في الدين، وقد امتثل هذا الأدب خير القرون من صحابة رسول الله

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٧٧١/٢) رقم (١٠٩٩).

(٢) موقوف صحيح: رواه الطبراني في الكبير كما في مجمع الزوائد (١٠٥/٢) وقال: «... مرفوعا وموقفا على أبي اندرداء، والموقوف صحيح، والمرفوع في رجاله من لم أجد من ترجم له».

(٣) صحيح: أخرجه أحمد (٤٥٠/٢)، وأبو داود (٤٨٠/٦) والنسائي في الكبرى (٢٥٢/٢) وابن ماجة (١٦٩٨)، والبيهقي (٢٣٧/٤) وابن خزيمة (٢٠٦٠) وقال الحاكم (٤٣١/١) صحيح على شرط مسلم وصححه ابن حبان (٣٥٠٣).

ﷺ قال البخاري رحمه الله تعالى: «وأفطر أبو سعيد الخدري حين غاب قرص الشمس»[١] . وقال عمرو بن ميمون الأودى ـ رحمه الله ـ: «كان أصحاب محمد ﷺ أسرع الناس إفطارا وأبطأهم سحورا»[٢].

(مسألة) فيمن أفطر يظن الشمس قد غربت

ومن أفطر يظن أن الشمس قد غربت وهي لم تغرب فصومه صحيح، لأنه معذور، ويمسك عن الأكل والشرب حتى تغرب، لأنه كمن أكل ناسيا والناسي كالمخطيء حكمهما واحد، قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ [البقرة:٢٨٦].

وإذا كان الناسي لا قضاء عليه، فالمخطيء كذلك، وقد ورد عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: «أفطرنا على عهد رسول الله ﷺ يوم غيم ثم طلعت الشمس»[٣] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «وهذا يدل على شيئين: أنه لا يستحب مع الغيم التأخير إلى أن يتيقن الغروب، فإنهم لم

---

(١) فتح الباري (١٩٦/٤).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٢٢٦/٤) وقال الحافظ في الفتح (١٩٩/٤) إسناد صحيح.

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (١٩٩/٤).

يفعلوا ذلك ولم يأمرهم به النبي ﷺ، والصحابة مع نبيهم أعلم وأطوع لله ولرسوله ممن جاء بعدهم».

والثاني: لا يجب القضاء فإن النبي ﷺ، لو أمرهم بالقضاء لشاع ذلك ولنقل ذلك كما نقل فطرهم، فلما لم ينقل ذلك دل على أن أنه لم يأمر به، فإن قيل: فقد قيل لهشام بن عروة: أمروا بالقضاء؟ قال: أوَبُد من القضاء؟!.

قيل: هشام قال ذلك برأيه، لم يرد ذلك في الحديث، ويدل على أنه لم يكن عند بذلك عِلْمٌ، أن معمراً روى عنه قال: سمعت هشاماً قال: لا أدري أقضوا أم لا؟ ذكر هذا، وهذا عنه البخاري، والحديث رواه عن أمه فاطمة بنت المنذر عن أسماء، وقد نقل هشامٌ عن أبيه عروة أنهم لم يؤمروا بالقضاء وعروة أعلم من ابنه ...)[1] والله أعلم.

٣- ما يستحب الإفطار عليه:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يفطر على رُطبات قبل أن يصلي، فإن لم يكن رطبات فتمرات، فإن لم يكن تمرات حسا حسوات من ماء»[2].

---

(١) حقيقة الصيام (ص ٣٣، ٣٤)، وانظر مجموع الفتاوى (٢٣١/٢٥) وفتح الباري (١٩٩/٤).

(٢) حسن: رواه أحمد (١٦٣/٣)، وأبو داود (٤٨١/٦)، والترمذي (٣٨١/٣) وقال: هذا حديث حسن، ورواه ابن خزيمة (٢٢٧/٣)، انظر: الزرواء (٤٥/٤).

دل الحديث على بعض آداب الإفطار التي ينبغي للصائم أن يتأس بنبيه ﷺ فيها، ومن ذلك الإفطار قبل صلاة المغرب، وهذا - والله أعلم - إشارة إلى كمال المبالغة في استحباب تعجيل الفطر والمبادرة به.

ومن هذه الآداب أيضا: الإفطار على رطب فإن لم يتيسر أفطر على تمر (وهو يابس ثمر النخل) فإن لم يتيسر فعلى ماء، والبلاد التي لا يوجد فيها الرطب أو التمر يغني عنه بعض الفواكه الأخرى أو شيء من الحلوى، فإن لم يتيسر ذلك فعلى الماء.

عن سلمان بن عامر الضبي يبلغ به النبي ﷺ قال: «إذا أفطر أحدكم فليفطر على تمر، إنه بركة، فإن لم يجد فعلى الماء فإنه طهور»[1].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «إن النبي ﷺ كان إذا أفطر بدأ بالتمر»[2].

وعنه أيضا رضي الله عنه قال: «ما رأيت النبي ﷺ قط يصلي حتى يفطر ولو على شربة ماء»[3].

والاقتصار على الرطب والماء عند الإفطار له فائدة طبية، وهي ورود الغذاء على المعدة بالتدرج، حتى تتهيأ للطعام بعد ذلك، قال ابن القيم رحمه الله تعالى: «وفي فطر النبي ﷺ من الصوم على الرطب أو التمر

---

(١) حسن: رواه الترمذي (٣/٣٨١) وقال: حديث حسن صحيح، وانظر: كتاب الصيام، للفريابي (ص٦٤).

(٢) رواه الفريابي في كتاب (الصيام) (ص ٦٦) ورجاله ثقات.

(٣) رواه الفريابي في (الصيام) ص (٦٧) وإسناده صحيح.

أو الماء تدبير لطيف جدا، فإن الصوم يخلي المعدة من الغذاء، فلا تجد الكبد فيها ما تجذبه وترسله إلى القوى والأعضاء.

والحلو أسرع شيء وصولا إلى الكبد وأحبه إليها، ولا سيما إن كان رطبا، فيشتد قبولها فتنتفع به هي والقوى، فإن لم يكن فالتمر لحلاوته وتغذيته، فإن لم يكن فحسوات من الماء تطفيء لهيب المعدة وحرارة الصوم، فتنتبه بعده للطعام وتأخذه بشهوة»[1] أ. هـ.

٤- الدعاء عند الإفطار:

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ «ثلاثة لا ترد دعوتهم: الإمام العادل، والصائم حين يفطر، ودعوة المظلوم»[2].

ففي الحديث دليل على أنه ينبغي للصائم أن يغتنم لحظات الإفطار، وأوقات الإجابة فيدعو بما أحب من الخير، فإن له دعوة مستجابة فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «إن للصائم عند فطره لدعوة ما ترد» قال ابن أبي مليكة: سمعت عبد الله بن عمرو يقول إذا أفطر: «اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن تغفر لي»[3].

---

(١) زاد المعاد (٢/٥٠)، (٤/٣١٣).

(٢) حسن لشواهده: أخرجه الترمذي (١٠/٥٦) وابن ماجة (١٧٥٢)، وقال الترمذي: حديث حسن، قلت: والحديث له شواهد يحسن بها والله أعلم.

(٣) رواه ابن ماجة (١٧٥٣) والحاكم (١/٤٢٢) وابن السني (٤٨١)، وقال البوصيري: هذا إسناد صحيح، انظر الزوائد (ص ٢٥٤)، وضعفه الألباني في الإرواء رقم (٩٢١)، والصواب أن الحديث له ما يؤيده ويشهد له، انظر تنبيه القاريء) للشيخ عبد الله الدويش رحمه الله (ص ٧٨، ٧٩). والله أعلم.

ومما يستحب أن يقول عند فطره، ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما قال: «كان النبي ﷺ يقول إذا أفطر: ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر إن شاء الله»[١].

فعلى الصائم أن يغتنم هذا الوقت، ويدعو بحضور قلب موقن بالإجابة في وقت ترجى فيه الإجابة، فإنه وقت ذل وانكسار بين يدي الله تعالى مع كونه صائما، ويكرر الدعاء ثلاثا.

قال النبي ﷺ «إن لله عتقاء في كل يوم وليلة، لكل عبد منهم دعوة مستجابة»[٢] وعن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لله عند كل فطر عتقاء»[٣].

فمن دعا ربه بقلب حاضر ودعاء مشروع وهو صائم ولم يمنع من إجابة الدعاء مانع كأكل الحرام ونحوه، فهو حري بأن يجاب له الدعاء، لأن الله تعالى قد وعده بالإجابة، وخصوصا إذا أتى بأسباب إجابة الدعاء وهي الاستجابة لله تعالى بالانقياد لأوامره، واجتناب نواهيه القولية والفعلية، والإيمان به الموجب للاستجابة[٤] قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ

---

(١) حسن: رواه أبو داود (٦/٤٨٢)، والنسائي في عمل اليوم والليلة رقم (٢٩٦)، والبيهقي (٤/٢٣٩)، والحاكم (١/٤٢٢) وابن السني (٤٧٨)، والدارقطني (٢/١٨٥) وقال: إسناده حسن.

(٢) إسناده صحيح: رواه أحمد رقم (٧٤٤٣) وانظر كلام الشيخ أحمد شاكر عليه.

(٣) صحيح: أخرجه أحمد (١٠/٩ الفتح الرباني) وقال المنذري: (رواه أحمد بإسناد لا بأس به والطبراني والبيهقي..) وصححه الألباني في صحيح الترغيب (١/٤٩١).

(٤) قلت: قد بسطنا القول في ذلك عند الحديث في فضائل رمضان وفضائل الصيام فراجعه إن شئت.

عبـادي عَنِّي فَـإِنِّي قَـرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دعـان فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة:١٨٦].

وعليه أن يلح في الدعاء وطلب الغفـران فإنـه شـهر فـاضل وموسـم عظيم من مواسم الخير والعبادة.

٥- دعاء الصائم لمن أفطر عنده:

ينبغـي للصـائم إذا أفطر عنـد قـوم أن يدعـو لهـم جزاء لصنيعـهم معـه وشكرا لهم على ما قدموه له من معروف.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ جاء إلى سعد بـن عبـادة فجـاء بخبز وزيـت فـأكل ثـم قـال النـبي ﷺ «أفطـر عندكـم الصـائمون وأكـل طعامكم الأبرار وصلت عليكم الملائكة»[١].

ويجوز كذلك لمن أفطر عنـده أحـد الصـائمين أن يطلـب رب البيـت ممـن قام بإفطاره أن يدعو له.

فعن عبد الله بن بسر قال: نزل رسول الله ﷺ على أبـي قـال: فقربنـا إليـه طعاما ورطبة فأكل منها ثم أتى بتمر فكان يأكل ويلقي النوى بـين إصبعيه، ثـم أتـى بشراب فشربه، ثم ناوله الذي عن يمينه قال: فقال أبي وأخـذ بلجـام دابتـه: ادع الله لنا، فقال: «اللهم بارك لهم فيما رزقتهم واغفر لهم وارحمهم»[٢].

---

(١) صحيح لغيره رواه أبو داود (٦/٤٨٣) والنسائي (٢٩٧) وابن ماجة (١٧٤٧) وأحمد (٣/١١٨) والبيـهقي (٤/٢٣٩ - ٣٤٠) وابن حبان (٧/٣٥٠) وصححه النووي والعراقي في تخريج الأحياء (٢/١٣).

(٢) صحيح: رواه مسـلم (١٣/٢٢٥) والترمذي (١٠/٢٩) تحفـة، وأبـو داود (٣٧٢٩) والنسـائي في عمل اليوم والليلة رقم (٢٩١)، وأحمد (٤/١٨٨)، والبيهقي (٧/٢٧٤)، وقال الترمذي حسـن صحيح، وحسنه ابن حبان في (بذل الإحسان) (٧/٣٥٠).

● كلمة لا بد منها

ومن آداب الإفطار التي ينبغي للصائم أن يراعيها عدم المبالغة في تقديم صنوف الأطعمة وأنواع الأشربة عند الإفطار، فإن هذا خلاف سنة النبي ﷺ، وهذا الأمر يشغل عن المبادرة لحضور صلاة المغرب مع الجماعة، بل قد يفوتها معهم بالكلية، وذلك لقلة وقت الانتظار فيها، قال ابن العربي - رحمه الله: (كان النبي ﷺ يفطر قبل أن يصلي على شيء يسير لا يشغله عن الصلاة، وفيه ثلاث فوائد: تعجيل الإفطار وتفريغ البال للصلاة، وفصل ما بين زمان العبادة والعبادة وبينهما في أنفسهما)(١).

ولا ينبغي للصائم الإسراف في طعام العشاء في رمضان والإكثار من الأكل فإن رمضان موسم طاعة وعبادة وليس موسم للتسمين وتقديم الموائد وتنويع المأكولات، إن رمضان فرصة يتعلم فيها الصائم الاقتصاد وتدبير المعيشة.

---

(١) عارضة الأحوذي (٣/٢١٥، ٢١٦).

وفي تنويع الأطعمة والإكثار منها إشغال لربات البيوت عن تلاوة القرآن وذكر الله تعالى، حتى صار رمضان عند كثير من الأسر موسما لتنويع المأكولات والمشروبات، وكأنهم يريدون أن يعوضوا ما فاتهم في نهار الصيام، ولا أدل على ذلك من استعداد الأسواق قبيل رمضان بكل ما لذ وطاب مما يثير الرغبات والشهوات، حتى صار شهر رمضان شهر التخمة والبطنة والتنعم، بعد أن كان شهر الصبر والعبادة والجهاد، والله المستعان.

إن الاقتصاد في وجبة العشاء في رمضان، يجعل الصائم في حالة صحية يستطيع معها أن يقوم لصلاة التراويح، والتهجد في الليل بكل نشاط ورغبة وهذا أمر ملحوظ فإنه إذا ملأ بطنه بالطعام احتاج إلى الشرب فيرتخي جسده، وتتخدر أعضاؤه فيكسل عن العبادة ولا ينتفع بنفسه باقي ليلته.

فعلى الصائم أن يأخذ بقول المصطفى صلى الله عليه وسلم: (ما ملأ ابن آدم وعاء شر من بطنه بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه)[1].

وإذا كان الصائم قد ترك في نهار رمضان جميع مألوفاته التي إعتادها احتسابا لله تعالى ووفاء بأمانة الصوم الذي أضافه الله إليه، مما يدل

---

(١) حسن: رواه أحمد (١٣٢/٤)، والترمذي (٢٣٨٠) وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجة (٣٣٤٩) وابن حبان (٤٤٩/٢) والحاكم (١٢١/٤) وغيرهم، وله طرق أخرى، انظر: ارواء الغليل (٤١/٧).

على قوة إرادته وصدق عزيمته ، فحري به أن لا يفعل عند الإفطار ما يخل بهذه القوة أو يوهنها ، فيفطر على ما حرم الله ، فيهدم في ليله ما بناه في نهاره فيضيع الحزم ويبرهن على ضعف إرادته وقلة صبره.

ومن ابتلي بشرب الدخان أو غيره من العادات الضارة فعليه أن يستغل مدرسة شهر الصوم ، فيصوم عنه في ليله كما صام عنه في نهاره ليهجره إلى غير رجعة ، عليه أن يواصل عزيمته وقوة إرادته بالليل كما كانت بالنهار ، ويهجر المجالس السيئة ، ويعتاض عنها بمجالس أهل الخير والصلاة ، فهي عون له على ذلك بعد إعانة الله وتوفيقه.

اللهم وفقنا لصالح الأعمال ، وجنبنا سيئات الأقوال والأفعال واحفظ صيامنا ، وألهمنا ذكرك وشكرك وارزقنا حب أوليائك وبغض أعدائك وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.



❀ السحور وآدابه

١- الأمر بالسحور وما فيه من البركة:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «تسحروا فإن في السحور بركة»[(١)].

في هذا الحديث دليل على أن الصائم مأمور بالسحور، لأن فيه خيرا كثيرا وبركة عظيمة دينية ودنيوية، وذكر النبيﷺ البركة في السحور من باب الحض عليه والترغيب فيه.

والسحور بفتح السين ما يؤكل في وقت السحر، وهو آخر الليل، وبضم السين: الفعل وهو أكل السحور، وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ «من أراد أن يصوم فليتسحر بشيء»[(٢)].

وهذا الأمر في هذا الحديث أمر استحباب لا أمر إيجاب بالإجماع، بدليل أن النبي ﷺ واصل وواصل أصحابه معه[(٣)].

عن عبد الله بن الحارث يحدث عن رجل من أصحاب النبي ﷺ وهو يتسحر فقال: «إنها بركة أعطاكم الله إياها فلا تدعوه»[(٤)].

---

(١) صحيح: رواه البخاري (١٣٩/٤)، ومسلم (١٠٩٥).

(٢) حسن لغيره: رواه أحمد (٣٦٧/٣) وابن أبي شيبة (٨/٣) وغيرهما وهو من رواية شريك بن عبد الله النخعي، وهو سيىء الحفظ، لكن له شاهدا مرسلا عند سعيد بن منصور في سننه بلفظ (تسحروا ولو بلقمة) كما ذكر ذلك الحافظ في الفتح (١٤٠/٤). وانظر المسند: تحقيق الأرناؤوط (٢٠٨/٢٣).

(٣) قلت: قد سبق لنا أن تكلمنا عن الوصال وأنه منهي عنه وهو من خصائص النبي ﷺ.

(٤) صحيح: رواه أحمد (٢٧٠/٥)، والنسائي (١٤٥/٤).

ففي السحور بركة عظيمة وفوائد جليلة وحكمة بالغة وأجر كبير فمن ذلك:

١- أن من بركة السحور اتباع لهدي المصطفى صلى الله عليه وسلم والسير على سنته وأن السحور خلق من أخلاق الأنبياء والمرسلين، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: إنا معشر الأنبياء أمرنا أن نؤخر سحورنا ونعجل فطرنا وأن نمسك أيماننا على شمائلنا في صلاتنا)[1].

٢- ومن بركة السحور التقوي على العبادة والاستعانة على طاعة الله في النهار من صلاة وصيام وذكر وقراءة للقرآن، فإن الجائع يكسل عن العبادة كما يكسل عن العمل وهذا أمر محسوس.

٣- ومن بركة السحور مدافعة سوء الخلق الناتج عن الجوع، فالمتسحر طيب النفس حسن المعاملة.

٤- ومن بركة السحور تحصل بسببه الرغبة في الازدياد من الصيام وذلك لخفة المشقة فيه على المتسحر، فيرغب في الصيام، ولا يتضايق منه.

٥- ومن بركة السحور أن الإنسان يقوم آخر الليل للذكر والدعاء والصلاة، وذلك مظنة الإجابة، ووقت صلاة الله والملائكة على المتسحرين لحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ «السحور أكله بركة فلا تدعوه، ولو أن يجرع أحدكم جرعة من ماء فإن الله وملائكته يصلون على المتسحرين»[2].

---

(١) صحيح: رواه الطبراني في (الكبير) (١١/١٩٩) رقم (١١٤٨٥) والأوسط كما في مجمع البحرين (٣/١١٠) رقم (١١٥١١) وصححه الزرقاني في شرح الموطأ والألباني في صحيح الجامع.

(٢) رواه ابن أبي شيبة (٣/٨) وأحمد (١٠/١٥ - ١٦)، والحديث في سنده ضعف لكن له طرق يقوي بعضها بعضا وله شواهد انظر المسند بتحقيق الأرناؤوط (١٧/١٥٠).

٦- ومن بركة السحور وحكمته البالغة أن فيه مخالفة لأهل الكتاب الذي أمرنا الله ورسوله عن مخالفتهم في كل شيء وعدم التشبه بهم في أي شيء عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر[1]». وفي رواية (السحور).

٧- ومن بركة السحور صلاة الفجر مع الجماعة في وقتها الفاضل.

ولذا تجد أن المصلين في صلاة الفجر في رمضان أكثر منهم بكثير في غيره من الشهور، وذلك لأنهم قاموا من أجل السحور.

فينبغي لصائم أن يحرص على السحور ولا يتركه لغلبة النوم أو غيره، وعليه أن يكون سهلا لينا عند إيقاظه من النوم، طيب النفس، مسرورا بامتثال أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حريصا على الخير، لأن نبينا صلى الله عليه وسلم أكد على السحور ورغب فيه، وبين أنه شعار صيام المسلمين وأنه الفارق بين صيامنا وصيام أهل الكتاب ونهى عن تركه.

٢- ما يستحب عند السحور:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «نعم سحور المؤمن التمر»[2].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٧/٢٠٧) رقم (١٠٩٦).

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٦/٤٧٠)، وابن حبان (٢٢٣) زوائد، والبيهقي (٤/٢٣٧).

ففي الحديث دليل أنه يستحب عند السحور التمر لما فيه من الفوائد والتي سبق وتكلمنا عليها في آداب الإفطار.

ويدل الحديث كذلك على أن السحور يحدث بأقل ما يناوله الإنسان من أكل وشرب.

٣- تأخير السحور:

عن أنس عن زيد بن ثابت رضي الله عنهما أنه قال: تسحرنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم قام إلى الصلاة قلت: كم كان بين الأذان والسحور، قال: قدر خمسين آية)[١] .

ففي الحديث دليل على أنه يستحب تأخير السحور إلى قبيل الفجر، فقد كان بين فراغ النبي صلى الله عليه وسلم ومعه زيد رضي الله عنه من سحورهما ودخولهم في الصلاة قدر ما يقرأ الرجل خمسين آية من القرآن، قراءة متوسطة لا سريعة ولا بطيئة، وهذا قريب على أن وقت الصلاة قريب من وقت الإمساك.

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه أنه قال: كنت أتسحر مع أهلي ثم تكون سرعة بي أن أدرك صلاة الصبح مع رسول الله صلى الله عليه وسلم[٢] .

والمراد بالأذان في حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه: الإقامة، سميت أذاناً لأنها إعلام بالقيام من الصلاة.

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٢/٥٤)، (٤/١٣٨) ومسلم (١٠٩٧).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٢/٥٤)، (٤/١٣٧).

وقد ورد في صحيح البخاري أنه قيل لأنس: كم كان بين فراغهما من سحورهما ودخولهما في الصلاة: قال: ما يقرأ الرجل خمسين آية)[1].

قال الحافظ في الفتح: (وهو قدر ثلث خمس ساعة)[2] أ. هـ. أي: أربع دقائق[3].

وتعجيل السحور من منتصف الليل جائز لكنه خلاف السُنة، فإن السحور سمي بذلك لأنه يقع في وقت السحر وهو آخر الليل كما تقدم.

والإنسان إذا تسحر نصف الليل قد تفوته صلاة الفجر لغلبة النوم، ثم إن تأخير السحور أرفق بالصائم وأدعى إلى النشاط، لأن من مقاصد السحور تقوية البدن على الصيام، وحفظ نشاطه فكان من الحكمة تأخيره.

فينبغي للصائم أن يتقيد بهذا الأدب النبوي، ولا يتعجل بالسحور.

ومما يؤسف له أن أناساً يتسحرون نصف الليل، لأنهم يسهرون أمام آلات اللهو والمجون، أو في مجالس اللغو والاجتماعات الآثمة، فهؤلاء مع سهرهم المحرَّم مخالفون للسُنة في الأكل في السحر آخر الليل، ومنهم من ينام بعد الأكل ولا يستيقظ لصلاة الصبح إلا بعد طلوع الشمس تعمداً.

فهذا قد أضاع فريضة عظيمة من أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين أضاعها في أفضل الأوقات، وهو متوعد إذا لم يتب إلى ربه ويهتم بصلاته بقوله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن

---

(١) انظر: فتح الباري (٢/٥٤).

(٢) انظر: فتح الباري (٤/١٣٨).

(٣) قال الشيخ ابن عثيمين علامة القصيم ـ حفظه الله ـ: لكني قرأتها فبلغت نحو ست دقائق (تنبيه الأفهام) (٣/٣٨).

صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [الماعون:٤-٥]. والويل أي: الهلاك لمن غفل عن الصلاة، وقال تعالى: ﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَوٰةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾ [مريم:٥٩]. أضاعوا الصلاة: لم يتركوها بالكلية ولكن أدوها في غير وقتها، والغي واد في جهنم بعيد قرعه خبيث طعمه) نسأل الله العافية.

٤- صفة الفجر الصادق والفجر الكاذب:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الفجر فجران، فأما الأول بأنه لا يحرم الطعام ولا يحل الصلاة أما الثاني فإنه يحرم الطعام ويحل الصلاة)[١].

وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يغرنكم من سحوركم أذان بلال ولا بياض الأفق المستطيل هكذا)[٢] وحكاه: حماد بيده قال يعني معترضا.

ففي الحديث بيان من الرسول صلى الله عليه وسلم أن الفجر فجران:

أ - فجر كاذب: وهو لا يحل صلاة الصبح ولا يحرم الطعام على الصائم، وعلامته هو البياض المستطيل الساطع المصعد كذنب السرحان.

---

(١) صحيح لغيره: رواه الحاكم ١/١٩١٩، والدارقطني (٢/١٦٥) والبيهقي (٤/٢١٦).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٧/٢٠٥) رقم (١٠٩٤).

ب- فجر صادق: وهو الذي يحرم الطعام على الصائم ويحل صلاة الفجر، وعلامته هو الأحمر المستطير المعترض على رؤوس الشعاب والجبال المنتشر في الطرق والسكك والبيوت، وهذا هو الذي تتعلق به أحكام الصيام والصلاة.

هذا وقد دلت السنة على العمل بآذان المؤذن إذا كان ثقة عارفا الوقت وأذن بعد تبين الفجر، لكن يلاحظ اليوم على كثير من المؤذنين - هداهم الله - أنهم يؤذنون قبل الوقت، يزعمون أنهم يحتاطون لصيام الناس، وهذا الاحتياط غير صحيح ولا دليل عليه وليس له وجه مسوغ، وذلك لأن الاحتياط هو لزوم ما جاء به الشرع ما دامت النصوص واضحة جلية، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: أن بلالا كان يؤذن بليل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (كلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم فإنه لا يؤذن حتى يطلع الفجر) قال القاسم ابن محمد: لم يكن بين أذانهما إلا أن يرقى ذا وينزل ذا)[١] .

ومن المفاسد التي تترتب على الأذان قبل دخول الوقت، صلاة من لا جماعة عليه من نساء ومعذورين قبل دخول الوقت، وكذلك تحريم ما هو حلال من أكل وشرب وغيره مما يباح للصائم في ذلك الوقت.

فعلى المؤذنين أن يتحروا وقت دخول الفجر حتى لا يوقعوا الناس في الحرج والمؤذنون هم أمناء الناس على صلاتهم وسحورهم فعليهم أن لا يؤذنوا إلا إذا تبين لهم الصبح إما بمشاهدة أو علم عن حساب دقيق.

---

(١) صحيح: رواه البخاري (١٣٦/٤)، ومسلم (٢٠٢/٧، ٢٠٣).

والإمساك قبل الفجر من قبيل الاحتياط مخالف لهدي النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه على نحو ما تقدم. والله أعلم.

٥- مسائل تتعلق بالسحور:

(أ) من سمع الأذان والإناء بيده:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (إذا سمع أحدكم النداء والإناء على يده فلا يضعه حتى يقضي حاجته منه)[١].

فالحديث دلالته واضحة فيمن سمع الأذان والإناء في يديه يريد أن يشرب أو يأكل فلا يتركه حتى ينتهي منه، والنداء هنا هو الأذان للفجر الثاني (الصادق) ودل على ذلك قوله: (فلا يضعه حتى يقضي حاجته منه) ومن المعروف أن الصائم لا يمسك إلا عند طلوع الفجر الثاني، وكذلك قوله في رواية أخرى عند أحمد (٢/٥١٠) (وكان المؤذن يؤذن إذا بزغ الفجر).

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ : (وقد روى النسائي عن زر قال: قلنا لحذيفة: أي ساعة تسحرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: (هو النهار إلا أن الشمس لم تطلع)[٢].

ب- من أكل بعد طلوع الفجر يظن أن الفجر لم يطلع:

---

(١) حسن: رواه أحمد (٢/٥١٠)، والحاكم (١/٤٢٦)، ثم قال: هذا حديث على شرط مسلم ولم يخرجاه. قلت: كلا فإن محمد بن عمرو لم يخرج له مسلم إلا في المتابعات، والحديث حسنه علامة اليمين الشيخ مقبل بن هادي االوادعي في (الصحيح) مما ليس في الصحيحين رقم (١٢٦٤).

(٢) تهذيب السنن (٦/٤٧٦).

من أكل بعد طلوع الفجر يظن أن الفجر لم يطلع ثم تبين له بعد ذلك أنه قد طلع الفجر فصومه صحيح ولا قضاء عليه، لقوله تعالى: ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ﴾ [البقرة:١٨٧].

فأباح الله تعالى الأكل حتى يتبين الفجر، والمباح المأذون فيه لا يؤمر فاعله بالقضاء. والله أعلم.

جـ- من أكل أو شرب شاكا في طلوع الفجر:

ذهب ابن عباس وعطاء وهو مروي عن أبي بكر وابن عمر والأوزاعي والشافعي وأحمد ،أبي حنيفة والمشهور عن مالك أنه لا قضاء عليه[1] .

قلت: أي صومه صحيح، وهذا هو الراجح إن شاء الله، والأظهر بدلالة ظاهر الآية المتقدمة ولحديث أذان ابن أم مكتوم المتقدم والله أعلم.

د - فيمن تسحر ونوى الصيام ثم عرض له عارض من أكل أو شرب أو نحوه.

من تسحر ثم نوى الصيام ثم عرض له أن يأكل أو يشرب أو يتناول دواء أو أي شيء مما يباح له فله ذلك ما لم يطلع الفجر، لأن الصوم الشرعي لا يبدأ إلا من طلوع الفجر، وليست نية ترك الطعام قبل الفجر تحرم شيئا من ذلك. والله أعلم.

---

(١) وللمزيد انظر المجموع (٦/٣٣٥ - ٣٣٦).

كلمة لا بد منها:

أخي الصائم:

إن من جملة الآداب التي تختص بالسحور ونص عليها أهل العلم أن لا يسرف الصائم في وجبة السحور، فيملأ بطنه بالطعام، بل يأكل مقدار يعينه على تحمل الجوع ومشقة الصوم، فلا يملأ بطنه حتى لا يستطيع الحركة إلا بشق الأنفس، فإنه ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطنه[(١)].

ومتى شبع الصائم وقت السحر لم ينتفع من وقته إلى قريب الظهر، لأن كثرة الأكل تورث الكسل والفتور، وفي قول النبي صلى الله عليه وسلم (نعم سحور المؤمن التمر)[(٢)]. إشارة إلى هذا المعني، فإن التمر بالإضافة إلى قيمته الغذائية العالية فهو خفيف على المعدة سهل الهضم، والشبع إذا قارنه سهر بالليل ونوم بالنهار فقد فات به المقصود من الصيام والله المستعان.

اللهم إنا نسألك من الخير كله، ما علمنا منه وما لم نعلم، ونعوذ بك من الشر كله ما علمنا منه وما لم نعلم، وجنبنا منكرات الأخلاق

---

(١) جزء من حديث تقدم وهو حديث حسن.

(٢) صحيح: وقد تقدم.

والأعمال والأهواء واغفر اللهم لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

٦- لحظات السحر:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له، ومن يسألني فأعطيه ومن يستغفرني فأغفر له)[1].

فهذا الحديث دليل على فضل الدعاء والسؤال والاستغفار آخر الليل وقد أثنى الله تعالى على عباده المؤمنين الذين يدخلون الجنة خالدين فيها، فذكر من صفاتهم الاستغفار في وقت الأسحار، قال تعالى: ﴿ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ ﴾ [آل عمران:١٧]. وقال تعالى: ﴿ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الذاريات:١٨].

فعلم من ذلك أن وقت السحر وقت شريف، ففي الحديث المتقدم دليل على أن الدعاء فيه مستجاب، وذلك إذا تحققت الشروط وانتفت الموانع لأن الله تعالى وعد بالاستجابة لمن دعاه، وإعطاء من سأله، والمغفرة لمن طلب منه المغفرة.

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٣/٢٩) ومسلم (٧٥٨).

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قيل يا رسول الله! أي الدعاء أسمع قال: جوف الليل الآخر، ودبر الصلوات المكتوبات)[١].

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: (إن جوف الليل إذا اطلق فالمراد به وسطه، وإن قيل جوف الليل الآخر فالمراد به: وسط النصف الثاني، وهو السدس الخامس من أسداس الليل، وهو الوقت الذي فيه النزول الإلهي)[٢].

وهذا الوقت من الأوقات التي ينبغي للعبد ـ ولا سيما في رمضان ـ أن يغتنمه، ولا يضيعه بالغفلة والنوم والكسل، فإنه وقت النزول الإلهي الذي يليق بجلال الله وعظمته من غير تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه.

قال القحطاني ـ رحمه الله ـ في نونيته:

والله ينزل كل آخر ليلة ... لسمائه الدنيا بلا كتمان

فيقول هل من سائل فأجيبه ... فأنا القريب أجيب من ناداني

حاشا الإله بأن تكيف ذاته ... فالكيف والتمثيل منتفيان

قال ابن بطال: (هو وقت شريف خصه الله بالتنزيل فيه، فيتفضل على عباده بإجابة دعائهم، وإعطاء سؤلهم، وغفران ذنوبهم وهو وقت غفلة وخلوة واستغراق في النوم واستلذاذ له، ومفارقة اللذة والدعة صعب لا سيما أهل الرفاهية، وفي زمن البرد، وكذا أهل التعب، ولا سيما في قصر الليل، فمن آثر القيام لمناجاة ربه والتضرع إليه مع ذلك، دل

---

(١) حسن بشواهده: أخرجه الترمذي (٩/٤٧١) والنسائي في عمل اليوم والليلة (ص ١٨٦).

(٢) جامع العلوم والحكم شرح الحديث التاسع والعشرين من الأربعين النووية.

على خلوص نيته وصحة رغبته في ربه، فلذلك نبه الله عباده على الدعاء في هذا الوقت الذي لا تخلو فيه النفس من خواطر الدنيا وعلقها ليستشعر العبد الجد والإخلاص لربه)[١].

وفي هذه الليالي المباركة يجتمع للمؤمن في الليل ساعة الإجابة والنزول الإلهي، والسجود، وشرف الزمان وهو في رمضان، وقد كان السلف الصالح من هذه الأمة يواظبون على قيام الليل ولا سيما في شهر رمضان تأسيا بنبيهم صلى الله عليه وسلم.

فعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن في الليل ساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله تعالى خيرا من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه الله إياه وذلك كل ليلة)[٢].

وإذا كان الإنسان يقوم آخر الليل لأكلة السحور، أليس حريا به أن يقوم وفي نيته أن يناجي علام الغيوب! فليقم قبل ذلك بوقت كاف للذكر والدعاء وتلاوة القرآن والصلاة، وأن يكون حاضر القلب، محتسبا لله تعالى في قيامه، وأن يحرص على الإخلاص والخشوع في صلاته، فعسى أن يكون له نصيب من قول النبي صلى الله عليه وسلم (**أيها الناس أفشوا**

---

(١) فتح الباري (١١/١٢٩).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٧٥٧).

السلام، وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام)(١) .

اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من شرك وعمل، ونسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى، ومن العمل ما تحب وترضى، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

۞ ۞ ۞

انتهيت من الجزء الأول وسوف يليه الجزء الثاني إن شاء الله تعالى



(١) صحيح: رواه ابن أبي شيبة (٢٥٣٨٠، ٢٥٧٣١، ٣٥٨٣٦) وأحمد (٥/٤٥١)، وعبد بن حميد في المنتخب (٤٩٦) والدارمي (١/٣٤٠) والترمذي (٤/٦٥٢/٢٤٨٥) وابن ماجة (١/٤٢٣/١٣٣٤، ٣٢٥١) وابن السني (٢١٥) والحاكم (٣/١٣)، (٤/١٦٠) والقضاعي (١/٤١٨/٧١٩)، والبيهقي (٢/٥٠٢) والبغوي (٤/٤٠/٩٢٦) والاصبهاني في الترغيب (٤٠١، ٢٠٥٢) وقال الترمذي والبغوي: حسن صحيح، وصححه الحاكم على شرطهما وأقره المنذري والنووي والذهبي والعسقلاني في الفتح والألباني في الصحيحة.

فهرس الموضوعات

الموضوع رقم الصفحة

